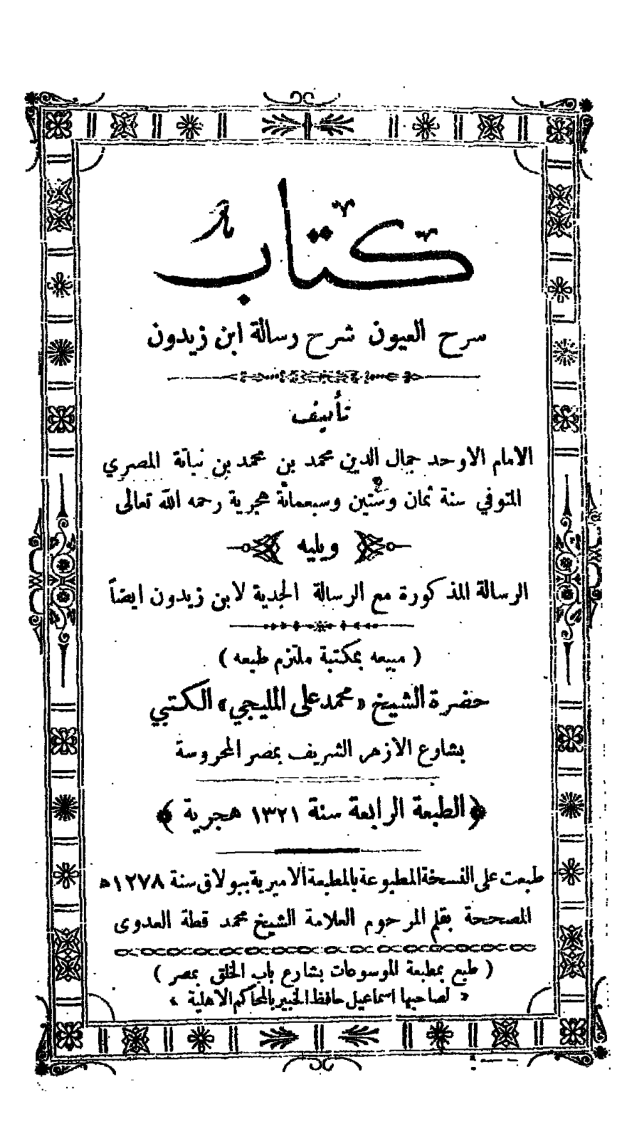




كتاب

سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون

تأليف

الامام الاوحد جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري
المتوفي سنة ثمان وستين وسبعمائة هجرية رحمه الله تعالى

ويليه

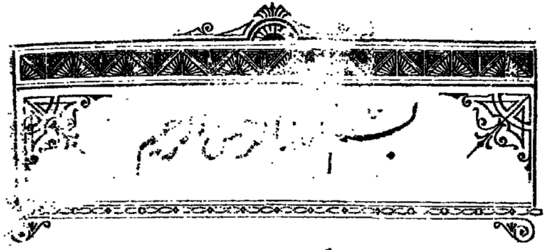
الرسالة المذكورة مع الرسالة الجدية لابن زيدون ايضاً

(مبيعه بمكتبة ملتزم طبعه)
حضرة الشيخ «محمد على المليجي» الكتبي
بشارع الأزهر الشريف بمصر المحروسة

(الطبعة الرابعة سنة ١٣٢١ هجرية)

طبعت على النسخة المطبوعة بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٢٧٨ هـ
المصححة بقلم المرحوم العلامة الشيخ محمد قطة العدوى

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر)
« لصاحبها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهلية »



الحمد لله الذي لا يجب الحمد الا له * وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف رساله * وعلى آله وصحبه فما أفضل وأكرم صحبه وآله * وأدام الله ايام مولانا السلطان المؤيد الملك الكامل . العالم العادل . عماد الدنيا والدين إدامة متصلة الجلاله * مقتبلة الايالة * ماجنت عسل النصر الشهي رماحه العسّاله * وأثمرت غصون اقلامه المنعمة بين ديم أنامله الهطّاله * فمن فروض نعمه عليّ * وقروض منته لديّ * أن أدعو لأيامه المكرمه * كما صليت على نبيّ المرحمه * واذكر من اصلح لنا أمور الدنيا القائمه * كما ذكرت من اصلح لنا امور الدين القيمه * طلبا لإجابة الدعاء * وانابة الرجاء * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم * وأمتعنا ببقاء من سبقت مواهبه الغيث فصلى وأعجزته فسلم *

(وبعد) فاني أمرت بشرح رسالة الوزير ابي الوليد بن زيدون الآتي ذكرها . وايضاح براهينها الغامض على كثير من سراة الادب سرها . فقلت ما أنا وصعود هذا الصرح . وولوج هذا السرح . ومعارضة ذلك البز ولبست من ذلك الطرح . وهل أنا الا صاحب ابيات تقيم جدرها القريحة المطبوعه . وكلمات تأتي على العفو فقرها المسجوعه . فمتى أخرجت عن ظل ابياتي ظلمت . ومتى أبعدت عن رياض سجعي ألمت . هذا مع تشعب فنون هذه الرساله . واحجام الفضلاء عن الخوض في غدرها السياله . فقيل لي انا نقتصر من شرحك على الاختصار ونهب تقصيرك

لما قدمت بين يدى نجواك من الاعتذار · ورضى من بيانك بأدنى الحصص · ومن قسمة الايضاح ببعض الحصص · وقنع من التاريخ الغاص ببعض الفرص واذا كنت من الشعراء فما أنت ببعيد من القصص · فقابلت بالطاعة أمراً قد وجب · وقلت ان فاتني سلوك الآداب المنظومة فان الامتثال خير من سلوك الادب · وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفاراً فيها للطالب منجع · وللافهام النائية ذكرى تنفع · فلم يتهيأ أن أعار منها كتابا · ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابا · فقلت هذا عذر آخر لم يكن في الحساب · وهذا قصد تغلقت دونه الكتب فانها ذات أبواب · وما بقي الا الرجوع الى صبابة الحاصل التى أبقتها نوب الدهر · واستنباط الثمد اذا أعجز ورود البحر · ثم أمليت شرح هذه الرسالة عن فكر خامل مسّه القرح · وشرحت الا أنى مقصر وما أطيل الشرح · بيد أنى لم أعتمد الا على نقل خبر صحيح · ونسب على قول صريح · ولم أخل ترجمة كل مذكور من فائدة سارّة · ونادرة دارّة · وأقوال سديده · وأبيات مشيده · وفقر ماأخطأتها فطنة سعيده · ولم آل في اختيارها جهدا · ولا ازددت مع صروف الزمان الا نقدا · هذا مع تجنب الاكثار · وترك الاجلاب بنظائر الاشعار · والتخفيف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار · والله تعالى الموفق لصواب الاراده · ومعين الخدم على القيام بطاعة الساده · وجابر وهنهم بمايتلقونه من امتثال اوامرهم السادة · بمنه وكرمه

ذكر منشئ هذه الرسالة

هو الوزير ابو الوليد احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون

المخزومي "الاندلسي" الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة اربع وتسعين وثلثمائة وكان من ابناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه الى ان برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ الطائل وانقطع الى ابي الوليد بن جهور احد ملوك الطوائف المتغلبين بالاندلس فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فاعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق ان ابن جهور نقم عليه امرًا فحبسه واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بديعة فلم تنجع فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته وفوض اليه امر مملكته وكان حسن التدبير تام الفضل متحببا الى الناس فصيح المنطق جدًا (حكى ابن بسام) في كتاب الذخيرة عن بعض وزراء اشبيلية قال عهدي بأبي الوليد بن زيدون قائما على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمعته يجيب احدًا بما اجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه ولم يزل عند المعتضد عباد وعند ابنه المعتمد على الله قائم الجاه وافر الحرمة الى ان توفي باشبيلية سنة ثلاث وستين واربعمائة تغمده الله برحمته وقد ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين واجروا نبذا كثيرة من اخباره وفضائله ووقفت على ديوان شعر له وكثير من ترسله ونظمه امكن عند النقاد واجود من نثره وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه فاما نثره فانه اكثر فيه من استعمال امثال العرب وحل اشعار المتقدمين والمتأخرين الى ان قيل ان رسائله اشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار معجز وقد اكتفيت منها بهذه الرسالة المشروحة * فمن شعره ماقاله من قصيدة يخاطب بها ابن جهور ايام سجنه

ماحال بعدك لحظي في سنا القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالأثر
ولا استطلت زمام الليل من أسف * الا على ليلة مرت مع القصر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي * ان الحوار لمفهوم من الحور
لا يهنأ الشامت المرتاح ناظره * أني معنى الاماني ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضيري فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

(وقال من أبيات في بني جهور)

بني جهور أحرقتمو بجفائكم * جناني فما بال المدائح تعبق
تعدونني كالعنبر الورد انما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

(وقال فيهم أيضاً من أبيات)

ان الجهاورة الملوك تبوؤا * شرفا جرى معه السماك جنيبا
فاذا دعوت وليدهم لعظيمة * لباك رقراق السماح أريبا
همم تعاقبها النجوم وقد تلا * في سودد منها العقيب عقيبا
ومحاسن تندى دقائق ذكرها * فتكاد توهمك المديح نسيبا

(وقال من قصيدة يمدح بها المعتضد بن عباد)

أما في نسيم الريح عرف يعرف * لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
وليلة وافينا الكثيب لموعد * سرى الأين لم يعلم بمسراه مرجف
تهادى اناة الخطو مرتاعة الحشا * كما ريع يعفور الفلا المتشوف
فديتك أنى زرت نورك واضح * وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الليل واشيك هاجع * وفرعك غربيب وليلك أغدف

فكيف أطقت المشى خصرك مدمج * وردفك رجراج وقدك أهيف
فما قبل من أهوى حوى البدر هودج * ولا ضم ريم القصر خدر مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس * ولا حمل الطود المعظم رفرف
رويته في الحادث الاد لحظة * وتوقيعك العالي على الخطب أحرف
على السيف من تلك الصرامة ميسم * وفي الرق منه من تلك الطلاقة زخرف
أظن الاعادي أن حربك نائم * لقد [illegible] الأعين اليقظى [illegible]
ولما قضينا ما دعانا اداؤه * وكل بما يرضيك داع [illegible]
وأبناك في أعلى المصلى كأنما * تطلع من محراب داود يوسف

(وقال أيضاً في مرثية له)

يامن ثنا الامثال فيه مهذب * ضربت له في السودد الأمثال
نقصت حياتك حيث فضلك كامل * هلا استضاف الى الكمال كمال
حيا الحيا مثواك وامتدت على * ضاحى ثراك من النعيم ظلال
فلئن أذالك بعد طول صيانة * قدر فكل مصونة ستذال

(وقال فى الغزل وهو من المجيدين فيه)

بينى وبينك مالو شئت لم يضع * سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعاً حظه منى ولو بذلت * لى الحياة بحظى منه لم أبع
يكفيك انك لو حملت قلبي ما * لا يستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

(وقال أيضاً)

أمّا رجا قلبي فأنت جميعه * ياليتني أصبحت بعض رجا كا
يدنو بوصلك حين شط مزاره * وهم أكاد به أقبل فاكا

(وقال من اخرى)

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق وماء الروض قد راقا

والنسيم اعتــــلال في أصائله * كأنه رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
لاسكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لوشاء حملي نسيم الريح حين سرى * وافاكمو بفتى أضناه مالاقى
الآن أحمد ما كنا لعهدكمو * سلوتمو وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة النونية التي أولهــا بنتم وبنا وهي أشهر من أن تذكر وقد تداولتها الألسن وزيد فيها ماكانت غنية عنه وفضائل الرجل متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها

ذكر سبب انشاء هذه الرسالة

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب الامويين المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل من بني عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله وتغلب ملوك الطوائف في خبر طويل ثم صارت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ويتعشقها الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وأدب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد (فمن ذلك) ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول

ترقب اذا جن الظلام زيارتي * فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك مالو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهي عليه غضبى

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بي شتماً ولا ذنب لي
يلحظني شزراً اذا جئته * كأنما جئت لأخصي علي

تعني غلاماً له يسمى علياً (وكان) سبب قولها فيه هذا الشعر انه اتهمها

بمواصلة الوزير أبي عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار فقال فيه وفيها

عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا * فيمن نحب ومافي ذاك من عار
أكل شهي أصبنا من أطايبه * بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

(ومن شعرها ما كتبت به على كمها وقيل تاجها)

أنا والله أصلح للمعالى * وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من لثم ثغرى * وأعطى قبلتي من يشتهيها

(ومما ينسب اليها وهو عندى كثير على شعر امرأة)

لحاظكم تجرحنا في الحشى * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي أوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ثم ان الوزير أباعامر بن عبدوس أيضاً هام بها وكلف بعشرتها وكان قصدهم الظرف والادب وكانت ولادة كثيرة العبث به ولها معه نوادر ظريفة (ومن نوادرها الظريفة) انها مرّت يوما بدار ابن عبدوس وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه وامامه بركة تتولد من مراحيض وأقذار فوقفت عليه وقالت ياأبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلا كما بحر

فلم يحر جوابا فمضت وحفظت هذه النادرة واشتغل بها الناس وهذا البيت لأبي نواس تمثلت به ونقلته هذا النقل الحسن من المدح الى الهجاء وكان كثيراً ما يخدعها ويبغي التفرد بها وفي ذلك يقول ابن زيدون شعراً

وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض
هى الماء يأبى على قابض * ويمنع زبدته من مخض

وكان أول أمرها معه والباعث لابن زيدون على انشاء هذه الرسالة أن ابن عبدوس لمّا سمع بها أرسل اليها امرأة من جهته تستميلها اليه

وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته فبلغ ابن زيدون ذلك فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبي عامر والتهكم به والهجاء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة وأرسلها اليه عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة الى أن انتقل ابن زيدون الى اشبيلية وتوفي بها تغمده الله برحمته وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه هذا معنى ما ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين

﴿ ذكر الرسالة وشرحها ﴾

﴿ أما بعد أيها المصاب بعقله المورّط بجهله ﴾

(أمّا) حرف يقتضي مضيّ أحد الشيئين ويبتدأ به الكلام و(بعد) ههنا تستعمل في الترتيب الصناعي وتقدير أما بعد مهما يكن بعد وهي كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم في خطبهم المحبرة ورسائلهم المحررة كأنهم يستدعون بها الاصغاء لما يقولون ولذلك فخر بها سحبان فقال

وقد علمت قيس بن عيلان أني * اذا قلت أما بعد أني خطيبها

وكثيراً ما تأتي عقيب قول الحمد لله وتسمى هنالك فصل الخطاب لانها فصلت بين الكلام الاول والتالي وتأتي عقيب البسملة وتأتي ابتداء كأنها عقيب الفكر والروية وأول من قالها داود عليه السلام وقيل انها فصل الخطاب المذكور في الكتاب العزيز وقيل أول من قالها قس ابن ساعدة والاول أصح وانما قس أول من خطب بها في العرب وكتبها أول الكتب على ما ذكر (أيها المصاب) اسم لمن نزلت به نائبة مصيبة وأصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب فالمصيبة اصلها في الرمية

ثم اختص بالثانية (بعقله) العقل المعرفة المستعملة في تحري النفع وتجنب الضرر ولأهل اللغة والمتكلمين في اشتقاقه ومعناه اقوال كثيرة قيل اشتق من عقل الناقة اذا شد وظيفها مع ذراعها بحبل يمنعها من الشراد فكأنه يمنع الانسان مما يميل اليه من الهوى ومن عقل الناقة سميت الدية عقلا لانها تعقل بفناء المقتول أو لانها تحبس الدم وقيل اشتق من المعقل وهو الملجأ يقال عقل الوعل اذا التجأ الى الجبل الذي يمنعه فكأن الانسان يلتجئ اليه في أحواله وقيل غير ذلك واكثر المعاني مشتركة في الاشتقاق وقال الجاحظ العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطا وايثاره اذا اقترنا في زمان وكان العلم علة للعمل وقيداً له فاذا دعا الرجل علمه بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل بها صار قيدا لعمله وكان كالعقال لما استحسنه فاذا عقله عليه وحبسه كما يحبس الجمل قالوا هذا عاقل وقال الراغب العقل يقال للقوى المتهيئة للعلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوى عقل ولهذا قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع * اذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والى الاول أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « ماخلق الله خلقاً اكرم عليه من العقل » والى الثاني أشار بقوله « ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه الى هدى او يردّه عن ردى » وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثاني دون الاول وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول وقال بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم شفاف ومحله الدماغ وبعض

العلماء يقول محله القلب ويستدل بقوله تعالى « فتكون لهم قلوب يعقلون بها » وقوله تعالى « لمن كان له قلب » أي عقل وقال الجاحظ هو مادة تتولد من الاغذية المقوية للعصب فلذلك كان البلادر جيد آله والبصل مضرّ اله وكذا الباذنجان ولذلك يقال يفسد الباذنجان في شهر ما يصلح البلادر في عام ويزعم قوم أنه هيئة تحصل بالدربة ولذلك فسدت أذهان المعلمين لمخالطتهم الصبيان (المورّط) الورطة الهلاك قال رؤبة « فأصبحوا في ورطة الأوراط » وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها وربما هلك الواقع فيها ومنه الوراط الخديعة وفي الحديث لا خلاط ولا وراط (بجهله) الجهل ضد العلم ومنه سميت المفازة مجهلة كأنه جهل كيف الطريق فيها وقال الراغب الجهل على ثلاثة أضرب « الأول » خلو النفس من العلم هذا هو الاصل وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضياً للافعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضياً للافعال الجارية على النظام و « الثاني » اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه و « الثالث » فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحاً أو فاسدا

﴿ البين سقطه الفاحش غلطه ﴾

(السقط) ما لا يرضى ومنه سقط المتاع رديئه وسقط القول خطؤه وسقط الرجل في يده اذا فعل ما يندم عليه وقال الاخفش أسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط وهو طرح الشيء من العالي الى المنخفض و (الفاحش) ما عظم قبحه من الاقوال والافعال ومنه الفاحشة الفعلة القبيحة سميت فاحشة وصار علماً عليها و (الغلط) الخروج عن الصواب نطقاً أو فعلاً تقول العرب غلط وغلت بالتاء زعم قوم أنهما لغتان وزعم قوم أن غلط انما يقال في المنطق وغلت انما يقال في الحساب

﴿ العاثر في ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره ﴾

(العثار) السقوط وما قاربه و (الاغترار) الغفلة واستعارة الذيل والعثار للغافل حسنة والفقر مناسبة لماقبلها ومابعدها و (العمى) يقال في افتقاد البصر ويقال فيه أعمى وعم وعمى البصيرة أشد ولذلك لم يعد الله تعالى افتقاد البصر عمى في جنب افتقاد البصيرة حيث قال تعالى « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » و (شمس النهار) ههنا كناية عن الصواب الواضح الذى تركه هذا المكتوب اليه وعمى عنه حتى تعرض للذم أو كناية عن مقدار هذه المرأة التي هي كالشمس حتى طلب منها مالا يصل اليه

﴿ الساقط سقوط الذباب على الشراب ﴾

(الذباب) في اللغة يقع على هذا المعروف من الحشرات وعلى النحل والزنابير ونحوها قال الجاحظ ومن الدليل على ان أجناس النحل والزنابير وما أشبهها كلها ذباب ماجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل ذباب في النار الا النحلة » وقال الشاعر

فهذا أوان العرض حيّ ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

والذباب ههنا هو المعروف وسمى ذباب العين ذبابا لشبهه به أو لتطاير شعاعه طيران الذباب وبه يضرب المثل في الوقوع على الشراب فيقال اوقع من ذباب على شراب و (الشراب) كل مائع متناول للشرب وغرض الذباب ماحلا ولشرهه عليه يقع على كل مائع سواء كان حلواً اوغيره * وفي كتاب كليله ودمنه من لم يرض بما يكفيه كان كالذباب الذى لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فتقتله

﴿ المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ﴾

(التهافت) الترامى مع خفة وطيران يقال منه هفت وتهافت ومنه قولهم

وردت هفيـة من الناس للذين أقحمتهم السنة و (الفراش) نوع من الذباب رقيق الجسد ومنه قيل لكل عظم رقيق فراشة وقيل فراشة القفل لرقتها أو لشبهها بالفراش الطائر وأما قول ذى الرمة

فأيقن أن النقع صارت نطافه * فراشاً وأن البقل ذاو ويابس

فقد قيل أن النقع وهو الموضع الذى يجتمع فيه نقر الماء صار فراشاً أى ماء رقيقاً وقيل المراد ان نطف الماء صارت فراشاً طائراً فربما تولد الفراش من الماء و (الشهاب) الشعلة من النار ومن ذلك قيل للسواد المختلط بالبياض شهبة تشبيهاً بالسواد المختلط بالدخان والفراش معروف بالقاء نفسه في النار ولذلك قيل في المثل ماهم الافراش طمع والفلاسفة تزعم أن الحيوان تجذبه النورية كالفراش الطائر بالليل ومالطف جسمه يطرح نفسه في النار فيحترق وغير ذلك مما يصاد في الليل بالشهاب من الغزلان والوحش والطير والسمك اذا قرب منها السراج في الزوارق ويزعمون أن النور صلاح هذا العالم * ومعنى هذا السجع * ان المكتوب اليه من جهله وتعرضه لما يؤذيه بمنزلة الفراش والذباب الواقع فيما يهلكه من غير اشعار أنه هالك

﴿ فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب ﴾

(قوله فان) صلة لقوله أما بعد ولا بد من اقتضائها الفاء لرد الكلام بعضه على بعض و (العجب) مايعجب الانسان من نفسه اى يستحسنه والاصل العجب كأنه يتعجب من حسن مايجد و (الكذب) ضد الصدق يقال في المقال والفعال وينسب أيضاً الى نفس القول والفعل فيقال فعلة صادقة وفعلة كاذبة * ومعنى المثل * ان المعجب من نفسه بحالة يظن أنه قد بلغ بها الغاية وامتاز بالفضل وليس الامر كذلك فكأن عجبه بنفسه خيل له مالا صحة فيه فكذبه و (المعرفة) ادراك الشيء بتدبر

لأمره وهو أخص من العلم فيقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعد الى مفعول واحد لمّا كان معرفة البشر لله تعالى هى بتدبر آثاره دون ادراك ذاته ويقال الله يعلم كذا ولا يقال الله يعرف كذا لمّا كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وأصله من عرفت كذا أى أصبت عرفه أى رائحته « والمعنى » ان معرفة الانسان مقداره حتى لايتعدى أطواره أصوب وهومما يؤيدقوله العجب أكذب * وهذان مثلان جيدان «الاول» ينسب الى أكثم بن صيفيّ و«الثاني» مأخوذ من قوله لن يهلك امرؤ عرف قدر نفسه وهو أكثم بن صيفى ابن رباح التميمى أشهر حكام العرب في الجاهلية وحكمائهم وخطبائهم أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وراسله واختلف في اسلامه والاكثر على صحته «حكى الهجيمي» أن أكثم بن صيفى لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لقومه احملونى اليه فقالوا لا والله وأنت سن من أسنان العرب قال فليأته احدكم فليسأله عن ربه وعما امره به فأتى حبيش بن اكثم فقال يامحمد بم بعثك ربك قال بعثني بأن اكسر الاوثان قال بم امرك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فانصرف حبيش الى ابيه فأخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليه الآية الشريفة فجعل يرددها ويقول ان هذا لرب كريم يأمر بمحاسن الاخلاق وينهى عن مساويها ثم جمع اليه بنى تميم وقام فيهم خطيباً وعمره اذ ذاك مائة وتسعون سنة وفي ذلك يقول

وانّ امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل

ويروى لخمس فلم يسأم على ان عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب ثم قال يابني تميم لاتحضروا لي سفيهاً فانّ السفيه يوهن من فوقه ويثبط من

أكثم بن صيفى

دونه اي يهلكه ولا خير فيمن لاعقل له ان ابني قد شاهد هذا الرجل الذي ظهر بمكة وشافهه وهو يأمر بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله عز وجل وخلع الاوثان وقد عرف ذوو الرأي منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان احق الناس بمعاونته لأنتم فان كان الذي يدعو اليه حقاً فهو لكم وان كان باطلا كنتم أحق من كتم وستر وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى أن يكون له فسمى ابنه محمدا فكونوا في امره أولا ولا تكونوا آخراً وأتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين والله ان هذا الذي يدعو اليه لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق العرب حسنا فأطيعوا أمري فمن سبق فاز ومن تأخر ندم فقام مالك بن نويرة وقال لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء فقال أكثم ويل للشجي من الخلي لهفي على أمر لم ادركه ولم يسبقني ثم رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق وبعث باسلامه مع من أسلم ممن كان معه وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية وهي « ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله » نزلت في اكثم ومن تبعه من أصحابه وقال قوم آخرون خرج مهاجراً ولم يسلم وكان من أفصح خطباء العرب وجمع من كلامه شيء كثير * ومما صح من أمثاله على ماروا ابن دريد عن أبي حاتم قوله يابني تميم لايفوتكم وعظي ان فاتكم الدهر بي يابني تميم ان مصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجدد أمن من العثار ولن يعدم الحسود ان يتعب فكره ولا يجاوز ضره نفسه والسكوت عن الاحمق جوابه * ومن امثاله أشبع جارك وأجع فارك يعني لا تدخر شيئاً يأكله الفار أو يعني بالفار الفضل في الجسد أي لاتسمن وجارك جائع ومن امثاله أيضاً لا تهرف بما لاتعرف وسئل ما الحزم فقال

سوء الظن بالناس وأقواله كثيرة وقلما عرف له نظم

﴿ وانك راسلتني مستهديا من صلتي ماصفرت منه ايدي امثالك ﴾

(الصلة) قرب الشيء وبلوغه ويستعمل فى الاعيان والمعاني ومنه سميت العطية صلة وقيل فلان متصل بفلان اذا كانت بينهما نسبة أو مصاهرة والصلة ههنا تحتمل الوجهين اما المودة وتقوم مقام العطاء أو القرب وتقوم مقام الاتصال و(صفر) الاناء اذا خلا حتى يسمع له صفير لخلوه ثم صار متعارفا فى كل خال من الآنية وغيرها ويقال صفرت اليد اذا خلت وسمي خلو العروق من الغذاء صفرا وكانت العرب تزعم ان ذلك حية في البطن تسمى الصفر حتى جاء في الحديث لاصفر «والمعنى» انك تتعرض من صلتي لما تخلو منه يد مرادك

﴿ متصديا من خلتي لما قرعت دونه انوف اشكالك ﴾

(التصدى) المقابلة مأخوذ من مقابلة الصدى اى الصوت الراجع من الجبل (والخلة) المودة اما لانها تخلل النفس اي تتوسطها فانّ الخلل الفرجة بين الشيئين واما لفرط الحاجة اليها ويقال خاللته مخاللة فهو خليل وسمى الله تعالى نبيه ابراهيم خليلاً لافتقاره الى ربه تعالى (والقرع) صوت ضرب شيء على شيء «والمعنى» انك تخطب من مودتي مالا يصلح له امثالك واشكالك فدفعوا عنه وضربت انوفهم دونه اما حقيقة او مجازا لكون انهم ردوا فحصل لهم من الهوان ما يحصل لمن يضرب انفه وخص الانف بالضرب لانه محل الشمم والكبر مع ان المثل للعرب يخاطب به الخاطب الكفؤ فيقول هو الفحل لايقرع انفه والاصل فحل الابل اذا ضرب وجهه عن الناقة التي لايريدون نتاجها منه وتمثل به ابو سفيان بن حرب حين بلغه زواج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته

ام حبيبة فقال ذاك الفحل لايقرع انفه

﴿ مرسلا خليلتك مرتاده مستعملا عشيقتك قوّاده ﴾

(خليلتك) صاحبة مودتك أو حليلتك زوجتك وفي كلا المعنيين ذم للمرسل لان الخليلة أو الحليلة التي هي محل الغيرة على الرجل لاتغار على مثله حتى تمشى بينه وبين النساء (والمرتاد) طالب الكلا وسمى به الطالب مطلقاً وأصل الرود التردد في طلب الشيء برفق وباعتبار الرفق قيل رادت المرأة في مشيتها فهى رود (وقاد) الشيء فانقاد له أى خضع وقوّد شدد للكثرة واستعمل فيمن يجمع بين الشخصين حراماً لانه اصعب للانقياد وكانت القوادة في العرب تكنى أم حكيم ولما قال ابن أبي ربيعة في وصف القوادة

فأتتها طبة عارفة * تخلط الجد مراراً باللعب

تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخى عند سوران الغضب

قال له ابن أبي عتيق يا ابن أخى ان الناس لمحتاجون الى خليفة مثل قوادتك ليسوسهم ومنه كان يقال في المثل أقود من ظلمة قيل انها امرأة كانت تقول اذا مت فأحرقونى وتربوا برمادى الكتب المرسلة بين المتعاشقين فانهم يجتمعون وقيل انها الظلمة من الليل فانها تستر وتعين على الاجتماع وأنشد بعضهم

* فالشمس نمامة والليل قوّاد *

﴿ كاذباً نفسك انك ستنزل عنها الىّ وتخلف بعدها علىّ ﴾

يعني انك وعدت نفسك أن تترك الاتصال بهذه المرأة التي هي خليلتك وتتعوّض عنها بحصولي وهذا أمر لايقع فأنت كاذب نفسك في الوعد أو وعدت هذه المرأة التي هي عندك بمنزلة نفسك في الوعد انك

اذا ظفرت بي تركتها وأطلقت سراحها لرغبتها في البعد عنك فهي تسعى في هذا الامر سعي المجتهد وهذا أمر لايتم فقد كذبتها فيما وعدت (والخلف) ماجاء بعد الشيء ومنه سمي الخليفة ويقال بالتحريك للمدح مثل خلف صالح وبالسكون للذم مثل خلف كجلد الاجرب

﴿ ولست بأول ذي همة * دعته لما ليس بالنائل ﴾

هذا البيت للمتنبي وحسن التمثيل به ههنا لمطابقة المعنى في طلب مالا يوجد لاسيما ان كان التصحيف اريد بلام النائل فان ذلك في هذا الموضع يكون محيا وكثيراً مايعتمد أهل الظرف شبيه ذلك في مكاتباتهم * وحيث افضى القول الى ذكر المتنبي فلا بأس بذكر نبذة من اخباره فأما اشعاره فقد ملأت الاقطار لكني أقتصر منها على ذكر القصيدة التي منها هذا البيت وكذلك اعتمد في كل مايمر من شعره في هذه الرسالة وهو احمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي ويكنى ابا الطيب ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل ان اباه كان يسمى عبدان وهو رجل يسقي الماء على جمل له بالكوفة ونشأ ابو الطيب مشتغلا بالادب راغباً فيه مع فقره واحتياجه وكان من اذكى الناس واسرعهم حفظاً (حكي) انه جلس يوما بالوراقين في ايام صباه فاستعرض من احد الدلالين دفتراً فيه اكثر من عشرين ورقة فأطال تأمله الى ان قال له الدلال ان كنت تريد شراءه فعجل الثمن وان كنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر فقال ان كنت حفظته آخذه بغير ثمن قال نعم فشرع يسرده عليه حفظاً الى ان اتمه ووضعه في كمه وانصرف ثم نظم الشعر واسترزق به وطاف البلاد وكان يقنع من الجائزة بأيسر شيء ثم نزل باللاذقية على معاذ بن اسمعيل فأكرمه واحسن اليه واقام عنده مدة ثم خرج الى بادية السماوة فنزل بقوم من بني عبس فتنبأ وعمل اسجاعا

ترجمة المتنبي

كثيرة وتبعه قوم منهم وكان سبب ذلك وقائع نادرة * منها ان قوماً قالوا له ان ههنا ناقة صعبة فان ركبتها علمنا انك مرسل فتحيل يوما الى ان ركبها فنفرت ساعة ثم سكنت وورد الحي وهو راكبها * ومنها انه كان مستخفياً فراح ليلة هو ورجل فنبح عليهما كلب فلما ذهبا قال للرجل انك ستجد الكلب ميتاً اذا رجعت فوجده كذلك وقيل كان يعرف نوعا من السحر يسمى صدحة المطر وذلك ان الشخص يدير حوله بمصاويذكر كلاما فيصرف عن موضعه المطر وذكر ان كثيراً من العرب باليمن من اهل حضرموت والسكون يعرفون هذه الصدحة حتى ان احدهم يصدح عن ابله وبقره وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ومما يدل على ان المتنبي كان من السكون قوله

أمنسي السكون وحضرموتا * ووالدتي وكندة والسبيعا

مع انه كان يخفي نسبه فاذا سئل عنه قال انا رجل اخبط القبائل ولا آمن ان يكون لاحد ثار في قبيلتي فيقتلني ثم ان بعض الولاة ظفر بالمتنبي وحبسه فتاب ورجع عما ادعاه من النبوة وقيل له يوماً على من تنبأت قال على السفلة قيل ان لكل نبي معجزة فما معجزتك قال قولي

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له مامن صداقته بد

ثم تقلبت به الاحوال ووصل الى سيف الدولة علي بن حمدان بحلب فأقبل عليه ولحظته السعادة واشتهر ذكره في الآفاق ورزق من الحظ والنعمة والسعة مالامزيد عليه ثم اتفق بينه وبين ابن خالويه كلام بحضرة سيف الدولة فضربه ابن خالويه بمفتاح فخرج غضبان ورحل الى مصر فاتصل بمتوليها كافور الاخشيدي فطمع منه بالولايات فلم يتهيأ له ذلك ورحل في البرية الى العراق فأقام بها اياما وسئل عن ذلك فقال ان بني حمدان كدروا خاطري فجئت أريحه ويقال ان هذا من الكلام

الموجه في مدح الجهتين وذمهما ثم رحل الى العجم فمدح عضدالدولة وابن العميد وكسب أموالا جزيلة ورجع فقتل في الطريق سنةأربع وخمسين وثلثمائة وكان رحمه الله قد انفرد بخصال * منها الكبر الزائد كما ذكره الحاتمي وغيره حتى أحوجه الى فراق سيف الدولة * ومنها البخل حتى حكى انه أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم فوزنها ووضعها في كيس وختمه ورفعه الى صندوق في خزانة ثم رجع الى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فعالجها باظافيره وهو ينشد قول ابن الحطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

الى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف أنهم يذمونه بذلك * ومنها إقبال الناس على شعره واشتغالهم به حتى ترك شعر غيره ووضع لشعره أكثر من أربعين تصنيفاً وكان اذا سئل عن معنى من قوله قال اذهبوا الى ابن جنى فانه يقول لكم ما أردته ومالا أردته * ومنها معرفته بلغة العرب وحوشيها حتى حكى أن أباعليّ الفارسي الداربجيّ قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال حجلى وظربى قال أبو عليّ فطالعت الكتب ثلاث ليال على انى أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده وكان يرمي بفساد عقيدته استخرج ذلك من شعره مثل قوله على مذهب السوفسطائية

هوّن على بصر ماشق منظره * فانما يقظات العين كالحلم

وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم * الا على شجب والخلف في الشجب

فقيل تسلم نفس المرء باقية * وقيل تشرك جسم المرء في العطب

وقوله على مذهب الهوائية وأصحاب القضاء

تبخل أيدينا بأرواحنا * على زمان هن من كسبه
وهذه الارواح من جوّه * وهذه الاجسام من تربه

وغير ذلك من المكفرات ظاهراً المحتج فيها باطناً وعلى الجملة فكان كثير المحاسن والحساد وله اشعار لم تدخل في ديوانه مثل قوله

وتركت مدحي للوصيّ تعمداً * اذ كان نوراً مستطيلا شاملا
واذا استطال الشيء قام بنفسه * وصفاء نور الشمس يذهب بالطلا

وهو شبيه بنفسه ويروى له ايضاً نثر لطيف مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده بعض اصحابه مراراً ثم انقطع عنه بعد ماشني وصلتني وصلك الله معتلا وهجرتني بليلا فان رأيت ان لاتحبب العلة اليّ ولا تكدر الصحة عليّ فعلت ان شاء الله فأما القصيدة التي منها البيت المذكور بسببه فانه يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويذكر فيها خلاص بعض اقاربه من الاسر وهزيمة بعض الخوارج عليه اولها

الام طماعية العاذل * ولا رأي في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
واني لأعشق من عشقكم * نحولي وكل امرئ ناحل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبي الزائل

يعني انى احب الحب لاجلكم أو أني ألفته لطول صحبته فلو زال بكيته

كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل
ولو كنت في أسر غير الهوى * ضمنت ضمان أبي وائل

يعني لو أسرني غير الهوى لخلصت منه كما خلص ابو وائل وهو قريب سيف الدولة وكان مأسوراً في بني كلاب عند الخارجيّ الذي خرج بهم على سيف الدولة وكان ابو وائل قد ضمن له فداء نفسه بذهب وخيل واستدعى سيف الدولة سراً فخرج ومر بهم واستنقذه بغير فداء فذكر ابو الطيب صورة الحال

فدى نفسه بضمان النضار * وأعطي صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة * فجئن بكل فتى باسل
فكان خلاص ابى وائل * معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت * على البعد عندك كالقائل

(ومنها)

وجيش امام على ناقة * صحيح الامامة في الباطل
فأقبلن ينحزن قدامه * نوافر كالنحل والعاسل
فلما بدون لاصحابه * رأت أسدها أكلة الآكل
بضرب يعمهم جائر * له فيهم قسمة العادل

يعني بالجور افراطه في قتلهم وبالعدل ثلاثة أوجه أحدها انهم مستحقون لذلك لخروجهم والثاني انه وقع ذلك لمن بالغ منهم في القتال والثالث أن الضربة كانت تقسم الفارس نصفين

بنصل يخضب منها اللحى * فتى لا يعيد على الناصل

قال ابن وكيع يعني ان كل خضاب ينصل الا خضاب هذه القتلى الذى هو الدم فانه لا ينصل فيعيده لانهم فارقوا الحياة وما ينصل غير خضاب اللحى وقال بعضهم وهو وجه بعيد الناصل المضروب بالنصل وهو فاعل بمعنى مفعول كقولك ناقة ضارب وعيشة راضية يريد أنه اذا ضرب انساناً بالنصل لم يبق فيه مايحتاج الى اعادة ضربه

خذوا ما أتاكم به واعذروا * فان الغنيمة فى العاجل

يعني أن هذا بدل الفداء يتهكم بهم

وان كان أعجبكم عامكم * فعودوا الى حمص فى قابل
فان الحسام الخضيب الذى * قتلتم به في يد القاتل

(ومنها)

تركت جماجمهم في النقا * وما يتحصلن للناخل

(ومنها)

وعدت الى حلب ظافراً * كعود الحليّ الى العاطل

(ومنها)

وكم لك من خبر شائع * له شبه الابلق الجائل

(ومنها)

فهناك النصر معطيكه * وأرضاه سعيك في الآجل

فذي الدار أخون من مومس * وأخدع من كفة الحابل

تفانى الرجال على حبها * ولا يحصلون على طائل

﴿ ولا شك انها قلتك اذ لم تضن بك وملتك اذ لم تغر عليك ﴾

يعني أبغضتك لانها لم تبخل بك على من تصحبه دونها (والقلى) شدة البغض يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوى فهو من القلو أى الرمى يقال قلت الناقة براكبها قلوا وقلوت بالقلم فكان المقلوّ الذي يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله ومن جعله من اليائي فمن قليت السويق وغيره على المقلاة وفي الحديث « أخبر تقله » والهاء للسكت (والضن) البخل بالشئ النفيس ولهذا قيل علق مضنة ومنه قوله تعالى « وما هو على الغيب بضنين » أي بخيل على مايوحى اليه وقرئ بظنين أى متهم والامر كذلك على كل من المعنيين

﴿ فانها أعذرت في السفارة لك وما قصرت في النيابة عنك ﴾

يعني بلغت عذر الاجتهاد لك في الصلة بيني وبينك يقال أعذر الانسان اذا أتى ماصار به معذورا وأعذر من أنذر (والسفارة) المشى في الصلح وكأنها كشفت ماغم من الحال بين المتباينين أى سفرت ومنه

قبل السفر لانه يكشف الاخلاق والاصل من سفر الصبح اذا أضاء

﴿ زاعمة ان المروءة لفظ أنت معناه ﴾

(المروءة) كمال المرء كما ان الرجولية كمال الرجل والانسانية تمام الانسان (واللفظ) مستعار من لفظ الشئ من الفم اذا طرحه ولفظت الرحا الدقيق (والمعنى) نفس الكلام وسره وكأنه مأخوذ من معاناة المرء اطلاعه على فحوى الكلام ولاهل البيان والمتكلمين في تمثيل الالفاظ والمعاني فصول مستحسنة قال القوشي الفيلسوف الألفاظ من أمة الحس والمعاني من أمة العقل والحس تابع للعقل والطبيعة وقال آخر مما حكاه ابن رشيق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته وقال آخر اللفظ جسم والمعنى روح وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصاً في الكلام كما يعرض لبعض الاجسام من العور والعرج وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح وكذلك ان ضعف المعنى وأجيد لفظه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ماقدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لافائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع كما ان الميت لاينقص من شخصه شئ في رأي العين الا أنه ميت لاينتفع به وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصلح له معنى لانا لم نجد روحاً في غير جسم البتة

﴿ والانسانية اسم أنت جسمه وهيولاه ﴾

(الانسانية) تمام الانسان كما تقدم ومما عربه أبوزرعة البغدادي

من كلام ارسطاطاليس قوله الانسانية أفق والانسان متحرك الى أفقه بالطبع دائر على مركزه الا أن يكون مخلوطاً باخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه وسبب هواه في مرعاه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة فقد خرج من أفقه وصار أذل من البهيمة لسوء ايثاره (والاسم) ماعرف به الشئ وأصله من السمو وبه رفع ذكر المسمى فعرف وسيأتي ذكره عند الفصل بين الاسم والمسمى (والجسم) يقال لكل ذي طول وعرض وعمق ولما لايثبت له لون كالماء والهواء ولاتخرج أجزاء الجسم عن كونها أجزاء وان قطع وجزئ وهو أعم من الجسد لان الجسد لايقال الا لماله لون (والهيولى) المادة المدبرة للصورة وهي أصل الشئ كالفضة فى الدرهم وكان ارسطاطاليس يسمي صاحب الهيولى وذلك أن مذهبه في الدهر أن أصل العالم قديم غير أنه لم يكن من طينة ولا كان شئ مما نسميه العرض والحكماء في تحقيقها كلام طويل لايسع هذا المحل ذكره

﴿ قاطعة أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال

واستعليت فى مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال ﴾

(قطعت) الامر اذا فصلته عن الشك ومنه الدليل القطعى والقطع الفصل فيما يدرك بالابصار كالاجسام وفيما يدرك بالبصيرة كالامور العقلية (والكمال) حصول غايات الغرض في الشئ محسوساً أو معقولا وقوله تعالى «ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة» ليس للاعلام بأن الثلاثة والسبعة عشرة وانما ليبين ان بحصول صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهدي (والخلال) جمع خلة وهي الطريقة الحسنة مأخوذ من الخلة وهي الطريق في الرمل وفي قوله استعليت واستوليت والجلال والخلال أنواع من الصناعات اللفظية من ترصيع

وتجنيس ليس الغرض ذكرها

﴿حتى خيلت ان يوسف «عليه السلام» حاسنك فغضضت منه﴾

يعني باراك في الحسن فأخجلته وأصل الغض النقصان في الطرف ويستعار لما سواه وبدأ بذكر الحسن فيما سرده من تواريخ ذوي الأوصاف الشريفة لانه أول مايعجب المرأة من الرجل ثم ذكر المال والعلم والعلوم ونحو ذلك * والمراد ههنا يوسف عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وبه ضرب المثل في الحسن ويستدل على حسنه بكتاب الله تعالى والحديث والآثار فمن الكتاب قوله عز وجل في ذكر امرأة العزيز والنسوة اللاتي لمنها على حبه «وأعتدت لهن متكأ» الى آخر الآية قال المفسرون المتكأ النمرق الذى يتكأ عليه وقيل المتكأ هو الطعام والاصل فيه أن من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة فسمي الطعام متكأ على الاستعارة وقيل متكأ طعاماً يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان الطعام اذا كان كذلك احتاج الانسان الى أن يتكئ عند القطع وقيل المتكأ الاترج وهو شاذ أنكره أبو عبيدة «وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه» قيل عظمنه ورأينه كبيراً عما في أنفسهن وقيل حضن والهاء للسكت مثل انه بمعنى ان وهو قول شاذ ولا يعرف في اللغة الاكبار بمعنى الحيض الا أن تكون الصغيرة بالحيض تدخل في معنى الكبيرة ولا في الطب أن المرأة تحيض اذا رأت مايروعها الا أن تكون حاملا فيحصل لها اسقاط فتحيض والقول الاول من أن معنى الاكبار التعظيم أصح وأحسن «وقطعن أيديهن» كناية عن الدهش والحيرة اما أنها دهشت فكانت تقطع في يديها وهي تظن أنها تقطع في الفاكهة أو الطعام واما انها تناولت السكين من موضع النصل وهي تظن

ترجمة يوسف عليه السلام

انه من موضع النصاب فتجرح يدها والالتذاذ بالنظر يمنعها من وجود الالم وفى هذا من الكناية عن الحسن مالامزيد عليه «وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم» المقصود اثبات الحسن لانه تعالى ركّب في الطباع أن لاشئ أحسن من الملك وقدعاين ذلك قوم لوط في ضيف ابراهيم من الملائكة كما ركب في الطباع أن لاشئ أقبح من الشيطان وكذلك قوله تعالى في صفة جهنم «طلعها كأنه رؤس الشياطين» فكما تقرر في الطباع أن أقبح الاشياء هو الشيطان فقد تقرر أن أحسن الأشياء هو الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهته بالملك وأما الحديث فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مررت بيوسف في الليلة التي عرج بي فيها الى السماء فقلت لجبريل من هذا قال يوسف فقيل يارسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر ومن الآثار قولهم انه كان اذا مشى في أزقة مصر يتلألأ نور وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس من الماء عليها وقولهم انه ورث الحسن من جدته سارّة التي هم الملك بأخذها من ابراهيم وزاد عليها وقصتها مشهورة ويروى أنه عاش مائة سنة وتوفي بمصر ودفن في نهر الفيوم الذى أحكم صنعته البديعة ومن كلامه قيل له ماصنع بك اخوتك فقال لاتسألوني عن صنيع اخوتي واسألوني عن صنيع ربي ودعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم الاخيار ولاتخف عنهم الاخبار فيقال انهم أعرف الناس بما يتجدد من الاخبار فى البلدان والله أعلم

﴿ وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ﴾

(امرأة العزيز) زليخا المشغوفة بحب يوسف صار الحب شغافا ترجمة زليخا لقلبها والشغاف جلدة رقيقة تحيط بالقلب وقرئ شعفها بالعين والشعاف امرأة العزيز

أعالي الجبال كأن الحب بلغ أعلى قلبها وما كانت تسلو مع ذلك الحب الا بأضعاف ذلك الحسن ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد أن ملك مصر واحتاجت اليه سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيداً بالمعصية

﴿ وأن قارون أصاب بعض ما كنزت ﴾

ترجمة قارون

(قارون) هو المذكور في الكتاب العزيز قال بعض المفسرين اختلف في نسبه فقيل كان ابن عم موسى عليه السلام لان موسى بن عمران بن قاهث وقارون بن يصهر بن قاهث وقيل كان ابن خالته وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال وفي قوله تعالى كان من قوم موسى دليل على ايمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجهاً وقراءة للتوراة ويسمى المنوّر لحسنه وقيل انه كان من السبعين المختارة قال الله تعالى «وآتيناه من الكنوز» الكنز يطلق على ماجمع من المال سواء كان في باطن الارض أو ظاهرها «ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة» أي تنوء بها العصبة تتكلف بها النهوض وهذا من القلب المستعمل في كلام العرب مثل دخل الرأس الظل وعرضت الدابة على الحوض واختلف في المفاتح فقيل مفاتح أبواب الخزائن وكانت وقر ستين بغلا وهو قول واه وقيل المفاتح الخزائن نفسها وقد يسمى الشئ بما لابسه وقيل المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب يعنون أنه أوتي من الكنوز ما أن حفظه والاطلاع عليه ليثقل على العصبة «أولي القوة» أي يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها «قال انما أوتيته على علم عندي» أي على خير وصلاح علمه الله مني وقيل على علم بالمكاسب والتجارات وقيل على علم الكيمياء وكان الزجاج يقول هذا قول لا أصل له فان

الكيمياء باطلة ولا حقيقة لها « فخرج على قومه في زينته » قيل خرج
راكباً بغلة شهباء بسرج من ذهب ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب
عليهن الحلي والحلل والزينة فكاد يفتن بني اسرائيل ثم بغي وتكبر حتى
أهلكه الله * واختلف في سبب بغيه وهلاكه فقيل انه كان قد حسد
هرون على الحبورة وذلك أن موسى عليه السلام لما قطع البحر واغرق
الله فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وهي
القربان تأتي بنو اسرائيل بهداياهم الى هرون فيضعها في المذبح فتنزل
نار فتأكلها وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك في نفسه وقال
ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء لا أصبر على هذا
فقال موسى والله ماصنعت ذلك لهرون بل جعله الله له فقال والله
لا أصدقك أبداً حتى تأتيني بآية فأمر موسى رؤساء بني اسرائيل أن
يجيء كل رجل منهم بعصاه فجاؤا بها فألقاها موسى عليه السلام في قبة
له وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعا موسى أن يريهم الله بيان ذلك فباتوا
يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون تهتز لها ورق أخضر وكانت من
شجر اللوز فقال موسى ياقارون أما ترى صنع الله تعالى لهارون فقال
والله ماهذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل بمن معه من بني
اسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى وقيل انه لما نزلت
آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل الف دينار دينار
والف شاة شاة وعلى هذا الاسلوب فحسب ذلك فوجده مالا عظيما
فجمع قومه من بني اسرائيل وقال ان موسى يأمركم بكل شيء فتطيعونه
وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فرنا بما شئت فقال علي
بفلانة البغي فأعطاها مائة دينار وأمرها ان تقذف موسى بنفسها وجاء
الي موسى وقال ان قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم فخرج فقام

فيهم خطيباً فقال يابني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى جلدناه فان كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت انت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغي فقال عليّ بها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت مايقول هـذا فقالت لا والله يانبي الله وانما جعل لي جعلا حتى أقذفك بنفسي فسجد موسى يبكي ويتضرع فأوحى الله اليه مر الارض بما تشتهيه فقال يا أرض خذيه يعني قارون فأخذته حتى غيبت بعضه ثم لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبق من جسده الا القليل وهو يتضرع الى موسى ويسأله وهو يقول خذيه الى أن غاب وقال ابن الجوزي وهو يناشده الرحم فما رحم فأوحى الله الى موسى ما أقطعك وعزتي لو استغاث بي لاغثته قيل ولما خسف به قال بعض الجهال من بني اسرائيل انما قصد موسى أخذ داره وكانت مبنية بالذهب والفضة فسأل الله تخسف بداره وقيل أراد بداره منزله والعرب تسمي المنزل داراً هذا قول من زعم انهم كانوا في التيه اذ ليس ثم دور والقول الآخر قول من زعم أن الواقعة كانت بمصر والله أعلم

﴿ والنطف عثر على فضل ماركزت ﴾

(الفضل) ههنا بقية الشيء (والركز) والركاز دفين مال الجاهلية وفي الحديث في الركاز الخمس (والنطف) رجل من العرب أصاب مالا فضرب به المثل واختلفت الاقوال فيه فبعض من لا يعرف حقيقة أمره يقول هو رجل كان يسقي الماء على ظهره فكان ينطف أي يقطر فسمي النطف ووجد خبية من المال فعظم حاله واستغنى بعد فقره وبعضهم يقول النطف الرجل المتهم كان الفقير يجد المال الكثير

ترجمة النطف

فيقصد اخفاءه فيهم ويظهره عليه والصحيح ماذكره البلادري أن النطف ابن جبير بن حنظلة اليربوعي كان مقيما بالبادية مع بني تميم وكان باذام عامل كسرى على اليمن يحمل ثياباً من ثياب اليمن وذهباً ومسكاً وجوهراً ويرسله الى كسرى مع خفراء من بني الجعد المرازبة الى أن يصل الى أرض بني تميم فيبعث معها هوذة من يجاوزها أرض بني تميم فلما كان في بعض السنين في أرض بني حنظلة تعرض لها بنو يربوع فأغاروا عليها وقتلوا من بها من العرب والاساورة والفرس وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال والحرث بن عقبة والنطف بن جبير وكانوا فرسان بني تميم فنهبوا الاموال فحصل النطف على شيء كثير من جملته خرجان مملوآن مناطق ذهباً محلاة بالجواهر النفيسة فباعها متفرقة وضرب المثل بما أصابه وقيل انه فرق على الفقراء من عشيرته منذ طلعت الشمس الى أن غابت وفي ذلك يقول بعض ولده

أبي النطف المبارى الشمس اني * عريق في السماحة والمعالي

ومات النطف حتف انفه بعد ان جرت بين العرب والفرس بسببه حروب عظيمة

﴿ وكسرى حمل غاشيتك ﴾

(وكسرى) اسم لملوك الفرس وقيصر للروم وخاقان للترك وتبع لحمير والنجاشي للحبشة واختلف في نسب الفرس على أقوال أحدها انه فارس بن سام بن نوح وقيل فارس بن افريدون بن اسحق عليه السلام وكان في العرب من يفتخر بفارس على قحطان والفرس يقولون انه ابن كيومرت وكيومرت عندهم آدم عليه السلام وانه أول من ملك الفرس وكان منفرداً عن العالم وليس في زمانه ظلم ولا فساد فكثر البغي والظلم

فاجتمع حكماء أهل زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم في اقامة ملك يورد الامور ويصدرها كما ان صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جنس العالم الكبير لاتستقيم أموره الا برئيس يدبره على ماتقتضيه قضايا العقول فصاروا الى فارس بن كيومرت فقالوا أنت أفضلنا وبقية ابينا آدم عليه السلام ولا بد من تقديمك علينا وتفويض امورنا اليك فأخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة ووضع التاج على رأسه تمييزاً له وهو أول من لبسه ثم خطب بالسريانية وهو لسان آدم عليه السلام ويقال لو ترك كل أحد من بني آدم لتكلم بالسريانية بالطبع فتكلم بكلام معناه الشكر والدعاء والمعونة والهداية وأقام مدة طويلة يدبر الملك وتوفي وملك بعده أوشهنج وملوك الفرس تنسب اليه وللفرس مبالغات عظيمة فى وصف كيومرت ومنهم من يزعم أنه آدم نفسه وانه خلق من الريباس وعاش ألف سنة وكسرى يقال بفتح الكاف وكسرها وجمع جمعين على غير قياس الاكاسرة والكسور وذلك أن حد الافاعلة أن يكون جمع الافعال مثل اسكاف وأساكفة وأما الكسور فانه جمع بتقدير طرح الالف مثل جذع وجذوع قال الأعشى انه كان أبا للكسور * والمراد ههنا كسرى أنوشروان فانه أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا وهو كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز وفى أيامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم وقال ولدت في زمن الملك العادل يعني كسرى وكان ملكا جليلا محبياً للرعايا تام التدبير فتح الامصار العظيمة في الشرق وأطاعته الملوك وتزوج ابنة خاقان ملك الترك وقتل مزدك وأصحابه وذلك ان أباه قباذ قد بايع رجلا زنديقاً يسمى مزدك أحدث مقالات في إباحة الفروج والاموال وقال انما الناس فيها سواء وكان لايسفك الدم ولا يأكل اللحم وانه دخل يوما على قباذ وعنده

ترجمة كسرى أنوشروان

زوجته أم كسرى وكانت من أحسن النساء وعليها حلي عظيم فأعجبته فقال لقباذ اني أريد ان أنكحها الآن في صلي نبيا يكون منها فأطاعه قباذ لقوله بمقالته فلما همّ مردك بها وكان كسرى صغيرا قبل قدميه وتضرّع له في أن لا يفعل فوهبها له فأوّل ما ولي كسرى بعد موت ابيه قتل مردك وأصحابه فعظم في عين الفرس وأحبوه وسلك سيرة اردشير وتوطدت مملكته وبنى المباني المشهورة * منها السور العظيم الباقي الذكر على جبل الفتح عند باب الابواب وأقام الحرس وحسم المادة من فساد من خلفه * ومنها المدينة التي سماها باسم رومية * ومنها الايوان العظيم الباقي الذكر وليس هو المبتدى لبنيانه وانما المبتدى له سابور وهو الذي رفعه وأتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا وكان انشقاق مثله من المعجزات النبوية والخصائص المحمدية * يروي أن الرشيد هرون أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه وقال في بقائه معجزة باقية فقال الرشيد بل أبيت الا تعصبا لآبائك يعني الفرس فأمر بهدمه فصرف على هدم شرافة واحدة مالا كثيراً فكف عنه فقال يحيى أرى الآن أن تهدمه لئلا يتحدث عنك انك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه (وحكى) عن بعض رسل الملوك انه دخل على كسرى فرأى في الايوان اعوجاجا فسأله عنه فقيل له انه بيت لعجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فأرغبها في مال كثير فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ماهو عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ويروى أن العجوز بعد بناء الايوان نزلت للملك عن البيت وقالت انما أردت بامتناعي أولا أن يتحدث الناس بعدلك وتكون لك هذه المأثرة الظاهرة ثم صنع كسرى في الايوان سلسلة عظيمة ذات أجراس وجعل لها طرفا خارجا عن القبة وأمر مناديه من كان مظلوما فليحرك السلسلة

ليعلم به الملك فيزيل ظلامته قال العسكرى وهذا هو الاصل فى قول الناس حرك فلان على فلان السلسلة اذا وشى به (وحكي) أنه كان جالساً بالايوان واذا بحيــة قد دنت من عش حمامة في بعض شقوق الأيوان لتا كل فراخها فرمى الحية بسهم أو ببندقة فقتلها فقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب في منقارها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فزرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفونه فقــال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذى ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمه * وخص كسرى بأشياء لم تكن لغيره من الملوك على ماذكره كثير من الرواة منها الفيل الابيض لركوبه طوله اثناعشر ذراعا وقطعة الياقوت المسمي لسان الثور تضيء بالليل أكثر من السراج والفلهيد المغنى واضع العود الخراسانى على اثنى عشر وترا كل من ضرب به خرّج الاهواء وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيــل وعناق زرقاء مغــذاة بلبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسمط بالخمر المغلي ويطلى بالمسك والملح ويعلق في سفود من ذهب ونارجين من ذهب فاذا برد حمــل فوضع على خوان من ذهب فيقدم اليه فيا كل اكثره ويتحف بالبقيــة من أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثــله واجتمع على بابه سبعون ملكا وله حكايات حسنة مذكورة في سيره*فنها أن عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستأذنه في الزيادة على الرسم فأمسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه قد كان في تركي اجابتك عن كتابك ماحسبتك تزجر به عن تكلف مالم تؤمر به فاذ قد أبيت الا تماديا في سوء الادب فاقطع احدى أذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الامر * ومنها أن رجلا على عهده كان

يقول من يشتري ثلاث كلمات بألف دينار فتطير منه الناس الى أن وصل الى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح ثم ماذا قال ولا بد منهم قال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت أن أدرى من يشتري الحكمة بالمال ويروى انه أول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد انصرافهم وذلك انه كان يمد رجله فيعرفون أنه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك وكان فيروز الاصغر كذلك يعرك عينه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان في الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك بن مروان يلقى المخصرة من يده وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يدعو وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ماأمارته قال اذا قلت ياغلام هات الطعام * ومن كلام كسرى القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كما تحتاج الابدان الى أقواتها من الغذاء ووقع في قصة مرافع ان الملوك اذا دبرت ملكها بعمال رعيتها كانت بمنزلة من يعمر سطح بيته بما ينقضه من أساسه وكتب باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجات من فضله ماأكلته وأنت مشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وقيل ماأعظم الكنوز قدراً وأنفعها عند الحاجة اليها فقال معروف أودعته عند الاحرار وعلم اورثته الاعقاب وقال احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

﴿ وقيصر رعي ماشيتك ﴾

(قيصر) اسم لملوك الروم وسموا الروم لانهم ينتسبون الى روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وقيل انهم ينتسبون الى رومية والصحيح الاول لان رومية

بنيت بعد ظهورهم بكثير وكان يقال لها رماس فلما سكنوها نسبت اليهم وقال ابن الكلبي ولد لاسحاق ثلاثون ولداً منهم الروم وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الاصفر وقيل أغارت عليهم الحبشة فولد لهم بنات أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا فنسبوا اليهن

ترجمة قيصر ملك الروم

وأول من سمي منهم قيصر قيصر بن انطرطس وسمي قيصر لان امه كانت حاملا به فتعسرت ولادتها فشق بطنها فخرج وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده وانما خرج كرها وسمي قيسر ثم قيل قيصر وصار هذا اللقب سمة لملوك الروم بعده وكان جبارا عاتياً وهو أول من جمع مملكة الروم واليونان وذلك أن أباه انطرطس لما بلغه أن ملوك اليونان قد انقرضوا ولم يبق منهم غير امرأة وهي قيلا بطره ارسل اليها يخطبها وكان قد ملك طرفا من أطراف بلادهم حين انقرضوا يقول قصدي أن تصير المملكتان واحدة وأقرب منك لفضلك وعقلك فعلمت أنها مغلوبة معه فأجابته وقالت تقيم في مكانك الى يوم عينته فقامت وأفكرت في حيلة تحتال بها عليه فرأت أنها تهلك نفسها وتهلكه معها ولا يتمكن منها فعمدت الى حية تكون في الرمل تضرب الانسان فيهلك في لحظة فجعلتها في اناء من زجاج وزينت قصرها وفرشت مجلسها بالرياحين ولبست تاجها وجلست على سريرها واستدعت به فلما وصل الى باب القصر أخرجت الحيه فضربتها فماتت وانسابت الحية في رياحين حولها فدخل انطرطس الى السرير ولم يشك أنها في عافية فجلس الي جانبها فعبث في الرياحين فضربته الحية فمات وكان ابنه مع جيشه فسمع بموتهما فاستولى على بلاد الروم واليونان وكان اذا أراد أن يستشير أحدا من عقلاء دولته أرسل اليه نفقة سنته ليتوفر ذهنه على مايشير به ومن بعده اختلفت الروم فتقاسموا البلدان والاطراف الى ظهور

الاسلام وقيصر هذا أعظم ملوكهم ومن كلامه ما الحيلة فيما اعيا الا الكف عنه ولا الرأى فيما لاينال الا اليأس منه

﴿والاسكندر قتل دارا في طاعتك﴾

هو الاسكندر بن فيلبش اليوناني واختلف في أصل اليونان فقال ابن الكلبي هو يونان بن بقية ونسبه الى اسحق وقال يعقوب الكندى يونان أخو قحطان من العرب من ولد عابر خرج من اليمن ونزل ديار المغرب وأقام فيها واستعجم لسانه وتكلم بلغة من هناك من الروم وقال الرقاشي وهو الاشهر ان يونان بن يافث بن نوح وليس من العرب ولا من الروم وانما جاور الروم على ساحل البحر الرومى وكان وسيما حسن العقل كبير الهمة فأقام هناك حتى كثر ولده فخرج يطلب مكاناً يسكنه فانتهى الى مدينة بالمغرب يقال لها اثينة فبنى بها قصورا وأقام وكثر نسله ولما احتضر اوصى الى ولده الاكبر وصية حسنة ثم مات فاستولى ولده على بلاد المغرب من ناحية افرنجة والصقالبة ومن جاورهم ولما ظهر بختنصر على مصر دخل المغرب ووصل الى بلاد اليونان وقرر عليهم ان يؤدوا الخراج الى ملوك فارس واستقر ذلك الى أيام الاسكندر * وأما الاسكندر فاختلف في نسبه فقيل انه الاسكندر بن فيلبش من ولد يونان وهو الاصح وقيل هو الاسكندر بن الصعب كان أبوه نساجا واسم أمه هيلانة وكان يتيما في حمير وسمعت أمه ببيت الصنائع وهو بيت وضعته اليونان في القسطنطينية وصورت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان فمن تاقت نفسه لصنعة اشتغل بها فحملته أمه فشاهد صور الاشياء فوضع يده على تاج الملك فنهته أمه مرارا فلم ينته فنظر اليها متولي بيت الصنائع وقال أنت هيلانة قالت نعم قال وهذا ابنك قالت نعم فقال له أبشر فأنت الملك الذى يسحب ذيله في البلاد وهذا قول مردود لبعد ما بين حمير واليونان

ترجمة الاسكندر

ولان القسطنطينية بنيت بعد رفع عيسى عليه السلام بزمان وانما انقرضت
دولة اليونان عند ظهور عيسى والصحيح انه الاسكندر بن فيلبش
وسمي ذا القرنين تشبهاً بذي القرنين المذكور في الكتاب العزيز لبلوغ
ملكه قرني الشمس من المشرق والمغرب وهو صاحب ارسطاطاليس
الحكيم كان أبوه اسامه اليه فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة
والادب فنال منه مالم ينل احد من تلامذته ومرض أبوه فخاف على الملك
فاسترده وعهد اليه * واما دارا فهو دارا الاصغر بن دارا الاكبر بن
أردشير احد ملوك الفرس العظماء المشهورين كانت له قطيعة على ابي
الاسكندر في كل سنة الف بيضة من الذهب في كل بيضة الف مثقال على عادة
آبائهم فلما ملك الاسكندر أخر ارسال القطيعة فكتب اليه دارا يهدده
ويتوعده حيث أخر الاتاوة وبعث اليه بكرة وصولجان وخرقة فيها سمسم
وقال انت صبي فالعب بهذه الكرة فان أديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود بعدد
هذا السمسم وأتيت بك في الاوثاق فكتب اليه الاسكندر أما بعد فقد
تيمنت بالكرة والصولجان فان الدنيا مثل الكرة وسألعب بها وأضيف
ملكك الى ملكي وأما السمسم فقد تيمنت أيضاً به لانه بعيد عن الحرافة
والمرارة وأما الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها وأكلت
لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه وسار الاسكندر بجموعه والتقيا
على نصيبين الجزيرة فلما هم دارا بالقتال بعث اليه الاسكندر يقول له
أيها الملك لاتفعل فان دماء الملوك لاتجوز اراقتها وهدم البيوت القديمة
غير محمود والبغي ذميم العقبي والحرب غير مأمون العاقبة وأصحابك قد
ملوك وكرهوك لسوء سيرتك فارجع فانك محمد قولى فلم يلتفت اليه
دارا وأقاما يتحاربان مدة ثم ان الاسكندر دبر حيلة وهو انه لما وقع
الملل بين الفريقين برز منادي الاسكندر فقال يامعشر الفرس قد علمتم

ترجمة دارا ملك العرب

ما كان من مكاتبتكم لنا ومكاتبتنا لكم من الامان وقد طال القتال فمن
كان منكم على غير قتال فليعتزل وله الوفاء بالعهد فاتهمت الفرس بعضها
بعضاً واضطربوا فكان من أسباب خذلان دارا ثم وثب على دارا
رجلان من أصحابه فطعناه من خلفه فوقع وكان الاسكندر نادى من
ظفر بدارا فلا يقتله فجاء به الرجلان الى الاسكندر فقالا قد قتل دارا
فجاء فنزل عن فرسه وقعد عند رأسه وبه رمق فقال والله ماهممت بقتلك
ولقد نهيت عنه ولقد يعز علىّ مصابك فاسألني حوائجك فقال تقتل
فلانا وفلانا اللذين قتلاني فاني كنت محسناً لهما وتتزوج ابنتي روشنك
فقال سمعا وطاعة وأحضر الرجلين فقتلهما وقال هذا جزاء من يجرأ
على ملكه وتفرق ملك فارس ثم سار الاسكندر الى بابل وجلس على
سرير دارا واستولى على خزائنه وجواهره وسلاحه وتزوج ابنته
روشنك وقيل انها كانت زوجة دارا وهي ابنته ولم يكن في زمانها أحسن
منها وقيل ان الاسكندر لم يجتمع بها وقال أخشى ان أكون غلبت دارا
فتغلبني روشنك ولما استولى على ملك فارس عرض جيشه وجيش
الفرس فكانوا ألف ألف وقيل أكثر وشرع فى هدم بيوت النيران
وقتل الموابذة وكتب الى أرسطاطاليس يستشيره فيمن بقي من عظماء
الفرس بهذا الكتاب أما بعد فان دوائر الاسباب ومواقع الفلك وان
كانت أسعدتنا بالامور التي أصبح لنا بها الناس دائنين فانا مضطرون الى
حكمتك وغير جاحدين لفضلك والاجتباء لرأيك لما بلونا من جدا
ذلك علينا وذقنا من جني منفعته حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترشيحه
لعقولنا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول
من البحار وقوة الاشكال بالاشكال وقد كان مما سبق الينا من النصر
وبلغناه من النكاية فى العدو ما يعجز القول عن وصفه والشكر على

الانعام به وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض الجـزيرة وبابل الى أرض
فارس فلما نزلنا بأهلها لم يكن الا ريثما تلقانا نفران منهم بقتل ملكهم
طلباً للحظوة عنـدنا فأمرنا بصلبهما لتجريهما وقلة وفائهما ثم أمرنا
بجمع من هنالك من أبناء ملوكهم وذوي الشرف منهم فرأينا رجالا
عظيمة أجسامهـم وأحلامهم يدل ماظهر من رؤيتهم على أن وراءه
من قوة بأسهم مالم يكن معه سبيل الى غلبتهم لولا أن القضاء أدالنا منهم
ولم نر بعيداً من الرأى أن نستأصـل شأفتهم ونلحقهم بمن مضى من
أسـلافهم لتسكن بذلك القلوب الى الامن من جرائرهم ورأينا أن
لا نعجل ببادرة الرأى في قتلهم دون الاستظهار بمشورتك فيهم فارفع
الينا رأيك فيما استشرناك بعد صحته عندك وتقليبه على نظرك على عادة
آرائك المسعفة والسلام على أهل السلام فليكن عليك وعلينا فكتب
اليه ارسطاطاليس الى الاسكندر المؤيد المهـدى له الظفر من أصغر
خوله ارسطاطاليس أما بعد فقد تقرر عندى من مقدمات فضل الملك
ويمن نميته وبروز شأوه وما أدى الى حاسـة بصرى صورة شخصه
ووقع فى فكرى على تعقب رأيه أيام كنت أؤدى اليه من تعليمى اياه
ماأصبحت قاضيا على نفسى بالحاجة الى تعلمه منه وقد ورد كتاب الملك
بمـا رسم لى فيه وأنا فيما أشير به على الملك حد الطاقة معه كالعدم مع
الوجود ولكن غير ممتنع من اجابته فأقول ان لـكل تربة لامحالة قسما
من كل فضيلة وان لفارس قسمها من النجدة والقـوة وانك ان تقتل
أشرافهم تخلف الوضعاء منهم وترث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدنياؤهم
على مراتب ذوى أخطارهم ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم
من غلبة السفلة وذل الوجوه واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة
من الغلبة فان نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك دهمهم مالا روية

فيه ولا منفعة معه فانصرف عن هــذا الرأى الى غيره واعمــد الى من قبلك من العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهــم ناحية واعقــد التاج على رأســه وان صغر ملكه فان التسمى بالملك لازم لاسمه والمنعقد له بالتاج لايخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابرا وتغالباً على الملك وتفاخراً بالمــال حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ويعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ثم لا يزدادوا في ذلك بصيرة الا أحدثوا هنالك استقامة لك فان دنوت منهم كانوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب كل منهم على جاره باسمك وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك ولا أمان للدهر وقد أديت للملك ماوأيته حظا وعلى حقا والملك أبعد رؤية وأعلى عيناً فيما استعان بي عليــه والسلام الابدي فليكن على الملك * قال المؤلف ولمــا ورد كتاب ارسطاطاليس على الاسكندر تأمله وعرف الحق وفرق القوم فى الممالك كما ذكر فسموا مــلوك الطوائف وسار الاسكندر الى الشرق فــدانت له الملوك وبنى مــدينة أصبهان وهراة وسمرقند ولمــا وصل الى الهند خرج اليــه ملكها في ألف فيل عليها المقاتلة وفى خراطيمها السيوف الهندية فلم تثبت خيل الاسكندر فصنع الاسكندر فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله فيها حتى ألفتها وملأها نفطا وكبريتاً ثم ألبسها السلاح وجرها على العجل الى ناحية العدوّ وبينها الرجال فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار في أجوافها فلما اشتعلت تنحي الرجال عنها وغشيها فيلة الهنــد فضربتها بخراطيمها فاحترقت الرجال واحترقت فمن سلم ولى هاربا فكانت الدائرة على ملك الهند ولمــا وصل الاسكندر الى الماننكير وهو من ملوك الصين خرج اليه الملك وأرسل اليه يقول علام تفني العالم ابرز الى فان قتلتني كنت

أنت الملك وان قتلتك كنت أنا الملك فتيمن الاسكندر بكونه بدأ بنفسه في ذكر القتل فبرز اليه فقتله الاسكندر ثم توغل في بلاد الصين الى مقر ملكها الاكبر وجرت لهما أخبار طويلة اصطلحا فيها على مهادنات ومهاداة فبينما هو في بعض الليالي جالس نصف الليل اذ بالحاجب قد دخل فقال رسول من ملك الصين بالباب فأذن له فدخل فقال له قل فقال الامر الذى جئت فيه لايحتمل الا الخلوة فأمر بتفتيشه فلم يجد معه حديدا فأخلى المجلس وبقي هو واياه فقال له قل فقال أنا ملك الصين قال وما الذى أمنك مني قال ليس بيني وبينك عداوة ولاذحل وبلغني انك رجل حكيم عاقل حليم ولو قتلتني لم تظفر بطائل مني فانهم يقيمون غيري وتنسب الى الغدر فأخبرني ماالذي تريد مني قال ارتفاع ملكك ثلاث سنين آجلا ونصف ارتفاعها عاجلا قال لقد أجحفت فما زال ينقصه حتى اقتصر على سدس الارتفاع ثم قام مسرعا فخرج وبات الاسكندر ليلته يفكر في أمره فلما طلع الصباح اذا بملك الصين قد أقبل في جيش طبق الارض وعليه تاجه وبين يديه الامم فركب الاسكندر واستعد للقتال ثم ناداه ياملك الصين أغدرا فانفرد عن أصحابه وقال لا ولكن أردت أن أعرفك انني لم أطعك عن قلة وضعف وما غاب عنك من جنودي اكثر ولكن رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منك واكثر عددا ومن حارب العالم الكبير غلب ثم ترجل وقبل الارض فنزل الاسكندر عن فرسه وجلسا على سرير فقال له الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه خراج وقد أعفيتك فقال الملك اما اذ قد فعلت فلابد من حسن المكافأة ثم بعث اليه بضعف ماقرره عليه وعاد الاسكندر وقد دانت له الملوك ودوخت له البلاد فأقام بشهرزور أياما واحتضر بها وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واختلف في عمره

فقيل ست وثلاثون سنة وقيل اكثر وبين وفاته وبين الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ستمائة سنة وقيل غير ذلك ومن اراد تحرير التاريخ فليأخذه من المختصر في تاريخ البشر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الى امه كتاباً يسألها فيه ان تصنع وليمة وتدعو نساء اهل المملكة ولا تأذن الا لمن لم تصب بفقد عزيز من اهلها ففعلت ذلك فلم يرد عليها احد فعلمت انه مات وان ذلك تعزية لها ثم اوصى ان يوضع في تابوت من ذهب ويطلى بالاطلية الممسكة ويحمل الى امه بالاسكندرية فلما فعل ذلك جمع ارسطاطاليس الحكماء وامرهم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا كما فعل بالاسكندر الاول وكانوا عشرة فقال الاول أصبح مستأسر الاسرى اسيراً وقال الثاني هذا الاسكندر طوى الارض العريضة وهو اليوم يطوي منها فى ذراعين وقال الثالث العجب ان القوي قد غلب والضعفاء لاهون وقال الرابع ما سافر الاسكندر سفراً طويلا بلا آلة سوى سفره هذا وقال الخامس سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم على الرعية فصارت الرعية تحكم عليه وقال السابع كنت تأمرنا بالحركة فما بالك ساكناً وقال الثامن رب حريص على سكوتك وهو اليوم حريص على كلامك وقال التاسع كم امات من فى هذا الصندوق لئلا يموت فمات وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكوته وقالت أمه مما يسلي عنه المعرفة باللحوق به وقالت روشنك ما كنت أظن أن غالب دارا يغلب * قلت ومن كلام الاسكندر السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه فانا اذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه وقيل له انك عظمت معلمك أكثر من تعظيم والدك فقال لان أبي سبب

حياتي الفانية ومعاني سبب حياتي الباقية وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد من سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال النظر في المرآة يرى رسم الوجه وفي أقاويل الحكماء يرى رسم النفس وقيل له ان فلاناً يثلبك فلو عاقبته فقال هو بعد العقاب أعذر وتحاكم اليه أثنان فقال الحكم يرضي أحدكما ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعاً وأحضر بين يديه لص قأمر بصلبه فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال تصلب أيضاً وأنت كاره وغضب على بعض شعرائه فاقصاه وفرق ماله في أصحابه فقيل له في ذلك فقال اما اقصائي له فاجرمه وأما تفريقي ماله في اصحابه فلئلا يشفعوا فيه وجلس يوما مجلسا عاما فلم يسأل فيه حاجة فقال والله ماأعد هذا اليوم من ملكي قيل ولم أيها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين وقال من اتجهك فقد اسلفك حسن الظن بك وله حكم لا تحصى وأقوال لا تستقصى اضربت عن ذكرها خوف الاطالة

ترجمة اردشير ﴿وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك﴾

هو اردشير بن بابك من ولد بهمن الملك أبي دارا الاكبر وكان بهمن قد تزوج ابنته خماني على عادتهم فحملت منه بدارا الاكبر وسألته ان يعقد التاج على بطنها لولدها ففعل وكان له ولد يسمى ساسان من امرأة اخري فلما مات بهمن تنسك ساسان وساح في الجبال وعهد الي بنيه انه من ملك منهم فليقتل من قدر عليه من نسل درا وكان اردشير هذا من ولد ساسان على ما ذكر بعض الرواة وهو اول الفرس الثانية ومعنى الثانية ان الاسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس وفرق من بقي منهم وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان فلما توفي الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد مدة تحرك اردشير وكان احد

ابناء ملوك الطوائف علي اصطخر وخرج طالبا للملك واوهم انه يطلب بثار ابن عمه دارا وجمع الجموع وكاتب ملوك الطوائف بكتاب طويل اوله من اردشير بن بابك المستأثر دونه المغلوب على تراث آبائه الداعي الي الله المستنصر به فانه وعد المظلوم الظفر والعاقبة سلام عليكم بقدر ماتستوجبون من معرفة الحق وانكار الباطل ثم ذكر كلاما طويلا معناه الحث على المعاونة فنهم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه فخرج بعسا كره فقتل المتأخر ثم عطف على بقيتهم فقتلهم وفاء لما عهد به جده ساسان الي بنيه ورزقه الله الظفر والنصر وقتل ملك الاردوان مبارزة ووطيء رأسه بقدميه وتسمى من ذلك اليوم شاهنشاه الاعظم ومعناه ملك الملوك ثم قام خطيباً فقال الحمد الله الذى خصنا بنعمه وخولنا من فضله ومهد لنا البلاد وها نحن شارعون في اقامة العدل وادرار الفضل والاقبال على الرأفة والرحمة وانصاف الضعيف من القوى وسترون في أيامنا مايصدق مقالنا بفعالنا ثم ساس الرعية ورتب الممالك وبه اقتدى الخلفاء والملوك من بعده فانه رتب الناس على طبقات فالطبقة الاولي الحكماء والفضلاء وكان مجلسهم عن يمينه وهم بطانته والطبقة الثانية الملوك وأبناؤهم وساهم الخواص ومجلسهم عن يساره والطبقة الثالثة الاصبهبذيه والمرازبة وهم بين يديه ولم يكن فيهم وضيع ولا دنيء الاصل ثم زادهم طبقات أخر من الوزراء والقضاة ورتب لكل ربع من ارباع الدنيا قوما ينفردون بتدبيره وتحريره ودانت له الدنيا وتمكن من الارض وكان من الشجعان المشهورين في الفرس يلقي وحده رجالا كثيرة ويشبه في قوته وشكله باردشير الاول الذى كان يدعى طويل الباع وفي أيامه بنيت المدن المشهورة كايلة واسترابا ذوكرخ ميستان وغيرها ووضع له النرد تنبيها على أنه لاحيلة للانسان مع القضاء والقدر

وهو أول من لعب به فقيل نردشير وقيل انه هو الذي وضعه وشبه به تقلب الدنيا بأهلها فجعل بيوت النرد اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة وعدد كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلبهما بأهل الدنيا وأن الانسان يلعب به فيبلغ بأسعاف القدر مايريده وان اللاعب الفطن يتاتي له مالا يتأتي لغيره اذا أسعده القدر فعارضتهم حكماء الهند بالشطرنج واقام في الملك خمس عشرة سنة ثم فوضه الي ابنه سابور وانقطع في بيوت العبادات ثلاث سنين الي ان توفي بعد مولد المسيح عليه السلام * ومن كلامه الدين أساس والملك حارس ومالم يكن له أساس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع وقال لاشئ أضر على الملك أوعلى الرئيس من معاشرة وضيع أو مداناة سفيه وذلك ان النفس كما تصلح بمعاشرة الشريف فكذا تفسد بمخالطة السخيف حتي يقدح ذلك فيها كما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت منه رائحة طيبة تنعش النفوس وتقوى بها الجوارح فكذا اذا مرت بالنتن فحملت منه الروائح الكريهة آلمت النفس وأضرت بها وكان الفساد اليها أسرع من الصلاح وقال ان للآذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكون ذلك استجماما وكتب اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من أحوجكم الي الشكوى يعني نفسه ثم فرق فيهم مالا وكتب اليه متنصح ان قوماً اجتمعوا على سبك فوقع عليها ان كانوا انطقوا بألسنة شتى فقد جمعت ماقالوه في ورقتك فجرحك أعجب ولسانك أكذب

ترجمة الضحاك

﴿ والضحاك استدعى مسالمتك ﴾

اختلف في نسب الضحاك فقال قوم انه الضحاك ابن الاهبوب بن عوج بن طهمورث بن آدم وزمنه بعد الطوفان وهو ابن أخت جمشيد ابن أوشهنج ملك الاقاليم وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة

وهو الذى ولى أخاه سنانا مصر على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام
وقال قوم هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه وفي ذلك
يقول أبو نواس

وكان منا الضحاك يحذره الحابل والوحش في مساربها

والقول الاول أكثر وكان من سيرته أن جشيد ومعناه سيد
الشعاع ملك الاقاليم السبعة وهو أول من عمل السلاح واستخرج
الابريسم والقز وألزم أهل الفساد الاعمال الشاقة في قطع الصخور
واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه
الضحاك هذا وتبعه خلق كثير لبغضهم في جشيد فهرب جشيد بين
يديه فظفر به وأمر بنشره بمنشار وقال ان كنت الها فادفع عن نفسك
ثم ملك الضحاك وطغى وتجبر وفجر ودان بدين البراهمة وهو أول
من غني له وضرب الدنانير والدراهم ولبس التاج ووضع العشور وكان
على كتفيه سلعتان يحركهما اذا شاء وادعي انهما حيتان يهول بهما على
الضعفاء وذكر انهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطليهما بدماغي
انسانين يذبحان له فى كل يوم وكان له وزير صالح فكان يستحيي أحدهما
ويضع مكان دماغه دماغ كبش ويأمر الرجل باللحوق بالجبال وأن
لا يأوى الامصار فيقال ان الاكراد من تلك القوم لكردهم الى الجبال
ثم كثر فساد الضحاك وطالت مدته فاجتمع الناس على افريدون بن
جشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان بأصبهان رجل
حداد يقال له كابي قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير
وكانت له قطعة جلد يتقى بها حر النار فرفعها على رمح وجعلها علماً
وسار الى الضحاك والناس معه فخرج اليه فلما رأى ذلك العلم ألقى الله
تعالى فى قلبه الرعب فانهزم وأراد الناس أن يملكوا كابي فأبي وقال

لست من بيت الملك فملكوا افريدون بن جمشيد وصار كابي عونا له وقتل الضحاك وقيل مات منهزماً وعظم علم كابي ورصعته الملوك بالدر واليواقيت وكانوا يقدمونه امام الجيوش وقت الحرب فينصرون به وكان عندهم كالتابوت في بني اسرائيل ويعرف هذا العلم بدرفش كابيان ولم يزل في خزائنهم يتوارثونه الى زمن يزدجرد بن شهريار فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحمل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقسم جواهره في الناس * ومما اتفق من الحكايات المستظرفة في أيام الضحاك انه لما طالت مدته وفساده اجتمع الناس على بابه وكابي الحداد معهم فلما دخل وكان جريئا قال له اسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم قال بل سلام من يملك الاقاليم كلها فقال له اذا كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصت هذا الاقليم بنوائبك ومؤنتك وهلا انتقلت الى الاقاليم وساويت بينه وبينهم ثم عدد عليه أشياء فصدقه الضحاك ووعد الناس بما يحبون فانصرفوا وكانت له أم جبارة سمعت ماجرى فلما خرجوا أنكرت عليه وقالت لقد جرأتهم عليك هلا قتلتهم فقال لها مع عتوه وتجبره ان القوم بدهوني بالحق فلما هممت بالسطوة بهم وقف الحق بيني وبينهم كالجبل فحال بيني وبين ماأردت ثم كان من أمره بعد ذلك ما كان مع كابي كما مر

ترجمة جذيمة الابرش

﴿ وجذيمة الابرش تمنى منادمتك ﴾

هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخي وقيل الازدي أول من قاد العرب وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والانبار وولايته من قبل اردشير بن بابك وكان أبرص فعدل عن هذا الاسم فقيل الابرش والوضاح وزعم بعضهم انه كان يأنف من اسم الابرص ولذلك كني عنه بالابرش وفي العرب من يفتخر بذلك قال الراجز يمدح أبرص

أبرص فياض اليدين أكلف * والبرص أدرى باللها وأعرف

وهو أول من صنع له الشمع وأدلج من الملوك وكان ذا رأى وهمة وتيه مفرط ويقال له نديم الفرقدين كان اذا شرب قدحا صب لهما قدحين ولا ينادم غيرهما وكان سبب ذلك فيما زعموا انه كان تكهن واتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان يستسقى بهما وينتصر على أعدائه وكانت اياد قد خرج قوم منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين البصرة والكوفة وتمكنوا على مايلى الحيرة وكثروا بعين اباغ فخرج جذيمة غازيا وكان في اياد رجل يقال له عدىّ بن نصر وكان له ظرف وجمال واليه تنسب الملوك من آل نصر فنزل جذيمة بساحتهم فبعث اياد قوما منهم الى صنمي جذيمة فسقوا سدنتهم الخمر وسرقوهما فأصبحوا بهما في اياد فبعثت اياد الى جذيمة تقول ان صنميك قد أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فان عاهدتنا على أن لا تغزونا رددناهما اليك فقال جذيمة وتعطونى أيضاً عدى بن نصر يكون عندى ففعلوا وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه وكان لجذيمة أخت تسمي رقاش وهى بكر فأحبت عديا وأحبها فسألته أن يخطبها من جذيمة اذا سكر ففعل ذلك وزوّجه بها وأشهد عليه من حضر فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس وكان قد دخل بها تلك الليلة فقال جذيمة ماهذه الآثار ياعدى فقال آثار عرس رقاش فقال من زوجكها ويحك قال الملك فاكب على الارض مفكراً وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر وأرسل جذيمة الى أخته يقول

خبريني رقاش لاتكذبيني * أبحر زنيت أم بهجين

أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

قالت بل أنت زوجتني امرأً غريباً ولم تشاورني في نفسى فكف عنها

وآلى أن لا ينادم الا الفرقدين وحملت رقاش فولدت غلاما وسمته عمرا فلما ترعرع ألبسته وعطرته ودخلت به على خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله في سنة خصبة فأقام في روضة ذات زهر ونهر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها واذا اصابها عمرو خبأها وانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول هذا جناي وخياره فيه * وكل جان يده الى فيه فضمه جذيمة الى صدره وسر بقوله وحلاه بطوق من ذهب فكان أول عربي لبس الطوق ثم ان الجن استطارته فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم اقبل رجلان من قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج من الشام يريدان جذيمة وأهديا له طرفا فبينما هما ياكلان اذ أقبل فتى عريان قد تلبد شعره فسألاه عن نسبه فعرفهما نفسه فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا أمره وألبساه ثيابا وقالا ما كنا لنهدى جذيمة أنفس من ابن أخته وخرجا به الى جذيمة فسر به ورأى الطوق فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا وقال لمالك وعقيل حكمنا كما قالا منادمتك مابقينا وبقيت فمكنهما من ذلك وهما نديما جذيمة اللذان يضرب بهما المثل واياهما عنى متمم بن نويرة بقوله في رثاء أخيه

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وقيل انما عنى الفرقدين • ويحكي أن جذيمة سكر مرة أخرى فقتلهما فلما اصبح ندم وبني عليهما الغريين ونادم الفرقدين وقيل ان صاحب الغريين المنذر الاكبر • ثم ان جذيمة أرسل يخطب الزباء ملكة الحضر الحاجز بين الفرس والروم وكان لها وتر عنده فأجابته واستدعته اليها فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضي فخالفهم قصير بن سعد وكان لبيبا وقال ان النساء يهدين الى الأزواج فعصاه وسار حتى اذا كان بمكان يدعى

بقة استشارهم فأشاروا عليه لما يعلمون من رأيه فيها فقال قصير انصرف ودمك في وجهك فأبى وطمن جذيمة حتي اذا عاين الكتائب قد استقبلته قال لقصير ماالرأي قال تركت الرأى ببقة ثم ركب قصير فرساً لجذيمة تسمي العصا فنجا واخذ جذيمة فلما ادخل على الزباء امرت برواهشه فقطعت والرواهش عروق اليد واستنزفته حتى مات في خبر طويل مشهور • وكانت مدة ملكه ستين سنة وله اشعار حسنة مشهورة فنها

اضحى جذيمة في يبرين منزله * قد حاز ماجمعت من قبله عاد
مستعمل الخير لا تفنى زيادته * في كل يوم واهل الخير تزداد

ترجمة شيرين

﴿ وشيرين قد نافست بوران فيك ﴾

هى شيرين زوجة ابرويز بن هرمز من ولد كسرى انوشروان وكانت يتيمة فى حجر رجل من اشراف المدائن وكان ابرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه فاخذت من قلبه موضعا فنهاها عنه ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد اخذت في بعض الايام من ابرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرقها فأخذها ومضى فقالت له وما الذي ينفعك من تغريقي فقال قد حلفت لمولاي فقالت اقذفني في مكان رقيق فان نجوت لم اظهر وبرت يمينك ففعل وتوارت في الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه واحسن اليها الرهبان فلما تقرر الملك لابرويز بعد ابيه هرمز مر بذلك الدير رسل قيصر الى ابرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى ابرويز لتحظى عنده فأرسله وعرفه مكان شيرين فسر سروراً عظيما فأرسل اليها فأحضرها وكانت من اجمل النساء واظرفهن ففوض اليها

امره وهجر نساءه وجواريه وعاهدها ان لا تمكن منها احدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه اباه ابرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستأصلها ورماها بالزنا وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت افعل على ثلاث شرائط قال ماهي قالت تسلم الى قتلة زوجي اقتلهم وتصعد المنبر وتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناوس ابيك فان له عندي وديعة عاهدني ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة ابيه فقتلتهم وبرأها مما قال وفتح لها ناوس ابيه وبعث الخادم معها فجاءت الى ابرويز فعانقته ومصت فصا مسموماً كان معها فماتت من وقتها وابطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة . واما بوران فهي ابنة ابرويز المذكور وكانت احسن من نشأ بين الترك والفرس من النساء وملكت الناس بعد شهريار بن ابرويز واصلحت القناطر والجسور ولما جلست على السرير قالت ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته واقامت سبعة اشهر ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم امرها قال لا يفلح قوم ولوا امرهم امرأة ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغي للملكة ان تتزوج علانية وواعدته ان يقدم عليها سرا في ليلة عينتها له فجاءها في تلك الليلة فقتلته فسار اليها ابوه رستم فقتلها وقيل ان هذه الواقعة مع اردى دخت

ترجمة بوران

ترجمة بلقيس

﴿ وبلقيس غايرت الزباء عليك ﴾

بلقيس ابنة الحرث بن سبا ويلقب ابوها بالهدهاد وقيل بنت الشيصبان ملكة بلاد سبا المذكورة في الكتاب العزيز وعن ابن عباس انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا أرجل هو ام امرأة ام ارض

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولده عشرة سكن
منهم اليمن ستة والشام اربعة فاليمانيون مذحج وكندة والانمار والأزد
والاشعريون وحمير واما الشام فلخم وجذام وعاملة وغسان وكانت
بلقيس من احسن نساء العالمين ويقال ان احد ابويها كان جنيا وقال
ابن الكلبي كان ابوها من عظماء الملوك وولده ملوك اليمن كلها وكان
يقول ليس في ملوك اليمن من يد انيني فتزوج امرأة من الجن يقال
لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقة ويقال ان مؤخر
قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح
الممرد من القوارير وكان بيتا من زجاج يخيل للرائي انه ماء يضطرب
فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم ير غير شعر خفيف ولذلك امر باحضار
عرشها ليختبر عقلها ثم اسلمت وعزم سليمان على تزوجها فامر الشياطين
فاتخذوا الحمام والنورة وهو اول من اتخذ ذلك وطلوا بالنورة ساقيها
فصارت كالفضة فتزوجها وارادت منه ردها الى ملكها ففعل ذلك وامر
الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التي لم ير مثلها وهي غمدان وبينون
وغيرهما وابقاها على ملكها وكان يزورها في كل شهر مرة من الشام
على البساط والريح وبقي ملكها الى ان توفي فزال بموته • واما الزباء ترجمة الزباء
فهي ابنة مليح بن البراء كان ابوه [illegible] غمر وهو الذى ذكره
عدى بن زيد بقوله

واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبي اليه والخابور

فقتله جذيمة الابرش وطرد الزباء الى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية
اللسان كبيرة الهمة قال ابن الكلبي وما رؤى في نساء زمانها أجمل منها
وكان اسمها فارعة وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته
جللها فسميت الزباء والازب الكثير الشعر وبلغ من همتها أن جمعت

الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار أبيها ومملكته فازالت جذيمة عنها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما أنفاقا تحت الارض وتحصنت وكانت قد اعتزلت عن الرجال فهى عذراء بتول وهادنت جذيمة مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم في ترجمته فاما مقتلها فان قصيرا لما فارق جذيمة وعاد الى بلاده تحيل على قتلها فجدع أنفه وضرب جسده ورحل اليها زاعماً أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة صنع به ذلك وانه لجا اليها هاربا منه واستجار بها ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها وأنفاقه ثم وضع رجالا من قوم عمرو بن عدى في غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على أنها قافلة متجر الى أن دخل مدينتها فحلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل أن تصل الى نفقها في حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام

﴿ وان مالك بن نويرة انما أردف لك ﴾

ترجمة مالك ابن نويرة

هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعى التميمي فارس ذى الخمار وذو الخمار فرسه ويلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوى الردافة في الجاهلية وكانت لبني يربوع أيام آل المنذر ومعنى الردف أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف بعده واذا غاب جلس الردف مكانه وللردف اتاوة تؤخذ مع اتاوة الملك وفي ذلك يقول الراجز

ومن ينافر آل يربوع يجب * المجلس الايمن والردف النجب

وأدرك مالك بن نويرة الاسلام وأسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه من بني يربوع فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الصدقة وقيل ارتد وبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد

ابن الوليد رضي الله عنه لقتال أهل الردة فكان اذا صبح قوما تسمع الأذان فان سمعه كف عنهم وان لم يسمعه قاتلهم الى أن مر بالبطاح وبه مالك وأصحابه فقيل انهم لم يستمعوا أذاناً فقاتلهم وأتى بمالك بن نويرة أسيراً فأمر خالد ضرار بن الازور بقتله فقتله واحتج قوم لخالد في قتله وطعن عليه آخرون فأما من احتج فيزعم ان مالكا قتل مرتدا وانه لما وقف بين يدي خالد كان يقول في مخاطبته قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أو ليس هو بصاحبك أيضا ياعدو الله ثم قتله ويحتجون ايضاً بقول اخيه متمم وذلك ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما سمع متمماً ينشد رثاء اخيه مالك قال وددت لو رثيت اخي زيداً بمثل مارثيت به أخاك قال والله لوعلمت ان اخي صار الى ماصار اليه اخوك لم أرثه ولم احزن عليه واما الطاعنون فذكروا أن خالداً لما احتج على مالك بارتداده انكر مالك ذلك وقال انا على الاسلام والله ماغيرت ولا بدلت وشهد قتادة وعبدالله بن عمر ثم ان خالدا امر بقتله فجاءت امرأته ليلى بنت سنان كاشفة وجهها وكانت من الحسان فألقت نفسها عليه فقال لها انت قتلتني يعني انها اعجبت خالداً وانه يريد قتله ويتزوجها وقام ضرار بن الازور فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية للقدر ووجهه مما يلي النار فنظرته امرأة من قومه وهو على تلك الحال فقالت اصرفوا وجه مالك عن النار فانه والله كان غضيض الطرف عن الجارات حديد النظر في الغارات لايشبع ليلة يضاف ولاينام ليلة يخاف ثم بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماصنع خالد فحرض عليه ابا بكر رضي الله عنه وقال انه قتل مسلماً وزنى فارجمه ووافقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ابو بكر انه تأول فأخطأ وما كنت لاشيم سيفاً سله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني اغمده ومازال عمر حاقدا

على خالد بهذه الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولي عاملا فى ايامي وكان متمم بن نويرة منقطعاً الى مالك مكفى المؤنة فلما قتل حزن عليه حزناً شديداً ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح خلف ابى بكر فلما فرغ من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وهو واقف مع الناس ثم انشد يقول

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت ياابن الازور

ثم أومأ الى أبي بكر رضى الله عنه فقال

أدعوته بالله ثم غدرته * لوهو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر رضى الله عنه والله مادعوته ولا غدرته فأنشد بقية أبياته المشهورة وانحط على قوسه وكان أعور فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال وددت لو رثيت أخي زيداً فأجابه بما تقدم ثم رثي زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك فقال والله انه ليحركني لاخي مالا يحركني لزيد وسأله عمر عن حزنه فقال والله انى لأنام الليل وما رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت أن نفسي ستخرج أذكر بها نار أخى انه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريباً منه فمتى رأى النار يأتي الى الرحل وهو يأتي بالضيف مجتهدا أسر من القوم يقدم عليهم القادم من السفر البعيد فقال عمر رضى الله عنه أكرم به وقال له عمر يوما حدثنا عن أخيك فقال أسرت مرة في حى عظيم من أحياء العرب فأقبل أخي فما هو الا أن طلع على الحاضر فما كان أحد قاعداً الا قام ولا بقيت امرأة حتى تطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جمله حتي تلقوه بي في رمتي فخلي فقال عمر ان هذا لهو الشرف ثم قال له يوماً يامتمم انك لجزله

فكيف كان منك أخوك فقال كان والله أخي في الليلة الباردة ذات الازيز والصرير يركب الجمل الثقال ويجنب الفرس الحرون وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتي يصبح وهو يتبسم ومن جيد مراثى متمم له قوله من أبيات

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوي بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى * دعوني فهذا كله قبر مالك

ومن جيد شعر مالك قوله

ولقد علمت ولا محالة أنني * للحادثات فهل ترينى أجزع
أفنين عادا ثم آل محرق * تركنهم بددا وما قد جمعوا
وعددت آبائي الى عرق الثرى * فدعوتهم وعلمت ان لم يسمعوا
ذهبوا فلم ادركهم ودعتهم * غول الليالي والطريق المهيع

وقوله ايضاً

وقالوا لى استأسر فانك آمن * فقلت ان استأسرت انى لخائن
غلام تركت المشرفي مضاجعي * ومطردا فيه المنايا كوامن
فان تقتلوني بعد ذاك فانني * اموت بمقدار وتبقى الضغائن

﴿ وعروة بن جعفر انما رحل اليك ﴾

ترجمة عروة بن جعفر الرحال

هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة واهل بيته ينتسبون الى جعفر فيقال الجعفريون ولذلك قال ابن زيدون عروة بن جعفر ولم يقل ابن عتبة وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته الى الملوك وكان من ذوى العقل والشهامة وهو من ارداف الملوك وللعرب مبالغة في وصفه فيزعمون انه رحل الى معاوية بن الجون الكندى فغزا معاوية بني حنظلة قومه من بني عامر واستصحبه معه فلما كان بواردات قال لمعاوية ان لى حق صحبة ورحلة واريد أن انذر قومى من ههنا

وبينه وبينهم مسيرة ليلة فحجب معاوية منه فأذن له فصاح ياصباحاه ثلاث مرات فسمعه قومه من الشعب فاستعدوا • وبسبب مقتله قامت حرب الفجار وذلك ان النعمان كان يبعث لسوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من اشراف العرب يجيزها له من احياء العرب حتى يبيعها هناك ويشتري له بثمنها من ادم الطائف وغيره مما يحتاج اليه وكان سوق عكاظ يقوم في كل يوم من ذى القعدة الحرام فيتسوقون الى حضور الحج ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم اربعة اشهر ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكانت العرب من ذى القعدة يتهيؤن للحج ويأمن بعضهم بعضاً فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال من يجيزها فقال البراض بن قيس أنا اجيزها على بني كنانة فقال النعمان ماأريد الا من يجيزها على اهل نجد وتهامة فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل هوازن أهذا الكلب يجيزها لك أنا اجيزها على اهل الشيح والقيصوم من اهل نجد وتهامة فقال البراض أعلى بني كنانة تجيزها ياعروة فقال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة فخرج بها وتبعه البراض وكان فاتكا عياراً وعروة لايحس منه شيئاً لانه كان بين ظهراني قومه من غطفان فنزل بأرض يقال لها اوارة فشرب الخمر وغنته قينة ونام فجاء اليه البراض فدخل عليه وايقظه فناشده عروة وقال كانت مني زلة فقتله وخرج وهو يرتجز

قد كانت الفعلة مني ضله * هلا على غيرى جعلت الزله

وهرب فضربت العرب المثل بقتلة البراض له وقامت حروب عظيمة بسببه ومن شعر عروة

أتعجب مني ام حسان اذ رأت * نهارا وليلا ابلياني فأسرعا
وقد صار اخواني كأن عليهم * ثياب المنايا والثغام المنزعا

من ابيات وقد قيل انها لعروة الرجال بالجيم وهو رجل من بني اسد

ترجمة كليب ابن ربيعة

﴿وكليب بن ربيعة اذ حمى المرعى بعزتك وجساسا اذ قتله بأنفتك﴾

كليب بن ربيعة بن الحرث الوائلي الذي يضرب به المثل فيقال اعز من حمى كليب فانه رئيس الحيين من بكر وتغلب ابني وائل وقاد معدا كلها يوم خزار وفض جموع القوم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته فمبر بذلك حينا ثم دخله زهو شديد وبغي على قومه بما هو فيه من عزة وانقيا بانقياد معد له حتى بلغ من بغيه وعتوه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش كذا وكذا في جواري فلا تهاج ولا يورد أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره ولا يحتبي في مجلسه ولا يتكلم الا باذنه وفي ذلك يقول أخوه بعد قتله

نبئت أن النار بعدك أوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا في أمر كل عظيمة * لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقيل انه كان اذا مر بمرعى قذف فيه جروا فيعوي فلا يرعى أحد من ذلك الكلا ولذلك قيل حمى كليب وائل يعنون الكلب ويضيفونه الى وائل وهو اسم الملك ثم غلب هذا القول حتى ظنوه اسمه ومر يوما بمرعى فيه حمرة وهي طائر صغير وقيل قبرة وقد باضت فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها فقال أمن روعك أنت في ذمتي ثم أنشد

يالك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ماشئت أن تنقري

فما جسر صاحب بعير يدخل ذلك المرعى * وأما جساس فهو ابن مرة

ترجمة جساس

ابن ذهل كانت أخته تحت كليب وكان بنو جشم وشيبان في دار واحدة قبيلتي كليب وجساس وكانت لجساس خالة من بني سعد تسمى البسوس جاورت بني مرة فنزلت على ابن اختها جساس ومعها ابن لها ولها ناقة

خوارة من لعم بني سعد ولها فصيل فندت الناقة ذات يوم فدخلت في ابل
كليب ترعى في حماه فنظر اليها فأنكرها فرماها بسهم في ضرعها فولت
حتى بركت بفناء صاحبتها وضرعها يشخب دما ولبنا فلما نظرت اليها
برزت صارخة ويدها على رأسها وهي تصيح واذلاه فلما سمع جساس
قولها سكنها وقال والله ليقتلن غدا جمل هو أعظم عقرا من ناقتك يعني
كليبا ثم انتجع الحي فمروا على نهر يقال له شبيب فنهاهم كليب عنه وقال
لا تردن منه قطرة ثم مروا علي نهر آخر يقال له الاحص فنهاهم عنه
فمضوا حتى اتوا الذنائب ونزلوا فمر جساس بكليب وهو واقف على
غدير الذنائب منفردا فقال طردت اهلنا عن المياه حتي كدت تقتلهم عطشاً
فقال كليب مامنعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون فقال له جساس هذا
كفعلك بناقة خالتي فقال وقد ذكرتها اما اني لو وجدتها في غير ابلي مرة
اخرى لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس بفرسه فطعنه بالرمح
فأرداه ووجد الموت فقال ياجساس اسقني فقال هيهات تجاوزت الاحص
وشبيباً ثم عطف المزدلف فاجهز عليه ثم ان جساسا لما فرغ من قتل
كليب امال يده بالفرس حتي انتهي الي اهله فقالت اخته لابيها ان لجساس
شأناقد جاءنا خارجا ركبتيه قال والله ماخرجت ركبتاه الا لامر عظيم يعني انه
كان بركبتيه وضح لايظهره فلما جاء قال ما وراءك يابني قال ورائي اني
طعنت طعنة لتشتغلن بها شيوخ وائل زمنا قال اقتلت كليباً قال نعم قال
وددت انك واخوتك متم قبل هذا مابي الا ان تسأمني ابناء وائل ثم
نظر جساس الى اخته نضلة فقال

قوله خارجا ركبتيه هكذا في النسخ ولعل الاصوب خارجا ركبتاه بدليل مابعده فليتأمل ويحرر اه من هامش الاصل

وأني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متي مايصح منها * فتى شبت لآخر غير صاح

فأجابته نضلة تطيب نفسه

وان تك قد جنيت على حربا * فلاواه ولاوث السلاح

ثم هرب جساس ووقعت بين الحيين حرب البسوس المشهورة قيل اقامت أربعين سنة * واختلف في قتل جساس فقيل ان ابا النويرة قتله هاربا على طريق الشام بعد حين وقيل ان ابن اخته هجرس بن كليب كان عند امه واخواله بعد الفتن فلما بلغ مبلغ الرجال وعرف ان خاله جساساً قاتل ابيه ركب فرسه واخذ رمحه واتي نادى قومه وجساس خاله في النادى مع جماعة فقال ورمحي ونصلية وسيفي وزريه وفرسي أوذنيه لايترك الرجل قاتل ابية وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بعمومته

ترجمة مهلهل

﴿ ومهلهلا انما طلب ثاره بهمتك ﴾

هو مهلهل بن ربيعة بن الحرث اخو كليب المقدم ذكره واسمه عدي ولقب مهلهلا بقوله

لما توغل في الكراع هجينهم * هلهلت اثأرمالكا اوصنبلا

يعني قاربت وقيل لقب مهلهلا لانه اول من هلهل نسج الشعر اي ارقه وهو اول من قصد القصائد وقال فيها الغزل وغني بالتشبيب من شعره وهو خال امرئ القيس بن حجر ومنه ورث اجادة الشعر وكان أيضاً كثير المحادثة للنساء حتي كان أخوه كليب يسميه زير النساء ولذلك يقول بعد قتل كليب وطلب ثاره

فلو نبش المقابر عن كليب * ليعلم بالذنائب اي زير

وكان من خبره في هذه الواقعة وطلب الثار والثار بالثاء المثلثة طلب الدم واصله الهمز ان جساساً لما قتل كليباً وفر هارباً كان همام بن مرة اخو جساس ينادم مهلهل بن ربيعة اخا كليب وكان قد صادقه وآخاه وعاهده ان لايكتم عنه شيئاً فجاءت اليه امه فأسرّت اليه قتل جساس كليباً فقال له مهلهل ماقالت لك فلم يخبره فذكره العهد فقال اخبرت أن

اخي قتل اخاك فقال لاست اخيك أضيق من ذلك فسكت همام واقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمرة ان صرعت مهلهلا فانسل همام واتى قومه وقد قوّضوا الخيم وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا فرحل معهم فظهر امر قتل كليب وافاق مهلهل فصحح الخبر واجتمعت اليه وجوه قومه فقالوا لا تعجلوا على قومكم حتي تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من اشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا مابينهم وبينه وقالوا اخترمنا خصالا اما ان تدفع الينا جساساً فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله واما ان تدفع الينا هماما فنقتله واما ان تقيدنا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه بكر فقالوا تكلم غير مخذول فقال أما جساس فانه غلام حدث السن ركب رأسه فهرب حين خاف ولاعلم لي به واما اخوه همام فاخو عشرة وابو عشرة ولو دفعته لكم ليصيح بنوه في وجهي وقالوا دفعت ابانا ليقتل عن ثار غيره واما أنا فلا اتعجل الموت وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم في غير ذلك هؤلاء بني فدونكم نخذوا احدهم فشدوا نسعه في رقبته فاقتلوه وان شئتم فلكم ألف ناقة فغضبوا وقالوا انا لم نأتك لتبذل لنا بنيك او لتسومنا اللبن فتفرقوا فقام مهلهل وشمر للحرب وبدأ القتل واستمر بين الفريقين الي أن كان يوم واردات وقد عظم القتل في بكر فاجتمعوا الى الحرث ابن عباد بن مالك وكان قد اعتزل الحرب وقال لاناقة لي فيها ولاجمل فذهبت مثلا فقالوا له قد فني قومك فأرسل ابنه بجيرا وقيل ابن اخته الى مهلهل وقال له قل له أبو بجير يقرؤك السلام ويقول لك قد علمت انى قد اعتزلت قومى لانهم ظلموك وخليتك واياهم وقد أدركت ثارك وقتلت قومك فاتي بجير مهلهلا وهو في قومه فقال له خالي يقرؤك

السلام فقال له من خالك ياغلام ونزا نحوه بالرمح فقال له امرؤ القيس ابن ابان التغلبي مهلا يامهلهل فان أهل بيت هذا قد اعتزلوا حربنا ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشد عليه فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت بهذا بنو تغلب رضيت فلما بلغ الحرث بن عباد قتله قال نعم الغلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب فلما سمعوا قول الحرث قالوا ان مهلهلا قال له بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث ونهض للقتال واستمرت الحروب بين الحيين دهراً طويلا وفني معظمهم وقتل همام وغيره الى أن قام في الصلح الحرث بن عوف المرى كما سيأتي عند قوله وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك وآل أمر مهلهل الى أن رحل الى أخواله من بني يشكر فريداً وحيداً وأقام بين أظهرهم الى أن مات وقيل قتل وكان سبب قتله كما ذكر ابن الكلبي انه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فلامنه وخرج بهما يريد سفرا فاناخا به في بعض الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقته هذا البيت وقيل في بعض الروايات انه أوصاهما أن يقولا لولديه

من مبلغ الحيين أن مهلهلا * لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات وأنشداهما قوله ففكر بعض ولده وقال ان مهلهلا لا يقول هذا الشعر الذى لا معني له وانما أراد ان يقول

من مبلغ الحيين ان مهلهلا * أمسي قتيلا في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فاقرا بقتله فقتلا به وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين ومن ذلك قوله

بكره قلوبنا يا آل بكر * نغاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون * وإن كانت تغادي بالصقال
ونبكي حين نذكركم عليكم * ونقتلكم كأنا لا نبالي

وهذه الابيات هي أصل ما اعتمدت عليه الشعراء في هذا المعنى وأميرهم البحتري في قصيدته العينية * ومن ذلك قوله أعني مهلهلا

أليلتنا بذي جشم أنيري * اذا أنت انقضيت فلا تحوري
فان يك بالذنائب طال ليلي * فقد أبكي من الليل القصير
وأنقذني بياض الصبح منها * لقد أنقذت من شر كثير
كأن كواكب الجوزاء عود * معطفة على ربع كسير
كان الفرقدين يدا بغيض * ألح على أفاضته قميري
فلو نبش المقابر عن كليب * لخبر بالذنائب أى زير
وانى قد تركت بواردات * بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد * وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب * إذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب * إذا برزت مخبأة الخدور

ومنها بعد أن كرر قوله على أن ليس عدلاً من كليب في أبيات كثيرة على عادة العرب في تكرار القول في الامور العظيمة وتقريرها وبهذه الابيات استشهد بعض المفسرين لقوله تعالى في سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان وتكرير هذه الآية الشريفه

كأنا غدوة وبني أبينا * بجنب عنيزه رحيا مدير
كان رماحنا أشطان بئر * بعيد بين حاليها جرور
تظل الخيل عاكفة عليهم * كان الخيل تنهض فى غدير
فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

يقال ان هذا أول كذب ورد في الشعر وأبلغه فانّ بين الذنائب وحجر سبع ليال ومن ذلك قوله

قتلوا كليباً ثم قالوا لاتب * كلا ورب البيت ذى الاحرام
حتى يعض الشيخ بعد حمية * مما يرى جزعا على الابهام
وتجول ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض ذوائب الايتام

(وقوله)

طفلة شنة الخلاخل بيضا * ء لعوب لذيذة في العناق
ضربت صدرها الحيّ وقالت * ياعديا لقد وقتك الاواقى

ومنها يرثي كليباً

ان تحت الاحجار حزما وعزما * وخصيماً ألد ذا مغلاق
حية في الوجار أربد لاينـ * ـفع منه السليم نفثة راقي

قوله ذا مغلاق يروى بالعين وهو الرجل الكثير الخصومة الشديد كأنه يعلق بخصمه ويروى بالغين كأنه يغلق على خصمه القول وجميع شعره في هذه الغاية من التمكن والقوة

﴿ والسموأل انما وفى عن عهدك ﴾

ترجمة السموأل

هو السموأل بن عاديا من يهود يثرب الذى يضرب به المثل في الوفاء فيقال أوفى من السموأل وسبب ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما قتل أبوه وكان ملكا فى كندة خرج يستنجد بملك الروم كما سيأتي ذكره فلما مر على تيماء وبها حصن السموأل المسمى بالابلق المذكور في شعره أودع السموأل مائة درع وسلاحا ومضى فسمع الحرث بن ظالم وقيل الحرث بن أبي شمر الغساني بها فجاء ليأخذها منه فأبى السموأل وتحصن بحصنه فأخذ الحرث ابناً للسموأل

وناداه وقال له ان لم تسلم الادراع والا قتلت ابنك فأبى أن يسلم له الادراع فضرب وسط الغلام بسيف فقطعه وأبوه يراه وطرحه وانصرف فقال السموأل في ذلك قصيدته المشهورة أولها

أعاذلتي ألا لا تعذليني * فكم من أمر عاذلة عصيت
وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم بالسموأل مابنيت
دعيني وارشدى ان كنت أغوى * ولاتغوي زعمت كما غويت

ومات امرؤ القيس قبل أن يعود الى تيماء ومنع السموأل الادراع الى ان مات هو أيضاً فضرب به المثل وفي ذلك يقول الاعشي

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار
فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك اني مانع جارى

والسموأل هذا من شعراء الجاهلية المجيدين وله في الحماسة اللامية المشهورة عند أرباب البديع أولها يقول

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
فما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

(وله أيضا)

اني اذا ما المرء بين شكه * وبدت عواقبه لمن يتأمل
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم * وألح من حر الصميم الكلكل
أدع التي هي أرفق الحالات بي * عند الحفيظة للتى هى أجمل

(وله أيضا)

ياليت شعرى حين أندب هالكا * ماذا تؤنبني به أنواحي
أيقلن لاتبعد فرب كريهة * فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم * ولقد بذلت الحق غير ملاجي

ترجمة الاحنف ابن قيس

﴿ والاحنف انما احتبي في بردتك ﴾

هو الاحنف المضروب به المثل في الحلم والسيادة واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصن السعدى ويكنى أبا بحر أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ودعا له * حدث الاحنف قال بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ لقيني رجل أعرفه فأخذ بيدى فقال ألا أبشرك قلت بلى قال أما تذكر اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومك في بني سعد أدعوهم الي الاسلام فجعلت أدعوهم وأعرض عليهم فقلت أنت انه يدعوكم الى خير ولا أسمع الا حسنا فاني رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بمقالتك فقال اللهم اغفر للاحنف فما شئ أرجى لى منها وسمى الاحنف لان أمه كانت ترقصه وهو طفل وتقول

والله لولا حنف في رجله * ما كان في فتيانكم من مثله

تقول تحانف الرجل في مشيته وهو أن تقبل الرجل بالابهام على الاخرى وقال عبد الملك بن عمير وفد علينا الاحنف مع مصعب ابن الزبير الكوفة فما رأيت منظرا يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان باخق العينين وكان اذا تكلم جلا عن نفسه وقال الشعبي أوفد أبوموسى الاشعرى وفد البصرة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم الاحنف بن قيس فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم في حاجة نفسه وكان الاحنف في آخر القوم فحمد الله

تعالى وصلى على نبيه ثم قال أما بعد يا أمير المؤمنين فان أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وأهل الشام نزلوا منازل قيصر وأهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الانهار العذبة والجنان المخصبة وفي مثل عين البعير وكالحوار في السلى تأتيهم ثمارهم قبل أن تتغير وان أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة نشاشة طرفها في ملح أجاج والطرف الآخر في الفلاة لا يأتيها الحلب الا في مثل حلقوم النعامة فارفع خسيسنا وانعش وكيسنا واعدل لنا قفيزنا ودرهمنا ومر لنا بنهر نستعذب منه الماء فقال عمر رضي الله عنه أعجزتم أن تكونوا مثل هذا السيد هذا والله السيد فما زلت أسمعها منه ثم حبسه عنده سنة ثم قال يا أحنف اني بلوتك فأعجبتني وانما حبستك لاعلم عليك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول احذروا المنافق العالم وأشفقت عليك منه فوجدتك بريأ مما تخوفت عليك وسرحه وأحسن جائزته ولم يزل يشرف حتى مات وساد بعقله وحلمه حتى يكاد يجرد لامره مائة ألف سيف: وكان أمراء الانصار يلتجئون اليه في المهمات وكان اذا أراد حربا قال الناس قد غضبت زبراء فصار مثلا وزبراء جاريته كان مطيعا لها فكانوا يكنون عن غضبه في الحرب بغضبها* وكان يقول كنا نختلف الى قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف الى العالم نتعلم منه العلم* وحكى خالد بن صفوان قال كنت بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم عليه العباس بن الوليد فغشيته الناس فدخلت عليه فقال حدثني عن تسويدكم الاحنف وانقيادكم له فقلت ان شئت حدثتك عنه بواحدة تسوّد وان شئت باثنتين وان شئت بثلاث وان شئت حدثتك عشيتك حتى تنقضي ولم تشعر بصومك وكان صائماً يوم خميس فقال هات الاولى فقلت كان أعظم من رأينا أو سمعنا سلطانا على نفسه فيما أراد حملها عليه ودفعها عنه ثم أدركني ذهني فقلت

غير الخلفاء فقال لقد ذكرتها بجلاء كافية فما الثانيـة قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه ولا يكون بصيراً بالمحاسن والمساوي ولا نسمع بأحـد أبصر منه بالمجلس في المساوي والمحاسن فلا يحمل السلطنة الا على حسن ولا يكفها الا عن قبيح فقال قد جئت بعسالة الاولى لاتصلح الا بها فما الثالثة قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيراً بالمحاسن والمساوى ولا يكون حظيظاً ولاينشر له ذكر وكان الاحنف عند الناس مشهوراً فقال وأبيك لقد وصلت الاثنتين فما بقية مايقطع عني الصوم قلت أيامه السالفـة مثـال فتح خراسان اجتمعت عليه الاعاجم بمرو الروذ فجاءه مالا قبل له به وهو في مثـل مضيعة وقد بلغ به الامر فصلى العشاء الآخرة ودعا وتضرع الى الله تعالى أن يوفقه ثم خرج يمشى فى العسكر مثل المكروب متنكراً يسمع مايقول الناس فمر بعبد يعجن وهو يقول لصاحب له العجب لاميرنا يقيم بالمسلمين في منزل مضيعة وقد أطاف بهم العـدو من نواحيهـم واتخذوهم غرضاً وله متحول فجعل الاحنف يقول اللهم وفق اللهم سدد فقال العبد للعبد فما الحيلة قال أن ينادى الساعة بالرحيل وانمـا بينـه وبين الغيضة فرسخ فيجعلها خلف ظهره فيمنعه الله بها فاذا امتنع ظهره بها بعث بمجنبتيه اليمنى واليسرى فيمنع الله تعالى بهما ناحيتة ويلقى عدوه فى جانب واحد فسجد الاحنف ثم نادى بالرحيل من مكانه حتى أتى الغيضة فنزل فى قبلها فأصبح فأتاه العدو فلم يجدوا سبيلا الا من وجه واحد وهولوا بطبول أربعة وركب الاحنف وأخذ اللواء وحمل بنفسه على طبل فشقه وقتل صاحبه وهو يقول

ان على كل رئيس حقا * أن يخضب الصعدة أو ينشقا

وشق بقية الطبول فلما فقد الاعاجم أصوات طبولهم انهزموا وركب

المسلمون أكتافهم وكان الفتح ثم عدد حاله بقية أيامه الى ان انقضى النهار . وللاحنف حكايات حسنة وألفاظ محكمة ومؤاخذات معدودة عليه * فمن حكاياته ماحدث بعض غلمانه قال كان الاحنف يكثر الصلاة بالليل وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول حس ويقول ماحملك على أن صنعت كذا في يوم كذا * وشكا اليه رجل وجع ضرسه فقال لقد ذهب نور عيني منذ ثلاثين سنة فما علم بذلك أحد وقال له عمر رضي الله تعالى عنه أى الطعام أحب اليك قال الزبد والكمأة قال عمر ماهما بأحب الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للمسلين يعني أن الزبد والكمأة لايكونان الا في الخصب *وخلا به رجل فسبه سباً قبيحاً فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يأخي ان كان قد بقي من قولك فضلة فقل الآن والا يسمعك قومي فتؤذى * وقال له رجل بم سدت قومك ولست بأشرفهم فقال بتركي من أمرك مالا يعنيني كما لم تترك من أمري مالا يعنيك * وقال له رجل لاشتمنك شتما يدخل معك قبرك فقال في قبرك يدخل والله لافى قبرى وقيل له بم سدت قال لو أن الناس كرهوا الماء ماشربته * وقال يوما مايسرني اذا نزلت بدار معجزة أني ألبنت فأسمنت قيل له ياأبا بحر وما يراد من دار الخورم غير هذا فقال انى أكره سوء العادة *ووفدعلى معاوية مع أهل العراق فقال آذنه ان أمير المؤمنين يقسم عليكم أن لايتكلم أحد منكم الا لنفسه فدخلوا فقال الاحنف لولا حرمة أمير المؤمنين لاخبرته أن نازلة نزلت ونائبة نابت وكلهم به فاقة الى رفد أمير المؤمنين فقال حسبك ياأبا بحر فقد كفيت من غاب ومن شهد * وذكره معاوية يوما بصحبته لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه وأيام صفين فقال ياأمير المؤمنين القلوب التي أبغضناك بها بين جنوبنا والسيوف التي

قاتلناك بها على عواتقنا وان شئت استصفيت كدرنا بحلمك فقال أجل
*ومما عيب به وأخذ عليه أمر الزبير بن العوام رضي الله عنه وذلك
انه لما ترك القتال يوم الجمل ورجع عن الحرب مر ببني تميم ذاهباً
الى دياره فأتى رجل الاحنف فقال هذا الزبير قدم آنفاً فقال ماأصنع
به جمع بين غازين يقتل بعضهم بعضاً ويريد أن ينجو الى أهله فتبعه ابن
جرموز فقتله غدراً فقال الناس انما قتله الاحنف بكلامه ذلك وان
ابن جرموز انما فعل عن رأيه * وحين أتاه كتاب الحسن بن علي
رضي الله تعالى عنهما يستنصره فقال قد بلونا حسنا وآل حسن فلم
نجد عندهم ايالة الملك ولا صيانة المال ولا مكيدة الحرب ولم يجبه
*وقوله للحباب بن المنذر اسكت يا آدر وكان الحباب آدر *وطاعته لجاريته
زبراء حتى سئل عن ذلك فقال كيف لاأطيع من لي اليه كل يوم حاجة
*وأتاه رجل فلطمه فقال لم لطمتني قال جعل لي جعل على أن ألطم سيد
بني تميم قال لست بسيدهم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فمضى الرجل
اليه فلطمه فقطع يده فقال الناس إنما قطع يده الاحنف * وأرسل اليه
عمرو بن الاهتم رجلا يكايده فقال ما كان مال أبيك ففطن له الاحنف
فقال صرمة يقرى منها ضيفه ويكفي عياله ولم يكن أهتم سلاحا فهذا
ماحفظ من سقطاته * وقريب منها أنه خاط عند رجل ثوباً ثم تقاضاه
دهراً فلما ضجر أخذ بيد ولده وجاء الى الخياط فقال اذا مت فادفع
الثوب الى هذا * ومن كلامه لاخير في لذة تعقب ندما لن يفتقر من
زهد*اقبلوا عذر من اعتذر ماأقبح القطيعة بعد الصلة *أنصف من نفسك
قبل أن ينتصف منك *لاتكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان
اعلم أن لك من دنياك ماأصلحت به مثواك أنفق في حق ولا تكونن
خازنا لغيرك *لاراحة لحسود ولا مروءة لكذوب عجبت لمن يتكبر وقد

خرج من مخرج البول مرتين • وقال يوما ماردت عن حاجة قط فقيل له ولم قال لاني لاأطلب المحال وقال ما نازعني أحد الا وأخذت في أمره بثلاث ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان دوني رفعت قدري عنه وان كان مثلي تفضلت عليه • وقال له رجل دلني على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال ألا أدلك على أدوا الداء قال بلى قال اكتساب الذم بلامنفعة • وقال يوما كانت المودة محضاً فليتها اليوم مذقا • ومن كلامه في النظم وشعره قوله

ولو مد سروى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا

فان المروءة لاتستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يجالسه رجل كثير الصمت فأعجب به الاحنف ثم تكلم يوماً فقال ياأبا بحر تقدر تمشي على شرف المسجد فقال ياأخي اني كبرت ولا اقدر على ذلك ثم أنشد يقول

وكاءن ترى من صامت لك معجب * زيادته او نقصه في التكلم

لسان الفتي نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فرواها قوم له وقيل تمثل بها وهي لغيره فانها أرفع طبقة من شعره ومات بالكوفة سنة تسع وستين وخرج مصعب بن الزبير في جنازته ماشياً بغير ازار وهو اول امير فعل ذلك في جنازة كبير ولما وضع في قبره قامت امرأة له فقالت لله درك من مدرج في كفن نسأل الله الذي ابتلانا بفقدك ان يوسع لحدك ويكون لك يوم حشرك أما والذي كنت من أمره الى مدة لقد عشت حميداً مودوداً ومت شهيداً مفقوداً ولقد كنت من الناس قريباً وفي الناس غريباً رحمنا الله واياك في الدنيا والآخرة وتوفانا بعدك مسلمين .

ترجمة حاتم الطائي

﴿ وحاتما انما جاد بوفرك ولقي الاضياف ببشرك ﴾

هو حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي وكنيته أبو سفانة وأبو عدي * وأجواد العرب في الجاهلية ثلاثة حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم أشهرهم ذكرا أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه * وحكي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال يوما سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في خير عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتي بسبايا طي وقفت جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبنها من النبي صلى الله عليه وسلم فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * وقال عدي بن حاتم قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبي كان يطعم المساكين ويعتق الرقاب ويصل الرحم فهل له في ذلك أجر قال ان أباك رام أمرا فأدركه يعني الذكر * وأول ما ظهر من جود حاتم أن أباه خلفه في أبله وهو غلام فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الابرص وبشر بن أبي حازم والنابغة الذبياني يريدون النعمان فقالوا لحاتم هل من قرى ولم يعرفهم فقال تسألوني القرى وقد رأيتم الابل

والغنم انزلوا فنزلوا فنحر لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الابل والغنم وجاء أبوه فقال مافعلت قال طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة وعرفه فقال أبوه اذا لا أبالي * وحكى عن زوجته النوار قالت أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض وضنت المراضع على أولادها فوالله اني لفي ليلة صنبرة بعيدة مابين الطرفين اذ تضاغى أولادنا عبدالله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ماسكتوا الا بعد هدأة من الليل ثم ناموا ونمت أنا واياه فأقبل علي يعللني بالحديث فعرفت مايريد فتناومت وما يأتيني نوم فقال مالها أنا مت فسكت ثم تهورت النجوم اذا شئ قد رفع كسر البيت فقال ماهذا قالت جارتك فلانة قال مالك قالت الشر أتيتك من عند صبية يتعاوون عوي الذئاب من الجوع قال اعجليهم فهببت اليه فقلت ماذا صنعت فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت مايعللهم فقال اسكتي وأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه جلاب فنحره وكشط عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال تأكلون دون أهل الصوم ثم جعل يأتي بيتاً بيتاً ويقول دونكم النار فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر الينا فوالله ماذاق منها مزعة وانه لاحوجهم وأصبحنا وما على الارض الا عظم أو حافر * وحكى ابن الاعرابي قال أسر حاتم في عنزة فقالت له امرأة يوما قم فافصد لنا هذه الناقة وكان الفصد عندهم أن يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل فقام حاتم الى الناقة فنحرها فلطمته المرأة فقال لو غير ذات سوار لطمتني فذهبت مثلا ثم قال له النسوة انما قلنا افصدها قال هذا فزدي يعني انه فصدي وهي لغة طيء * وحكى المدائني قال أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدونه

النعمان فلقيوا حاتماً فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال وما هي فانشده الأسديون شعر النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحي أن نسألك شيأ وان لنا لحاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قد رحل يعني فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه واتبعته الجارية فصاح حاتم ماتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية * ولحاتم أخبار كثيرة وشهرة زائدة * وكانت أمه أم عتب بنت عفيف موسرة لاتمسك شيأ وكان اخوتها يمنعونها فتأبى فحجروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم مكنوها من صرمة من ابلها وقالوا استمتعي بها فأتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت من الفقر ما آليت أن لا أمنع سائلا شيئاً * وحاتم من فحول الشعراء ومن محاسن شعره قوله رحمه الله ان شاء بكرمه

أعاذل ان المال غير مخلد * وان الغنى عارية فتزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده * وساوس قد ذكرنه الفقر في غد
وكم ليم آبائي فما كف جودهم * ملام ومن أيديهم خلقت يدي

وقوله يخاطب امرأته

أماويّ ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماويّ ما يغنى التراث عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماويّ ان يصبح صداي بقفرة * من الارض لا ماء لديّ ولا خمر
ترى انّ ما اهلكت لم يك ضرني * وان يدي مما بخلت به صفر
وقد علم الاقوام لو أن حاتماً * اراد ثراء المال كان له وفر
واني لا آلو بمالي صنيعة * فاوله زاد وآخره ذخر
غنينا زماناً بالتصعلك والغنى * وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذى قرابة * غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر

وقوله يصف طارقا

عرا آيساً شبه الجنون وما به * جنون ولكن كيد أمر يحاوله

فاقبت نارى ثم أبرزت ضوءها * واخرجت كلبى وهو في البيت داخله

وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * رشدت ولم اقعد اليه أسائله

وقمت الى البزل الهجان أعدها * لوجبة حق نازل أنا فاعله

وقوله ايضاً

حنت الى الاجبال اجبال طيء * وحنت قلوصى أن رأت شوط أحمرا

وانى لمزجاء المطى على الوجى * وما أنا من خلانك ابنة عفزرا

فلا تسألينى واسألى أى فارس * اذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا

فلا تسألينى واسألى بي صحابتى * اذا ما المطي في الفلاة تضورا

وأننى كاشلاء اللجام ولن ترى * اخا الحرب الا ساهم الوجه أغبرا

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقوله أيضاً

وعاذلتين هبتا بعد هجعة * تلومان متلافا مفيداً ملوّما

لحا الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً

ولله صعلوك يساور همه * ويمضى على الاحداث والهون مقدما

اذا مارأى يوما مكارم أعرضت * تيمم كبراهن ثمت صمما

ترجمة زيد الخير

﴿ وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك ﴾

هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائي فارس مظفر بعيد الصيت أدرك الاسلام وأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وهو شاعر مفلق معدود من الشعراء والفرسان وانما سمى زيد

الخيل لكثرة خيله فانه لم يكن لكثير من العرب غير الفرس والفرسين وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره مثل المطال وكامل ودول ولاحق وكان زيد الخيل عظيم الخلقة طويلا جداً ويسمي مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة من الارض وهي فى الهودج وكذلك أبو زيد الطائى وابن جندل الطعان كما ذكره الرواة (وحكى) أبو عمرو الشيبانى قال وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زر بن سدوس وغيره من طيء فأناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فلما رآهم قال اني خير لكم من العزى ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع ومن الجمل الاسود الذى تعبدونه من دون الله فقام زيد الخيل وكان من أتم الرجال يركب الفرس ورجلاه تخط في الارض كأنه على حمار فقال أشهد أن لااله الا الله وأشهد انك رسول الله فقال ومن أنت قال زيد الخيل بن المهلهل قال بل أنت زيد الخير ثم قال الحمد لله الذى جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام يازيد ماوصف لي رجل فرأيته الا كان دون ماوصف الا أنت فانك فوق ماقيل فيك وفي رواية أخرى ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الاناة والحلم فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل ان سلم من آطام المدينة فأخذته الحمى فمكث سبعاً ثم اشتدت به الحمى فخرج وقال لاصحابه جنبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ولا والله لاأقاتل مسلماً حتى ألقى الله عزوجل فنزل بماء لجرم يقال له فردة واشتدت به الحمى فقال

أمرتحل صحبي المشارق غدوة * وأترك في بيت بفردة منجد

فليت اللواتي عدنني لم يعدنني * وليت اللواتي غبن عني عودي

قوله وابن جندل الخ عبارة القاموس وجندل الطعان بالكسر لقب علقمة ابن فراس من مشاهير العرب اه فلينظر مع ماهنا ويحرر اه من هامش الاصل

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب معه لبني نبهان كتاباً بفدك فمكث زيد الخيل بفردة سبعاً ثم مات فأقام عليه قبيصة بن الاسود النياحة سبعاً ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما نظرت امرأته وكانت على الشرك الى الراحلة وليس عليها زيد ضربتها بالنار فاحترق الكتاب فيما احترق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربها الراحلة بالنار واحتراق الكتاب قال ويل لبني نبهان (وحكى) الشيباني عن شيخ من بني عامر قال أصابتنا سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل من القوم بعياله حتي أنزلهم الحيرة فقال لهم كونوا قريباً من الملك ليصيبكم من خيره حتى أرجع اليكم وآلى ألية لايرجع حتى يكسبهم خيرا فتزود زادا ثم مشى سبعة أيام حتي انتهى الى عطن ابل مع تطفل الشمس فاذا خباء عظيم وفيه قبة من أدم قال فقلت في نفسي مالهذا الخباء بد من أهل وما لهذا العطن بد من ابل فنظرت في الخباء فاذا شيخ قد اختلفت ترقوتاه كانه نسر فجلست خلفه مختفياً فلما وجبت الشمس اذا بفارس قد أقبل لم أر قط فارساً أعظم منه ولا أجسم على فرس مشرف ومعه عبدان يمشيان جنبيه واذا مائة من الابل مع فحلها فبرك الفحل وبركن معه وحوله فقال لاحد عبديه احلب فلانة ثم اسق الشيخ فحلب في عس حتى ملأه ثم وضعه بين يدى الشيخ وتنحى فكرع الشيخ منه مرة أو مرتين ثم نزع فثرت اليه مختفياً فشربته فرجع العبد فقال يامولاى قد أتى على آخر العس ففرح وقال له احلب فلانة فحلبها ثم وضع العس بين يدى الشيخ فكرع منه واحدة ثم نزع فثرت اليه فشربت نصفه وكرهت أن آتي على آخره فجاء العبد فأخذه ثم أمر مولاه بشاة فذبحها وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه فأمهلت حتي اذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت الى الفحل فحللت

عقاله فاندفع وتبعته الابل فهمست ليلتي حتى الصباح فلما علا النهار اذا أنا بفارس قد أقبل واذا هو صاحبي فعقلت الفحل ونثلت كنانتي ووقفت بينها وبين الابل فوقف بعيدا وقال احلل عقاله فقلت كلا لقد تركت نسيات بالحيرة وآليت أن لا أرجع اليهن حتى أفيدهن خيراً أو أموت قال فانك ميت حل عقاله لا أبا لك فقلت هو ما أقول لك قال انك لمغرور ثم قال انصب لي خطامه وفيه ثلاث عجر ففعلت فقال أين تحب أن أضع سهمي فقلت في هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم رمى الثلاثة صائباً فرددت نبلي ووقفت مستسلماً فدنا مني فأخذ السيف والقوس ثم قال اركب وعرف أني الذى شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بي قلت أحسن ظن قال وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بي فقال أتراني كنت اهيجك وقد بت تنادم مهلهلا قلت أزيد الخيل أنت قال نعم فقلت كن خير آخذ قال لا بأس عليك ومضى بي الى موضعه ثم قال أما لو كانت هذه الابل لي لسلمتها لك ولكنها لابنة مهلهل فأقم عليّ فاني على شرف غارة فاقمت أياما ثم أغار على بني نمير بالملح فأصاب ابلا فاعطانيها وبعث معي خفيراً من ماء الى ماء حتى وردت الحيرة (وحكى) الاصمعى قال أسر زيد الخيل الحطيئة الشاعر وكعب بن زهير فى حرب فأما كعب ففداه قومه وأما الحطيئة الشاعر فشكا الحاجة فقال زيد

أقول لعبدى جرول اذ أسرته * أثبنى ولا يغررك أنك شاعر

فقال الحطيئة

ان لا يكن مالي بآت فانى * سيأتي ثنائي زيدابن مهلهل
فما نلتنا غدرا ولكن لقيتنا * غداة التقينا في المضيق باخيل
تفادي حماة الخيل من وقع رمحه * تفادي ضعاف الطير من وقع أجدل

قوله ان لا يكن هكذا فى النسخ وفيه الخرم كما لا يخفى اه من هامش الاصل

فرضي عليه زيد ومن عليه فلما رجع الحطيئة الى قومه قام شاكرا لزيد ذاكرا لنعمته فلما أسرت طيء بني بدر طلبت فزارة الى شعراء العرب أن تهجو بني لام وزيدا فتحامتهم الشعراء فصاروا الى الحطيئة فأبى عليهم فقالوا نجعل لك مائة من الابل فقال لو جعلتموها ألفا مافعلت ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تأتيني

ومن شعر زيد الخيل قوله

بني عامر هل تعرفون اذا غدا * أبو مكنف قد شد عقد الدوابر
بجيش تظل البلق في حجراته * ترى الأكم منه سجدا للحوافر
أبت عادة للورد أن تكره القنا * وحاجة رمحي في نمير وعامر

وقوله وقد غزا غزوة فضلع فرس من خيله فلم يتبع الخيل فأخذه بنو الصيداء

يابني الصيداء ردوا فرسي * انما يصنع هذا بالذليل
لاتذيلوه فاني لم أكن * يابني الصيد المهرى بالمذيل
عودوه بالذي عودته * دلج الليل وايطاء القتيل

وقوله أيضاً

جلبنا الخيل من أجا وسلمى * تخب ترابعاً خبب الذئاب
ضربن بغمرة فخرجن منها * خروج الودق من خلل السحاب
وقد علموا بنو عبس وبدر * ومرة انني شقب عقابي

ترجمة سليك ابن سلكة]

﴿ والسليك ابن السلكة انما عدا على رجليك ﴾

هو السليك بن عمرو بن يثربي أحد بني مقاعس وأمه السلكة جاهلي قديم وهو أحد صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا

يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل (حكي) ابن شهاب قال كان السليك السعدى اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة فيجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا لم يقدر أغار على ربيعة وكان يقول اللهم انك تهيء ما شئت لمن شئت اللهم اني لو كنت ضعيفاً لكنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم انى أعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة فذكروا انه أملق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بابله حتى أمسى في ليلة من ليالى الشتاء مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه فقال له استأسر فرفع السليك رأسه وقال الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا فجعل الرجل يلهزه ويقول ياخبيث استأسر فلما آذاه أخرج السليك يده وضم الرجل ضمة ضرط منها وهو فوقه فقال السليك أضرطا وأنت الاعلى فذهبت مثلا ثم قال السليك من أنت قال رجل افتقرت فقلت لأخرجن فلا أعود الى أهلي حتى أستغنى قال فانطلق معي فانطلقا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا جميعا حتى أتوا الجوف وهو جوف مراد فلما أشرفوا عليه اذ فيه نعم كثيرة فهابوا أن يغزوا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب فقال لهم السليك كونوا قريباً حتى آتي الرعاة فاعلم لكما علم الحي أقريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت اليكم وان كان بعيدا قلت لكم قولا أومىء اليكم به فاغزوا فانطلق حتى أتي الرعاة فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي فاذا هو بعيد ان طلبوا لم يدركوا فقال السليك للرعاة ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته وغنى

ياصاحبي ألا لاحيّ بالوادي * الا عبيد قيام بين أذواد

هل تنظران قليلا ريث غفلتهم * ام تغدوان فان الرابح الغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فطردا الابل فذهبوا باكرا بأكثرها ولم يبلغ الصريخ الحي حتي فاتوهم (وحكى) أبو عبيدة قال بلغني أن السليك رأى طلائع لبكر بن وائل وكانوا منحدرين ليغزوا على بني تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك أنذر بنا قومه فبعثوا له فارسين على جوادين فلماها يجاه خرج يحضر كأنه ظبي وطارداه عامة يومهما ثم قالا اذا كان الليل أعيا ثم سقط وأقصر عن العدو فنأخذه فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فتبرأ عنها وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد أثرت بالارض فقالا ياله أخزاه الله وهما بالرجوع ثم قالا لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر فتبعاه فاذا أثره متنضحا قدبال فرغا فى الارض وخدها فقالا ياله قاتله الله فما رأينا أشد منه لانتبعه أبدا فانصرفا ووصل الى قومه فانذرهم فكذبوه لبعد الغاية فأنشد يقول

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب

ثكلتهما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحرب موكب

وجاء الجيش فأغاروا (وحكى) الاصمعي أن السليك لقى رجلا من خثعم ومعه امرأة فأخذه فقال له الخثعمي أنا أفدى نفسى منك فقال له السليك ذلك لك على أن لاتخيس بي ولا تطلع على أحدا من خثعم فخالفه وخالف عنده امرأته رهينة ورجع الى قومه فنكحها السليك وجعلت تقول له احذر خثعم فاني أخافهم عليك فقال

وما خثعم الا لئام أذلة * الى الذل والاسحاق تمى وتنتمى

وبلغ خبره شبل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعمى فخالفا الى السليك فلم يشعر الا وقد طرقاه بالخيل فأنشأ يقول

من مبلغ قومى أنى مقتول * يارب قرن قد تركت مجدول

ورب زوج قد نكحت عطبول * ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه وليس له طريق للعــدو فقتلاه * ومن شعره وقد أغار بقوم فانصرفوا عنه خوفا من العطش وبقي معه رجــل يسمى صردا فبكي فقال السليك منشدا

بكي صرد لــا رأى الحي أعرضت * مهامــه رمــل دونه وسهوب

فقلت له لاتبــك عينــك انهــا * قضيــة مايقضــي لنــا فنــؤب

سيكفيك صرب القوم لحم مغرض * وماء قدور في القصاع مشوب

أقول الصرب اللــبن الحامض وماء القدور المرق كأنه يقول ستستغني وتأكل اللحم بعد اللبن وقوله

ألا عتبت عليّ فصــارمتــني * وأعجبها ذوو اللمم الطوال

أشاب الرأس أني كل يوم * أرى لي خالة وسط الرجال

يشق عليّ أن يلقــين ضيما * ويقصر عــن تخلصهن مالي

ترجمة ملاعب الاسنة

﴿وعامر بن مالك انمــا لاعب الاسنة بيديك﴾

هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة المعروف بملاعب الأسنة ويكنى أبا براء وأمه أم البنين أنجب امرأة في العرب وذلك أنها ولدت من مالك بن جعفر خمسة أبا براء والطفيل أبا عامر بن الطفيل وربيعة أبا لبيد ونزاوا ومعاوية ويسمى معوّد الحكماء وقد افتخر بها لبيد عند النعمان فقال * نحن بني أم البنين الاربعه * وانما قال الاربعه لضرورة الشعر ونصب بني على المــدح وأبو براء هو رجل من فرسان العرب المشهورين وكبارهم وانمــا لقب ملاعب الاسنة لقول أوس بن حجر فيه

يلاعب أطراف الاسنة عامر * فراح له حظ الكتائب أجمع

وقيل لقول آخر وقد فر عنه أخوه في حرب

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

وقيل لقول حسان بن نمير وقد رآه بين فرسان أطافوا به يقاتلهم ماهذا الاملاعب الاسنة * ووفد عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم وزعم بنو جعفر انه مات مسلماً حيث حدث خالد بن عبد الله قال قدم عامر بن مالك أبو براء ملاعب الاسنة وأمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له فرسين وراحلتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قبلت هدية مشرك لقبلت هديتك وعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك فان تبعوك فما أعز أمرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخاف عليهم أهل نجد فقال عامر لاتخف اني جار لهم ان تعرض لهم أحد من أهل نجد فبعث معه أربعين رجلا من الانصار وقيل سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو فلما نزلوا بماء من مياه بني سليم يقال له بئر معونة عسكروا وسرحوا ظهورهم وبعثوا مع سرحهم الحرث بن الصمة وعمرو بن أمية وقدموا حزام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر فلما انتهى حزام لم يقرؤا الكتاب ووثب عامر بن الطفيل على حزام فقتله واستصرخ عليهم بني عامر فأبوا وقد كان عامر بن مالك خرج قبل القوم الى ناحية نجد وأخبرهم انه جار أصحاب محمد فلا تتعرضوا لهم فقالوا لن نخفر جوار أبي براء وأبوا أن ينفروا مع ابن الطفيل فاستصرخ قبائل من بني سليم فنفروا معه ورأسوه عليهم فقال ابن الطفيل أقسم بالله ماأقتل هذا وحده فاتبعوا أثره حتى وجدوا القوم فقاتل القوم حتى قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي المنذر

ابن عمرو فقالوا له ان شئت أمناك فقال لن أقبل منكم أمانا حتى آتي مقتل حزام فأمنوه حتى أتي مصرعه ثم برئوا من أمانه فقاتلهم حتى قتل وأقبل الحرث بن الصمة وعمرو بن أمية بالسرح وقد ارتابا بعكوف الطير قريباً من منزلهم فجعلا يقولان قتل والله أصحابنا ثم أوفيا على نشز من الارض فاذا أصحابهما مقتولون والخيل واقفة فقال الحرث لعمرو ماترى قال أرى أن ألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال الحرث ما كنت لأتأخر عن موطن قتل فيه المنذر فاقبلا فلقيا القوم فقاتلهم الحرث حتى قتل منهم اثنين ثم أخذوه فأسروه وأسروا عمرو بن أمية وقالوا للحرث ماتحب أن نصنع بك فانا لانحب قتلك فقال ابلغوا بي مصرع المنذر وبرئت ذمتكم فبلغوا به مصرع الرجل ثم أطلقوه فقاتلهم وقتل منهم اثنين فشرعوا له الرماح حتى نظموه فيها قتلا وقال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية وهو أسير في أيديهم لم يقاتل انه كانت على أمي نسمة فأنت حر عنها وجز ناصيته فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بئر معونة جعل يقول هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً ودعا على من قتلهم بعد الصبح في الركعة الثانية من صبح تلك الليلة التي جاءه فيها الخبر فلما قال سمع الله لمن حمده قال اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم عليك ببني ذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله قال ذلك خمس عشرة ليلة حتى نزلت الآية ليس لك من الامر شيء ثم أقبل أبو براء سائراً وهو شيخ كبير هرم فأخبر بما فعل ابن الطفيل فشق ذلك عليه ولا حركة به من الضعف وقال أخفرني ابن أخي مرتين وسار حتى لحق ابن الطفيل فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله وقيل كان الطاعن ربيعة ولده فتصايح الناس فقال ابن الطفيل انها لم تضرني وقد وهبتها لعمي وانصرف عنه ونزل عامر بن مالك بقومه فدعاهم الى

الارتحال الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب ثار القتلى الذين كانوا في جواره فتثاقلوا عليه وقال له بعض بني أخيه انهم يقولون انه حدث لك عارض في عقلك فدعا ابن أخيه لبيدا وقينة له فشرب وقال لها غني ثم قال يالبيد لو حدث بعمك حدث ما كنت قائلا فان قومك يزعمون أن عقله ذهب والموت خير من ذهاب العقل وبعضهم يرويها من عزوب العقل وقال يالبيد اسمع

قوما تنوحان مع الانواح * فأبنـا ملاعب الرماح

أبا براء مدره الشياح * كان غياث المرمل المتاح

وهي من أبيات ثم شرب أبو براء الخمر صرفا حتى مات وهو يقول لاخير في العيش وقد عصتني بنو عامر وبنو جعفر يزعمون انه مات مسلما وكان شريف بيته يزعمون أنه لما تنافر ابن أخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الاعانة فأعطاه نعليه وقال استعن بهما في مفاخرتك فاني ربعت فيهما أربعين مرباعاً مع انه كان كارهاً للمنافرة وفي ذلك يقول

أآمر أن أسب بني شريح * ولا والله أفعل ماحييت

ومن أحسن ماسمعت من شعره قوله

لحا الله أنآنا عن الضيف بالقرى * والأمنا عن عرض والده ذبا

وأدخلنا للبيت من قبل استه * اذا القور أبدى من جوانبه ركبا

القور الاكم والجبال الصغار يعني ان البخيل اذا كان جالساً بفنائه فرأى راكباً قد لاح من القور زحف بظهره داخلا الى بيته فرارا وخشية من الضيف كيلا يراه فيطرقه

ترجمة قيس بن زهير

﴿ وقيس بن زهير انما استعان بدهائك ﴾

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين داحس والغبراء كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه كان فارساً شاعراً داهية يضرب به المثل فيقال أدهى من قيس (حكى) المدائني ان رجلا مرّ بحيّ الاحوص فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجيرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب فنظر الاحوص والقوم في أمره فعيّ به فقال أرسلوا الي قيس بن زهير فجاء فقال له الاحوص ألم تخبرني انه لا يرد عليك أمر الا عرفت مأتاه مالم تر نواصي الخيل قال فما الخبر فاعلموه فقال وضح الصبح لذي عينين فصار مثلا يضرب في وضوح الشيء ثم قال هذا رجل أسره جيش قاصد لكم ثم أطلق بعد ان أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم فعرض لكم بما فعل أما الصرة من التراب فانه يزعم انه قد أتاكم عدد كثير وأما الحنظلة فانه يخبر أن بني حنظلة غزتكم وأما الشوك فانه يخبر أن لهم شوكة وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم او بعدهم ان كان حلواً أو حامضاً فاستعد الاحوص وورد الجيش كما ذكر (وحكى) ان النعمان بن المنذر أرسل الى أبيه زهير يخطب ابنته وسأله ان يبعث اليه ببعض بنيه فارسل اليه ولده شاسا فلما قدم عليه أكرمه وأحسن جائزته ورده الى ابيه وعرض عليه ان يتبعه قوما يخفرونه فقال لا شئ أمنع لي من نسبتي الى أبي وخرج وحده فمر بماء من مياه بني غني فأكل وشرب ونزل الى الماء يغتسل وكان رياح ابن الاشل الغنوي نازلا في بيته على الماء ومعه امرأته فرآها تحدث

النظر الى جسد شاس وقد شما منه رائحة المسك فاخذته غيرة ففوّق اليه سهماً فقتله وغيب أثره واخذ مامعه وكان معه عيبة مملوءة مسكا وعطرا من عطر النعمان وحللا من ثيابه وابطأ خبر شاس عن زهير فأخبر بما انصرف به من عند النعمان ولم يدر من قتله فقلق لذلك فقال قيس ياابت أنا أكشف لك خبر أخي ثم دعا بامرأة حازمة من نساء قومه وكانت لسنة شديدة فامرها ان تأخذ لحماً سميناً فتقدده وتخرج به الى بنى عامر وغني وتعرض ذلك عليهم وتقول اني قد زوجت ابنتي وأنا ابتغي لها طيباً وثياباً ففعلت الى ان وقفت على امرأة الغنوى فقالت لها ان كتمت علي أعطيتك حاجتك وأخبرتها بامر شاس وأعطتها مسكا وثياباً وباعتها ذلك بما معها من الشحم واللحم وخرجت العبسية حتى أتت قيساً فاخبرته فاخبر أباه فركب في قوم من بنى عبس وأغار على غني فقتلهم وفرقهم (وحكي) انه في بعض حروبه لبني ذبيان وهو يوم الشعب المشهور صعد بالجيش والنعم الى الجبل وعقل الابل عشرة أيام لاتشرب والماء كثير تحت الجبل فلماهمت بنو ذبيان بالصعود الى الجبل حل عقال الابل وأمسك بذنب كل بعير رجل معه سلاحه فمرت الابل طالبة الماء لاتمر بشيء الا طحنته والرجال في أعقابها تضرب من مرت به فكانت الهزيمة على بني ذبيان (وحكي) أنه لما تطاولت الحروب بينه وبين حذيفة وحمل ابني بدر الذبيانيين جمع جمعاً عظيما وبلغ بني عبس أنهم قد ساروا اليهم فقال قيس أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئن على سيفي الى أن يخرج من ظهرى قالوا فانا نطيعك فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ثم ارتحلوا في الصبح وأصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من

الثنايا فقال قيس خذوا غير طريق المال فلا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ولا يريدون غير ذهاب أموالكم فاخذوا غير طريق المال فلما أدرك حذيفة الاثر ورآه قال أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم وسارت ظعن عبس والمقاتلة من ورائهم وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال فلما أدركوه ردوا أوله على آخره ولم يفلت منهم شيء وجعل الرجل يطرد ماقدر عليه من الابل فيذهب بها وينفرد واشتد الحر فقال قيس ياقوم ان القوم قد فرق بينهم المغنم واشتغلوا فاعطفوا الخيل في آثارهم فلم يشعر بنو ذبيان الا بالخيل فلم يقاتلهم كثيرا أحد وانما كان هم الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضي فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم يكن لهم هم غير حذيفة فارسلوا الخيل تقص أثرهم وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يقص أثره ثم شدالحزام فعرفوا حنف فرسه والحنف أن تميل احدى اليدين على الأخرى فتبعوه ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وهو موضع بماء الهباءة وقد اشتد الحر وقد رمى بنفسه ومعه حمل بن بدر أخوه وورقاء بن بلال وقد نزعوا سلاحهم وطرحوا سروجهم ودوابهم تمعك وجعل ربيئتهم يتطلع فاذا لم ير شيأ رجع فنظر نظرة فقال اني رأيت شخصاً كالنعامة فلم يكترثوا بقوله وبيناهم يتكلمون اذ دهمهم شداد بن معاوية فحال بينهم وبين الخيل ثم جاء قرواش وقيس حتى تتاموا خمسة فحمل بعضهم على خيلهم فطردها وحمل البقية على من في الجفر فقال حذيفة يابني عبس فأين العقول والاحلام فضربه أخوه حمل بين كتفيه وقال اتق مأثورالقول فذهبت مثلا يعني انك تقول قولا تخضع فيه وتقتل ويشتهر عنك وقتل حذيفة وحمل ومن معه وتمزقت بنو ذبيان وأسرف قيس في النكاية

والقتل ثم ندم على ذلك ورثى حمل بن بدر بالابيات المشهورة في الحماسة وهو أول من رثى مقتوله ولما أطال الحروب ومل أشار على قومه بالرجوع الى قومهم ومصالحتهم فقالوا سر نسر معك فقال لا والله لا نظرت في وجهي ذبيانية قتلت أباها أو أخاها أو زوجها أو ولدها ثم خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط فقال يامعشر النمر أنا قيس ابن زهير غريب حرب فانظروا الي امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر فزوجوه امرأة منهم ثم قال اني لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقي اني امرؤ غيور فخور أنف واست أفخر حتى أبتلي ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم فرضوا بأخلاقه فأقام فيهم زمانا ثم أراد التحول عنهم فقال يامعشر النمر اني أرى لكم علي حقاً بمصاهرتي لكم ومقامي بين أظهركم واني آمركم بخصال وأنهاكم عن خصال عليكم بالأناة فبها تدرك الحاجة وتسويد من لا تعابون بتسويده والوفاء فبه تعايشون واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح وخلط الضيف بالالزام واياكم والرهان فبه ثكلت مالكا أخي والبغي فانه صرع زهيراً أبي وحملا والسرف في الدماء فان قتل أهل الهباءة أورثني العار ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق ثم رحل الى عمان فأقام بها حتى مات وقيل انه خرج هو وصاحب له من بني أسد عليهما المسوح يسيحان في الارض ويتقوتان مما تنبت الى أن دفعا في ليلة قرة الى أخبية لقوم من العرب وقد اشتد بهما الجوع فوجدا رائحة القتار فسعيا يريدانه فلما قاربا أدركت قيساً شهامة النفس والانفة فرجع وقال لصاحبه دونك وما تريد فان لي لبثاً على هذه الاجارع أرقب داهية القرون الماضية فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة بأسفل واد فنال من ورقها شيئاً ثم مات وفي ذلك

يقول الحطيئة من أبيات

انّ قيساً كان ميتته * أنفاً والحر منطلق
في دريس لايغيّبه * رب حر ثوبه خلق

ومن شعر قيس بن زهير يرثي حمل بن بدر يقول

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة لايريم
ولولا ظلمه مازلت أبكي * عليه الدهر مابدت النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل علي قومي * وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال وماوسوني * فمعوج علي ومستقيم

(وقوله أيضاً)

تعرفن من ذبيان من لولقيته * بيوم حفاظ طار في اللهوات
ولو ان سافي الريح يجعلكم قذى * لاعيننا ماكنتم بقذاة

(وقوله أيضاً)

اذا أنت أقررت الظلامة لامرئ * رماك بأخرى شعبها متفاقم
فلا تبد للاعداء الا خشونة * فمالك منهم ان تمكن راحم

ترجمة اياس ابن معاوية

(واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك)

هو اياس بن معاوية بن قرة المزني قاضي البصرة وكنيته أبو واثلة صاحب الفراسة والاجوبة البديعة يضرب به المثل فيقال أزكن من اياس والزكن التفرس في الشئ بالظن الصائب قال الشاعر * زكنت منهم على مثل الذى زكنوا * وبعض الناس يقول أذكى من اياس وهو الذى أراده أبو تمام في قوله * في حلم أحنف في ذكاء اياس * (حكى) ابن عائشة قال أول ماعرف من ذكاء اياس

انه دخل الشام وهو صغير فقدم خصما له شيخاً الى قاضى عبد الملك ابن مروان وكان القاضي يعرف الخصم فقال لاياس أما تستحي تقدم شيخاً كبيرا فقال اياس الحق أكبر منه قال له اسكت قال فمن ينطق بحجتى اذا سكت قال ما أحسبك تقول حقاً حتى تقوم قال أشهد أن لااله الا الله فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره الخبر فقال اقض حاجته واصرفه عن الشام لئلا يفسد علينا الناس (وحكى) غيره قال أول ماعرف من ذكاء اياس انه كان صبياً في المكتب فاجتمع قوم من النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا ان المسلمين يزعمون أنه لايكون فى الجنة ثفل الطعام يعنون الغائط فقال اياس لمعلمه يامعلم أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب في البدن قال نعم قال فما ينكر أن يكون الباقى يذهبه الله فى البدن فسكت النصارى وأعجب به المعلم (وحكى) انه دخل الى الشام مرة ثانية وأراد الحج فقال للمكارى انظرلي انساناً غريباً فاني أريد أن أخرج سراً يعني عديله فاكراه فلبثا في المحمل ثلاثاً لايسأل هذا هذا شيئاً فقال اياس ياعبد الله بعد ثلاث لا أصبر من أنت قال غيلان فقال غيلان العذرى قال نعم فمن أنت قال اياس قال أبو واثلة قال نعم ان شئت سألتني وان شئت سألتك فقال له غيلان تكلم قال ان شئت أخبرتك بخبر أهل الجنة والنار والملائكة والشيطان والعرب والعجم فقال غيلان أخبرني بها قال قال أهل الجنة حين دخلوها الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال أهل النار حين دخلوها ربنا غلبت علينا شقوتنا وقالت الملائكة لاعلم لنا الا ماعلمتنا وقال الشيطان رب بما اغويتني وقالت العرب

ولا يمنعنك الطير شيئاً أردته * فقد خط بالاقلام ما كنت لاقياً

وقالت العجم هرچه بايدبان بودهمان‌ازبيش * وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل رجلا من أهل الشام وأمره أن يجمع بين اياس والقاسم بن ربيعة ويولي القضاء أنفذهما فجمع بينهما فكان كل منهما يمتنع من الولاية فقال اياس للشامي سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن البصري وابن سيرين فعلم القاسم انه ان سأل عنهما أشارا به فقال للشامي لا تسأل عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياساً لافضل مني وأعلم بالقضاء فان كنت ممن يصدق فينبغي لك أن تصدق قولي وان كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني القضاء وأنا كذاب فقال اياس للشامي انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة يستغفر الله عز وجل منها وينجو من النار فقال الشامي أما اذ فطنت لها فاني أوليك فاستقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى اياس وقال يا أبا سعيد بلغني أن القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قص الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاي ثم قرأ قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلماً فحمد سليمان ولم يذم داود (وحكى) المدائني قال أودع رجل رجل آخر كيساً فيه دنانير وغاب مدة طويلة فلما طال الامر فتق الرجل الكيس وأخذ الدنانير ووضع عوضها دراهم والخيط والخاتم على حاله ثم قدم صاحب المال فطلب ماله فدفع له الكيس بخاتمه فلم يقبله وقال هذه دراهم ومالي دنانير فقال هذا كيسك وخاتمك فرفعه لابن هبيرة فقال لاياس انظر بينهما فقال اياس منذ كم أودعك قال منذ عشرة أعوام فقال فضوا الخاتم ففضوه ونثروا الدراهم فوجدوا فيها ضرب خمس سنين وست سنين وأقل وأكثر فقال اياس

قد أقررت انه عندك مئذ عشر سنين وفي الكيس ضرب خمس سنين فأقر بالدنانير وألزمه اياها * ونظر اياس يوما الى رجل لم يره قط فقال هذا غريب واسطى معلم صبيان هرب له غلام فوجدوا الامر كذلك فسئل عن ذلك فقال رأيته يمشي ويلتفت فعلمت انه غريب وأيضاً رأيت على ثوبه حمرة تراب واسط فعلمت انه من أهلها ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ولا يسلم على الرجال فعلمت انه معلم ورأيته اذا مر بذي هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود ذي أسمال تأمله فعلمت انه يطلب آبقا * ووجده يوما الحكم بن أيوب عامل البلد فسبه وقال انك خارجي منافق فائتني بكفيل فقال أنت أيها الامير تكفلني ولا أعلم أحداً أعرف منك بي فقال وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق فقال اياس ففيم الشهادة منذ اليوم * وتبصر الناس هلال شهر رمضان فلم يره أحد غير أنس بن مالك وقد قارب المائة سنة من العمر فشهد عند اياس فقال اياس أشر لنا الى موضعه فجعل يشير ولا يرونه فتأمل اياس واذا بشعرة بيضاء من حاجب أنس قد انثنت وصارت على عينيه فمسحها اياس وسواها ثم قال ياأبا حمزة أرنا موضع الهلال فنظر فقال ماأرى شيئاً * وقيل لاياس يوما ان فيك عيوباً دمامة الشكل واعجابك بما تقول وعجلة بالحكم فقال أما الدمامة فليس أمرها اليّ وأما الاعجاب بالقول أفليس يعجبكم ما أقول قالوا نعم قال فانا أحق بالاعجاب بقولي وأما العجلة بالحكم فكم هذه ومد أصابع يده فقالوا خمس فقال أعجلتم بالجواب ولم تعدوها أصبعاً أصبعا فقالوا كيف نعد ما نعلمه فقال وأنا كيف أؤخر حكم ماأعلمه * ودخل الى واسط فقال يوم قدمت بلدكم عرفت خياركم من شراركم من غير أن أكشف عنهم قالوا كيف قال معنا قوم خيار ألفوا منكم قوما وقوم شرار ألفوا قوما فعلمت أن

خياركم من ألفه خيارنا وكذلك شراركم وكان يقول عرفت الزكن من أمي وكانت خراسانية وأهل بيتها يزكنون أي يتفرسون. ولاياس أخبار كثيرة من هذا الباب مجموعة في كتاب يسمى زكن اياس *ومات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة وقال في العام الذي مات فيه رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين فجريا جميعاً فلم أسبقه ولم يسبقني وكان ابوه ايضاً قدمات وهو ابن ست وتسعين سنة

ترجمة سحبان وائل

﴿ وسحبان انما تكلم بلسانك ﴾

هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلي وائل باهلة خطيب مفصح يضرب به المثل في البيان أدرك الاسلام وأسلم ومات سنة اربع وخمسين (وحكى) الاصمعي قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ *وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فاقتضب من ناحية اقتضابا وادخل عليه فقال تكلم فقال انظروا الي عصا تقوّم من أودي قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده فضحك معاوية وقال هاتوا عصاً فجاؤا بها اليه فركلها برجله ولم يرضها وقال هاتوا عصاي فأتوا بها فأخذها ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر الى ان قامت صلاة العصر ماتنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شيء فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده فأشار اليه سحبان ان لا تقطع علي كلامي فقال معاوية الصلاة قال هي امامك ونحن في صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية أنت أخطب العرب فقال سحبان والعجم والجن والانس * ومما روي عنه في بعض خطبه البليغة يقول ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار

ايها الناس خذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان يخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ماقدم لله قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم * ومن شعره يمدح طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعي

يا طلح أكرم من بها * حسباً واعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطني * وعلي مدحك في المشاهد

فيقال ان طلحة قال له احتكم قال فرسك الورد وقصرك بكذا فقال طلحة اف لك لو سألتني علي قدري اعطيتك كل فرس لي وكل قصر ولكن ابيت الا باهليتك

ترجمة عمرو بن الاهتم

﴿وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك﴾

هو عمرو بن سنان الاهتم بن سمى التميمي المنقرى وانما لقب سنان بالاهتم لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب * وعمرو من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام وهو بليغ القول طلق العبارة وكان يدعى المكحل لجماله وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزبرقان بن بدر فأسلما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمهما فسأل يوما عمرا عن الزبرقان بحضوره فقال مطاع فى ناديه شديد العارضة في قومه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يارسول الله انه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني فقال عمرو أما والله لئن علمت ماقد علمت فانه زمن المروءة أحمق الاب لئيم الخال ضيق الطعن حديث الغنى فرأى تغير النبي صلى الله عليه وسلم

لنا اختلاف قوله فقال يا رسول الله لا تغضب لما رضيت قلت أحسن ما علمت ولما غضبت قلت أقبح ما علمت فوالله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال صلى الله عليه وسلم (ان من البيان لسحرا) واختلف قوم في معنى الحديث ان من البيان لسحرا فقال قوم أريد به المدح فان البيان الفهم وانما سمى سحرا لحدة عمله وسرعة قبول القلب له والتعجب منه كما يتعجب من السحر وقد اتفق الناس على ان تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق من أعلى درجات البلاغة وقال قوم أريد به الذم لأن السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق واحتجوا بقوله عليه السلام الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق والاول أصح وانما سمى البيان هنا نفاقا اذا كان من البذاء (وحكى) العتبي قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاراد أن يقرع بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الاحنف وهي من سقطاته

نوى قدح عن قومه طول ما نوى * فلما اتاهم قال قوموا ففاخروا

فقال عمرو انا كنا نحن وأنتم في دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم وسبينا نساءكم واليوم في دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا ولك فغلب يومئذ عمرو على الاحنف ووقعت القرعة لآل الاهتم فقال عمرو

ولما دعتني للرياسة معشر * لدى مجلس أضحى به النجم باديا

شددت لها أزرى وقد كنت قبلها * لامثالها قد ما أشد ازاريا

وتوفي في سنة سبع وخمسين وكان يقول أشجع الناس من رد جهله بحلمه وكان يقول اف للخمر وكان ممن حرمها في الجاهلية وقال لو كان شئ يشترى ما كان شئ أنفس منه يعني العقل فالعجب لمن يشترى

الحمق بعاله فيدخله في رأسه فيقيء في جيبه ويسلح في ذيله ومن شعره وهو في أعلى الطبقات قوله

ومستنبح بعد الهدو دعوته * وقد حان من ساري الشتاء طروق
يعالج عرنينا من الليل باردا * تلف رياح ثوبه وبروق
أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل * لأحرمه ان المكان مضيق
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * فهذا مبيت صالح وغبوق
وقمت الى البذل الهواجد فاتقت * مقاصيد كوم كالمجادل روق
بأدماء مرتاع النتاج كأنها * اذا عرضت دون العشار عنيق
فقام اليها الجازران فاغلوا * يطيران عنها الجلد وهي تفوق
فجرا الينا ضرعها وسنامها * وأزهر يحبو للقيام عتيق
وبات لنا منها وللضيف موهنا * عشاء سمين آهن ووشيق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى * وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
نمتني عروق من زرارة للعلا * ومن فدك والاسد عز عروق
مضاريب يجعلن الفتى في أرومة * يفاع وبعض الوالدين رقيق

وقوله أيضاً من أبيات

وذي لوثة منهي الرقاد بعينه * بغام رخيم الصوت ألوث فاتر
فقلت له كمش ثيابك وارتحل * والا يكايدك السري والهواجر
اذا ما نجوم الليل صارت كأنها * هجان يطلعن الفلاة صوادر
شآمية الا سهيلا كأنه * فنيق غدا عن شولة وهو جافر

وقوله وهو أحسن ما للمتقدمين في هذا المعنى

تطارحني يوم جديد وليلة * هما أبليا جسمي وكل فتى بالي
اذا ما سلخت الشهر أهللت بعده * كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي

قوله ومستنبح الى آخر القصيدة ينبغي مراجعة هذه القصيده في مظانها فانها وان صححت حسب الامكان الا انها لاتخلو عن نظر وتحريف مابيدي من الاصول وكذلك الابيات الاربعة بعدها اه من هامش الاصل

مطلب الصلح بين بكر وتغلب

﴿ وان الصلح بين بكر وتغلب تمّ برسالتك ﴾

بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس كما تقدم في ذكر جساس ومهلهل واستمرت أعواما كثيرة الى أن تفانى الحيان وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى أخواله ضجراً من الحرب وتطاول المدة ومال من بقى من القوم الى صلح بعضهم بعضاً وواسلهم الحرث ابن عمرو بن معاوية الكنديّ ملك كندة وهو جد امرئ القيس الشاعر في الصلح بينهم والتملك عليهم وقد كانوا قالوا ان سفهاء نا قد غلبوا على أمرنا وأكل القويّ الضعيف والرأي أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوي ويرد المظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب فأجابوا الحرث بن عمرو الى ماأراد فقدم عليهم وتلافى بقيتهم وأصلح أمرهم وشغلهم بغزو اللخميين من بني غسان ملوك الشام وكان الحرث ملكا جليلا رفيع الهمة ويسمى آكل المرار وانما سمي بذلك لان زياد بن الهبولة أحد ملوك الشام غزا أرضه والقوم خلوف بالبحرين فأصاب سبياً وغنائم وسبى هند بنت ظالم زوجة الحرث بن عمرو فبلغ الحرث الخبر فخرج للقاء ابن الهبولة وأرسل سدوس بن سنان وخليع بن وهب يتجسسان له الخبر في عسكر ابن الهبولة فخرجا حتي هجما على العسكر ليلا وقد أمن الطلب وقسم النهب وأخذ الرباع وأوقد ناراً عظيمة ونادى مناديه من جاء بحزمة حطب فله قدره من تمر فأخذ كل منهما حزمة من الحطب وألقاها عند النار وأخذا التمر فأما خليع فقال يكفي هذه آية والتصرف وأما سدوس فقال لاأبرح حتى آتيه بأمر جليّ فلما دخل ابن الهبولة قبته قرب سدوس منها بحيث يسمع كلامه وأقبل ناس يحرسون القبة

فضرب سدوس يده الى جليس له مخافة أن يستنكره فقال من أنت فقال فلان ودنا ابن الهبولة من هند امرأة الحرث فقبلها وداعبها وقال ماظنك الآن بالحرث قالت ماهو الظن بل هو اليقين انه لن يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر يعني الشام وكأني أنظر اليه في فوارس من شيبان يدمرهم ويدمرونه وهو شديد الكلب كأنه بعير أكل مراراً فسمي آكل المرار والمرار نبت فيه مرارة اذا أكلت منه الابل قلصت مشافرها وقيل بل سمعها سدوس يعني هندا تقول لابن الهبولة وقد سألها عن حبها الحرث فقالت والله ماأبغضت نسمة قط بغضي له وما رأيت أحزم منه نائماً ومستيقظاً وكان اذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عساً من لبن فبينا هو نائم يوما وأنا قريب أنظر اليه اذ أقبل سالخ الى العس فشرب منه ثم مج فيه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه فانتبه من نومه فقال عليّ بالاناء فناولته اياه فشمه ثم ألقاه فهريق ثم قال أين ذهب الاسود فقلت مارأيته فقال كذبت فلما سمع سدوس هذه المقالة أمهل حتى نام الحرس وخرج يسرى ليلته حتى صبح الحرث فدخل عليه وهو ينشد

أتاك المرجفون برجم ظن   على دهش وجئتك باليقين

ثم قص عليه ماسمع وكان الحرث جالساً في موضع فيه شيء كثير من نبت المرار فجعل يسمع الحديث ويعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفاً وهولا يعلم انه يأكله من شدة الغيظ الى أن فرغ الحديث ووجد طعمه فسمي آكل المرار ثم لحق ابن الهبولة فقاتله وظفر عليه * ولم يزل ملكا على بني وائل الى أن مات ومن شعره يقول

رب هم جشمته في هواكم   وبعير تركته محسور

وغلام كلفته دلج الليـ   ـل فأضحى كأنه مخمور

ان من غره النساء بشئ | بعدهند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان وسن | كل شئ يجن منها الضمير
كل أنثى وان بدالك منها | آية الحب حبها خيتعور

مطلب حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان

﴿ والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك ﴾

(الحمالات) جمع حمالة وهو ماتحمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة وأصل الحروب بين بني عبس وذبيان أن قيس بن زهير المقدم ذكره كان قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول ووزد بها الى قومه فرآها عمه الربيع بن زياد وكان سيد بني عبس فأخذها منه غصباً فانتقل عنه قيس بن زهير بأهله وماله ونزل على بني ذبيان وسيدهم حمل بن بدر بن حصين وأخوه حذيفة فأكرموه وأحسنوا جواره وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس وانما سمي داحساً لانه كان لرجل من بني يربوع يقال له قرواش وكان له فرس تسمى جلوى ولرجل منهم يقال له حوط فرس يقال له ذو العقال وكان لا يطرقه شيأ وانهم توجهوا في نجعة والفحل مع ابنتين لحوط يقودانه فمرت به جلوى وديقا فلما استنشاها ودي فضحك شباب منهم فاستحيت الفتاتان فارسلتا مقوده فوثب على جلوى ثم جاء حوط وكان سيئ الخلق فرأى عين فرسه فقال ثار والله فأخبر بالخبر فنادى بني يربوع فاجتمعوا فقالوا والله ما أكرهناه قال أريد ماء فرسي فقالوا دونك فاوثقها حوط ثم جعل في يده ترابا وسطا عليها فادخل يده في فرجها وأخرجها فاشتملت الرحم على مافيها فنتجها قرواش مهرا فسماه داحساً لسطوة حوط عليه ودحسه اليد اليها وخرج داحس كانه أبوه ثم ان قيس بن زهير أغار على بني يربوع فغنم وسبى وركب داحساً فتيان من بني دريم فنجوا

وقطعا الخيل فلما رآه قيس أعجب به فدعا الى أن يحمل فداء السبي
ففعلوا وصار لقيس فتراهن رجلان من بنى ذبيان عليه وعلي فرس
لحذيفة تسمى الغبراء أيهما السابق على عشر قلائص وقد قيل ان
داحساً والغبراء فرسا قيس والخطار والحنفاء فرساحذيفةوانهم اجروا
الجميع وقيل تراهنا على فرسى قيس أيهما أسبق وللرواة في ذكر هذا
السباق أخبار مختلفة مطولة جدا تشتمل على امثال وأشعار اختصرتها
لكثرة مافيها من الموضوعات ثم ان الرجلين أخبرا حذيفة بن بدر
بالرهان على فرسه وفرس قيس فرضى به وأرضاه فأتيا قيسا فقالا انا
راهنّا على فرسك فقال راهنا من شئتما وجنباني بني بدر فانهم قوم يظلمون
فقالا قد اوجبنا الرهان مع حذيفة فقال والله ليشملن علينا شراً ثم جاء
قيس الي حذيفة فقال انما جئتك لاواضعك الرهان عن صاحبي فقال
لا والله حتى تأتى بالعشر قلائص فأحفظ ذلك قيساً فغضب وتزايدا حتى
بلغا مائة قلوص ووضعا الرهان على يد رجل من بني ثعلبة وجعلا الغاية
مائة غلوة ثم قادا الفرسين الي الغاية وركبهما فتيان منهما وكان حمل بن
بدر قد جعل شبحاً ماثلا ووضعه في شعب من شعاب هضب القليب
على طريق الفرسين وأكمن فيه فتياناً وأمرهم ان جاء داحس سابقاً أن
يردوا وجهه الي ان تسبقه الغبراء فسبق داحس فأشار اليه من كان في
الشعب فردوا وجهه وجاءت الغبراء وعلم قيس والذى على يده الرهان
بذلك فقال قيس لحذيفة أعطني سبقي وقال الذى على يده الرهان ياحذيفة
أعطوه سبقه فقد سبق داحس فاعطاه السبق ثم ان جماعة من قوم
حذيفة ندموه على دفعه السبق الى قيس ونهاه آخرون عن الشر
وقالوا ان قيساً لم يسبق الي كرمه وانما سبق دابة دابة فابى وبعث
ابنه ندبة بن حذيفة الى قيس يطلب منه السبق فقال هذا سبقي فكيف

أعطيكم اياه فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ له وكان الى جانب قيس رمح فطعنه فدق صلبه واجتمع الحيان وأدوا دية المقتول وأخذها حذيفة دفعاً للشر ثم ان قومه ندموه فعاد الشر بينهم فتحمل قيس بمن معه من قومه ورحل وجمع الفرسان وقامت الفتن بين الحيين الى ان قتل مالك بن زهير أخو قيس وكان الربيع ابن زياد عمهما معتزل الحرب فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان وأنشد

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... بالصبح قبل تبلج الاسحار

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... يرجو النساء عواقب الاطهار

يعني أنه أخذ ثار مالك فندبته النساء وكذلك عادة العرب لاتندب القتيل حتى يؤخذ ثاره ولبعض الادباء اعتراض في قوله بالصبح قبل تبلج الاسحار فان الصبح لايكون الا بعد تبلج الاسحار وأجيب بأقوال منها ان الصبح ههنا الحق الواضح من وصف القتيل الذى هو كالصبح كأن النساء ندبنه بخلاله الحسان الواضحة والبيت الثالث يستشهد به العروضيون على دخول الحذف في عروض الطويل كما يدخل في ضربه وهو زوال السبب من مفاعلن المقبوضة وهو قليل ولا يستعمل ثم توالت ايام الحروب بينهم وكان أعظمها يوم الهباءة كما تقدم وسئم قيس من القتال فذهب الى أخواله كما ذكر في ترجمته وكان الربيع قدمات وأكل بعض القوم بعضاً فقام في الصلح الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان وحملا الحمالات واجتهدا في اصلاح ذات البين وفي ذلك يقول زهير بن أبى سلمى الشاعر

تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

قوله يستشهد به العروضيون الخ فيه ان البيت المذكور من الكامل لا من الطويل فلم يصادف الاستشهاد به على ما ذكره محلا لان اواخر تفاعيل الكامل أوتاد لا أسباب كما لا يخفى هذا ولم يتعرض أبو الفداء فى تاريخه لهذا البيت الثالث ولعل أصله (أفبعد مقتل مالك ليث الوغى) او نحو ذلك وليحرر اه من هامش الاصل

وكانت اليد الطولى للحرث بن عوف أولا وآخرا والسبب في ذلك ان الحرث قال يوما لخارجة بن سنان أتراني أخطب الى أحد فيردني قال نعم قال ومن ذلك قال أوس بن حارثة بن لام الطائي فقال الحرث لغلامه ارحل فركبنا حتى لقينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحباً بك ياحرث قال وبك قال وما حاجتك قال جئتك خاطباً قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس الى امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت من الرجل الذى وقف عليك قال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف قالت فمالك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءنى خاطباً قالت أفتريد أن تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال بماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني مافرط اليه قالت تقول انك لقيتني وأنا مغضب بأمر لم تقدم فيه قولا فانصرف ولك عندي ماتحب فانه سيفعل فركب أوس ابن حارثة في أثره قال خارجة فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فأقبلت على الحرث وما يكلمني غماً فقلت له هذا أوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا لانلتفت صاح ياحرث اربع عليّ فوقف له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروروا فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لى فلانة لأكبر بناته فأتته فقال يابنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءني خاطباً وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لاتفعل قال ولم قالت لاني امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجار لك في البلد فيستحيي منك ولا آمن أن يرى مني مايكره فيطلقني فتكون عليّ وصمة فقال قومي بارك الله فيك ثم دعا الوسطى

فأجابته بمثل ذلك أو بقريب منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لاختيها فقالت أنت وذاك فقال اني عرضت ذلك على اختيك فأبتاه فقالت لكني الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة أبا فان طلقني فلا أخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بيهسة بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها ان تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه فلما أدخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي هذا لايكون قال فأمر بالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ماشاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت قال لا والله قالت لي كما يفعل بالامة الجليبة والسبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل مايعمل لمثلي قلت والله لأرى هيئة عقل واني لارجو أن تكون المرأة النجيبة ثم سرنا الى ان دخلنا بلادنا فأحضرنا الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت أفرغت قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها قلت قد أحضرنا من المال ماترين قالت والله لقد ذكرت لي من الشرف بما لا أراه فيك قلت كيف قالت أتتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضاً يعني بني عبس وذبيان قلت فتقولين ماذا قالت اخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الي واني لست فائتتك قلت والله اني لارى عقلا وهمة ولقد قالت قولا فاخرج بنا فخرجنا حتي أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى من الفريقين ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير وعاش الحرث الى ان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه واسلم وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار في جواره يدعو قومه الى الاسلام

فقتله رجل من بني ثعلبة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال لحسان قل فيه فأنشد يقول

ياحار من يغدر بذمة جاره * فيكم فان محمدا لا يغدر
وامانة المرّىّ حيث لقيته * مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

فتألم الحرث لهذا القول وارسل يعتذر وبعث اليه بدية الرجل سبعين بعيرا فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات الحرث عقيب ذلك • ومن شعره قوله

فان اكبر فاني في لداتي * وعاقبة الاصاغر ان يشيبوا
وما كثرت فائدتي بغدر • كفاني في الفوائد مايطيب

وقوله ولو لم يكن للشاعر الا هذا القول لكفاه

كم من يد لا اؤدي حق نعمتها • عندي لمختبط طار ومن منن
اذ جاء يسعى الى رحلي لاسعفه • أليس قد ظن بي خيرا ولم يرني

مطلب منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل الى هرم ابن قطبة بن سنان الفزارى

(وان احتيال هرم لعلقمة وعامر حتى رضيا كان ذلك عن اشارتك)

هو هرم بن قطبة بن سنان الفزاري حكم من حكام العرب يقضي بين السادات فيرضون بقضائه ولا يرد قوله اذا فضل احد المنافرين على الآخر ومعنى المنافرة المحاكمة في الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه ونفره اذا غلبه (وعلقمة) هذا هو علقمة بن علاثة ابن جعفر من بني عامر بن صعصعة (وعامر) هو ابن الطفيل بن مالك ابن الاحوص وكل منهما سيد من سادات قومه فارس شاعر وسأورد من اخبارها شيئاً * فأما سبب منافرتهما كما حكى ابو عبيدة وغيره قال اول ماهاج النفار بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل ان علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فنظر اليه عامر وقال لم أر كاليوم سوأة رجل أقبح فقال

علقمة لانها لاتثب على جاراتها ولا تنازل الاكفاتها يعرض بعامر فقال عامر وما أنت والقدوم والله لفرس أبي المسمى حبوة أذكر من أبيك ولفحل أبي المسمى الغيهب أعظم ذكرا منك فقال علقمة أما فرسكم فعارة واما فحلكم فغدرة وكانوا قد استعاروا هذا الفحل من رجل من كلاب يستطرقونه فغلبوه عليه ولكن ان شئت نافرتك قال قد شئت فقال علقمة والله اني لبر وانك لفاجر واني وفي وانك لغادر فبم تفاخرني ياعامر فقال عامر والله اني لأنزل منك للقفرة وأنحر للبكرة وأطعن للثغرة ثم تنافروا على مائة من الابل يعطيها للحكم أيهما نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بمن معه من بني خالد وخرج عامر بمن معه من بني مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الاسنة فقال ياعماه أعني قال ياابن اخي سبني قال لاأسبك وانت عمي قال دونك نعلي فاني ربعت فيهما اربعين مرباعا فاستعن بهما في نفارك وجعل منافرتهما الى ابي سفيان بن حرب فلم يقبل منهما وكره ذلك الامر لحالهما وحال عشيرتهما فانطلقا الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال هرم لاحكمن بينكما ثم لأفصلن ثم لست أثق بواحد منكما فأعطياني موثقاً اطمئن اليه أن ترضيا بما اقول وامرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ الاجل خرجا اليه فخرج علقمة ببني الاحوص معهم القباب والجزر والقدور ينحرون في كل منزل ويطعمون وجمع عامر بني مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح فقال رجل من غني ياعامر ما صنعت أخرجت بني مالك تفاخر بني الاحوص معهم القباب والجزر وليس معك شيء تطعم الناس ما أسوأ ماصنعت فقال عامر لرجلين من بني عمه احصيا كل شيء مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة ففعلا فقال عامر يابني مالك انها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا بمثل ماشخصوا ففعلوا فأتوا هرما فاقاموا

عنده اياما وأرسل الى عامر فأتاه سرا لايعلم به علقمة فقال ياعامر قد كنت أرى لك رأيا وفيك خيرا وما حبستك هذه الايام الا لتنصرف عن صاحبك أتفاخر رجلا لاتفخر أنت ولا قومك الا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر ناشدتك الله والرحم أن لاتفضل عليّ علقمة فوالله ان فعلت لاأفلح بعدها هذه ناصيتي جزها واحتكم في مالي فان كنت ولا بد فاعلا فسوّ بني وبينه فقال انصرف فسوف أرى رأيا فخرج عامر وهو لايشك انه ينفر عليه ثم أرسل هرم الى علقمة سرا لايعلم به عامر فأتاه فقال ياعلقمة والله اني كنت لأحسب فيك خيرا. أتفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب وابوه أبوك وهو أعظم منك غناء وأحمد لقاء فما الذى انت به خير منه فقال له علقمة نشدتك الله ان لاتنفر عليّ عامرا فأجابه بما أجاب به الآخر وانصرف ثم ان هرما أحضر بنيه وبني ابيه فقال اني قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فعلت ذلك فليطرد احدكم عشرة جزائر فينحرها عن عامر ويطرد بعضكم عشر جزائر وينحرها عن علقمة وفرقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة واصبح هرم فجلس في مجلسه وأقبل الناس واقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقام لبيد فقال

يا هرم ابن الاكرمين منصبا * انك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوّب رأي من تصوّبا

فقام هرم وقال يابني جعفر قد تحاكمتما عندي والله انكما كركبتي البعير الآدم يقعان معاً على الارض وليس أحد منكما الا وفيه ماليس في صاحبه وكلا كما سيد كريم وعمد بنو هرم الى الجزر فنحروها وفرّقوا الناس وكره أن يفضل بينهما وهما ابنا عم فيوقع بذلك عداوة بين الحيين وخرجا من عنده راضيين وقد قيل انه قال لهما أنتما كفرسي السيف

فانه لو قال كركبتي البعير لقيل أيهما اليمين وقيل انه لم يقل شيئاً من ذلك وانما اكتفيا بما قال سراً وذهبا عنه وادعى الاعشى أنهما حكماه وحكم لعامر على علقمة وقال في ذلك قصائد * ومات علقمة مسلماً وله وفادتان احداهما على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم فيها والثانية على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وجرت له معه حكاية لطيفة كان علقمة صديقاً لخالد بن الوليد رضي الله عنه وكان عمر يشبه بخالد فالتقاه في الليل فقال ياخالد أعزلوك وهو يظن أنه خالد وكان عمر قد عزل خالداً عن جيش الشام غيظاً منه بسبب قتل مالك بن نويرة وتزوج زوجته كما تقدم فقال عمر نعم فقال علقمة ماهو الا والله نفاسة عليك وحسد لك فقال عمر فما عندك معونة على ذلك فقال معاذ الله ان لعمر علينا سمعاً وطاعة ولا نخرج عليه ولا نخالفه وانصرفا فلما أصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد فقال عمر رضي الله عنه له ياعلقمة أنت القائل البارحة لخالد ماقلت فقال علقمة لخالد أفعلتها فقال والله مالقيتك البارحة ولا رأيتك الا في هذه الساعة ففطن علقمة وعرف أنه انما لقي عمر وظنه خالداً فقال ياأمير المؤمنين ماسمعت الا خيراً قال أجل ثم ولاه حوران وخرج اليها فقصده الحطيئة مادحا له فمات علقمة قبل أن يصل اليه فقال

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى غيبته الجنادل

وما كان بيني لو لقيتك سالماً * وبين الغنى الا ليال قلائل

فلما وصل وجد علقمة قد أوصى له بسهم من ماله * وأما عامر ابن الطفيل فكان شجاعا مشهورا شاعراً مقدما قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة صياد الفرسان وفارس ربيعة بسطام بن قيس

وفارس قيس عامر بن الطفيل وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أربد بن قيس مع قوم من بني عامر فقال يا محمد مالي ان أسلمت قال النبي صلى الله عليه وسلم لك ما للمسلمين وعليك ماعليهم قال لا الا أن تجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذلك لقومك قال فتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل قال أوليست لي ثم قال يا محمد والله لأملأنها عليك خيلا ورجلا ولأربطن بكل نخلة فرساً وولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامراً وأربد واهد بني عامر وأغن الاسلام عن عامر ثم انصرفوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فاندلع لسانه من فيه كضرع الشاة فمال الى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات فواراه أصحابه وجعلوا على قبره أنصابا ميلا في ميل وجعلوه حمى فقيل ان بعض ولده رأى ذلك فيما بعد فقال لقد ضيقتم على أبي * وأما أربد فأرسل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته وفي ذلك يقول اخوه

أخشى على اربد الحتوف ولا * ارهب نوء السماك والاسد

ولعامر بن الطفيل شعر جيد سري متمكن فمن ذلك قصيدته الرائية التي ذكر فيها غور عينه وذلك ان مسهر بن يزيد كان فارساً شريفاً فجنى جناية في قومه فلحق ببني عامر فشهد يوم فيف الريح مع عامر بن الطفيل وكان عامر يتعهد القوم يومئذ فيقول يافلان مارأيتك فعلت ويافلان ماصنعت فيقول الرجل الذي قد ابلى انظر الى سيفي وما فيه ورمحي وما فيه وان مسهراً قد اقبل في تلك الهيئة فقال ياابا علي يعني ابن الطفيل انظر الى ماصنعت اليوم انظر الى سنان رمحي حتى اذا اقبل عليه عامر وجأه بالرمح في وجهه ففلق الوجنة وانشقت عين عامر

ففقأها وترك مسهر الرمح في عينه وضرب فرسه ولحق بقومه قالوا انما دعا مسهراً الى الغدر بعامر انه كان يراه يصنع بقومه هذا فقال هذا والله مبير قومه فأراد قتله واراحتهم منه فقال عامر

لقد علمت عليا هوازن انني * أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر
وقد علم المزنوق أني أكرّه * على جمعهم كر المنيح المشهر
ألست ترى أرماحهم فيّ شرعا * وأنت حصان ماجد العرق فاصبر
لعمري وما عمري عليّ بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت أعور عاقراً * جباناً فما أغنى لدى كل محضر

ومن ذلك قوله

وكم مظهر بغضاً لنا ودأننا * اذا ما التقينا كان أخفى الذي أبدى
مطاعيم في اللأوى مطاعين في الوغى * شمائلنا تسلى وأيماننا تندى

وقوله أيضاً

وصاحب صدق قد اخذت بضبعه * وقلت له وازر أخاك فأزرا
ضروب بنصل السيف خاف نجاده * اذا اغبر أولاد المقاريف أسفرا

﴿ وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن ارادتك ﴾

يعني هرم بن قطبة المقدم ذكره وذلك انه كان أسلم وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحبه فقال له يوما يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر يعني علقمة وعامراً ومن كان عندك الافضل منهما فقال لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة يعني الحرب بين الحيين فأعجب بهذا القول منه وقال بحق حكمتك العرب

ترجمة الحجاج الثقفي

﴿ وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدّك ﴾

(الجد) الحظ والجد الاجتهاد في الامور وكلا الوجهين يصلح ههنا

* وهذا المذكور هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي السفاك المشهور ولد سنة أحدى وأربعين ونشأ بالطائف وزعم بعض الرواة انه كان أول أمره معلم صبيان ويسمى كليبا وفيه يقول الشاعر

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلك دائر * وآخر كالقمر الازهر

يشير الي خبز المعلمين فانه مختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكايته مع كعب الاسقرى أيام ولايته وذلك ان المهلب بن أبي صفرة لما أطال قتال الازارقة في ولاية الحجاج كتب اليه يستبطئه في تأخير مناجزة الازارقة ويعجزه فقال المهلب لرسوله قل له أن الشاهد يرى مالا يرى الغائب وقام كعب الاسقري وكان من جند المهلب فأنشد

ان ابن يوسف غره من غزوكم * خفض المقام بجانب الامصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا * ضاقت عليه رحيبة الاقطار
ورأى معاودة الدباغ غنيمة * أيام كان محالف الاقتار

فبلغت أبياته الحجاج فكتب الى المهلب يأمره باشخاص كعب فأعلم كعبا بذلك وأوفده من ليلته الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه يستوهبه منه فقدم كعب برسالته من المهلب الى عبد الملك فاستنطقه واستنشده فأعجبه ماسمعه منه وكتب الى الحجاج يقسم عليه أن يعفو عنه فلما دخل كعب على الحجاج قال ايه يا كعب ورأى معاودة الدباغ غنيمة فقال أيها الامير والله لوددت في بعض ماشاهدته من تلك الحروب وما يوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاما أو حائكا فقال الحجاج أولى لك لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ماأسمع فالحق بصاحبك وبعض الرواة ينكر هذا القول ويقول هذه من أكاذيب

الشعراء ويزعم أن الحجاج لم يزل في كنف أبيه * وكان أبوه رجلا نبيلا جليل القدر الى أن اتصل يعني الحجاج بروح بن زنباع ثم بعبد الملك بن مروان ولم يزل يترقى الى أن ولي العراق والمشرق وطار ذكره وعظم سلطانه وأول ماعرف من شهامته وجوره أن أباه خرج من مصر يريد عبد الملك بن مروان ومعه ابنه الحجاج فاقبل سليم بن عمرو القاضي وكان من أورع الناس وأتقاهم فقام اليه يوسف فسلم عليه وقال إني أريد أن آتي أمير المؤمنين فان كانت لك حاجة فأعلمني قال نعم حاجتي ان تسأله أن يعزلني عن القضاء فقال يوسف والله لوددت قضاة المسلمين كلهم مثلك فكيف أسأله هذا ثم انصرف فقال ابنه الحجاج من هذا الذي قمت اليه فقال يابني هذا سليم بن عمرو قاضي أهل مصر وقاصهم فقال يغفر الله لك ياأبت أنت ابن أبي عقيل تقوم الى رجل من كندة وتحييه فقال والله يابني اني أرى الناس مايرحمون الا بهذا وأشباهه فقال والله مايفسد الناس على أمير المؤمنين الا هذا وأشباهه يقعدون ويقعد اليهم أحداث الناس ويذكرون سيرة أبي بكر وعمر فيخرجون على أمير المؤمنين والله لوصفا هذا الامر الي لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لي السبيل فأقتل هذا وأشباهه فقال أبوه والله يابني اني لأظن أن الله تعالى خلقك شقيا * وأول ماأعجب عبد الملك منه انه كان قد اتصل بروح بن زنباع وصار من جملة أصحاب شرطته وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك ثم ان عبد الملك توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن الحرث عند ماعصى عليه بقرقيساء فأمر روح بن زنباع جماعة من أصحابه وأصحاب شرطته يحثون المتأخرين من أهل العسكر في كل منزلة وكان الحجاج من جملتهم وكان يجتهد في ذلك الى ان مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح في خيمة يأكلون فأمرهم بالرحيل فسخروا

منه ادلالا بمحلهم ومحل سيدهم وقالوا له انزل كل واسكت فضربه بسيفه أطناب الخيمة فسقطت عليهم وأطلق فيها نارا فأحرقت أثاثهم عليهم فامسكوه وأتوا به الى روح وسمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا بالاجتهاد فيا ولينا ففعلنا ماأمرت وبهذه الفعلة يرتدع من بقي من أهل العسكر وما على أمير المؤمنين أن يعوض عليهم ماذهب وقد قامت الحرمة وتم المراد فأعجب عبد الملك فقال ان شرطيكم الجلد ثم أقره على ماهو عليه ولما طال القتال والحصار بينه وبين زفر بن الحرث أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج الى زفر بكتاب يدعوه الى الصلح فاتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاة فقام رجاء فصلى مع زفر وصلى الحجاج وحده فسئل عن ذلك فقال لاأصلي مع منافق خارج على أمير المؤمنين وعن طاعته فسمع عبد الملك بذلك فزاد عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه بلدا تسمى تبالة وهي أول ماولي فخرج اليها فلما قرب سأل عنها فقيل انها وراء هذه الاكمة فقال أف لبلدة تسترها أكمة فرجع فقيل في المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم قدم على عبد الملك ملازما خدمته فلما فرغ عبد الملك من قتال مصعب بن الزبير ورجع الى الشام قال من لابن الزبير يعني عبد الله القائم بمكة والحجاز وندب الناس الى قتاله فقام الحجاج فقال يا أمير المؤمنين أناله ابعثني اليه فلقد رأيت في المنام كاني سلخته وجردته من جلده فبعثه اليه وجهز معه جيشا فقدم الى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة وفعل مافعل حتى قتل ابن الزبير وصفت الخلافة لعبد الملك فسر باجتهاده وأرسل اليه عهده على مكة والمدينة والطائف فاستخف أهل الحرمين وأهانهم ثم كتب الى عبد الملك يقول انى حزت الحجاز بشمالى وبقيت يمينى فارغة يعرض بالعراق فبعث

اليه عهده على العراق وهذا أحد الاقوال في سبب ولايته العراق والقول الآخر انه وفد على عبد الملك ومعه ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله التيمى وكان من رجال قريش علما ونبلا وعملا وزهدا ومهابة وكان الحجاج مسخرا له لايترك من اجلاله شيئاً فلما قدما على عبد الملك أذن للحجاج في الدخول فلما دخل سلم ولم يبدأ بشئ الا أن قال ياأمير المؤمنين قدمت عليك برجل من أهل الحجاز ليس له نظير في كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق قال ومن هو قال ابراهيم بن طلحة التيمي فليفعل أمير المؤمنين معه مايفعله بأمثاله فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة ثم أذن له فلما دخل قربه وأدناه ثم قال له ان أبا محمد ذكر لنا مالم نزل نعرفك به من الفضل وحسن المذهب فلا تدعن حاجة الا ذكرتها فقال ابراهيم ان أولى الامور أن يفتتح به الحوائج ما كان لله فيه رضا ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء ولجماعة المسلمين نصيحة قال وما هو قال لايمكن القول الا وأنا خال فأخلني قال أودون أبي محمد قال نعم فأشار عبد الملك الى الحجاج فخرج وقال قل فقال ياأمير المؤمنين انك عهدت الى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه وبعده عن الحق وركونه الى الباطل ووليته الحرمين وبهما من أولاد المهاجرين والانصار من قد عامت يسومهم الخسف ويقودهم بالحتف ويطؤهم بطغام أهل الشام ورعاع لاروية لهم في اقامة حق ولا في ازاحة باطل ثم تظن أن ذلك ينجيك من عذاب الله فكيف بك اذا جاثاك محمد صلى الله عليه وسلم غدا للخصومة بين يدي الله تعالى أما والله انك لن تنجو هناك الا بحجة تضمن لك النجاة فابق لنفسك أودع وكان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا وقال كذبت ومنت فيما جئت به ولقد ظن بك الحجاج

ظنا لم نجده فيك فانت المائن الحاسد قال فقمت والله ماأبصر شيئاً فلما جاوزت الستر لحقني لاحق فقال للحاجب امنع هذا من الخروج وأذن للحجاج فدخل فلبث مليا ولا أشك انهما في أمري ثم خرج الاذن لي فدخلت فلما كشف الستر اذا أنا بالحجاج خارج فاعتنقني وقبل مابين عيني وقال اذا جزى الله المتواخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل الجزاء أما والله لئن بقيت لارفعن ناظريك ولا تيمن الرجال غبار قدميك قال فقلت في نفسي انه ليسخر بي فلما وصلت الى عبدالملك أدنى مجلسي كما فعل في الاول ثم قال ياأبا طلحة هل أعلمت الحجاج بما جرى أوشاركك أحد في نصيحتك فقلت لا والله ولا أعلم أحدا أظهر يدا عندي من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بديني لكان هو ولكني آثرت الله ورسوله والمسلمين فقال قد علمت صدق مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان لك في الحجاج أمل وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت ولايته عليهما واخبرته انك الذي استنزلتني له عنهما استصغارا للولاية ووليته العراق لما هنالك من الامور التي لايدحضها الامثاله وانما قلت له ذلك ليؤدي مايلزمه من ذمامك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته مع يدك عنده فخرجت مع الحجاج وأكرمني أضعاف اكرامه واستدللت على مكارم عبد الملك وأخلاقه واعترافه بالحق وتلطفه في الامور ٠ وقيل في سبب ولاية الحجاج العراق قول آخر ثم دخل الحجاج الى العراق ودخل الكوفة وبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التي يقول فيها ياأهل العراق والنفاق والله لاعصبنكم عصب السلمة ولا لحو بكم لحو العصا فطالما أوضعتم في الضلالة وتماديتم في الجهالة ياعبيدالعصا أنا الغلام الثقفي لاأعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان

فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم اشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا أقسم بالله لتدعن الارجاف ولتقبلن على الانصاف ولتنزعن عن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أو لاهبرنكم بالسيف هبراً يدع النساء أيامى والولدان يتامى والله لكأني أنظر الى الدماء تترقرق بين اللحى والغلاصم فلما سمع أهل الكوفة هذه الخطبة وكان بعضهم قد أخذ حصا أراد يحصب به الحجاج فتساقط من أيديهم حزناً ورعباً وثبتت مهابته في قلوبهم وتحكم حينئذ في رقابهم. وكان القاسم بن سلام يقول قاتل الله أهل الكوفة أين قبائلهم وعشائرهم وأهل الانفة منهم وأين نجبرهم قتلوا علياً وطعنوا الحسين وقاتلوا المختار وعجزوا عن قتل هذا الملعون الدميم الصورة وقد جاءهم في اثني عشر راكباً وهم مائة ألف ولكن ظهر تصديق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في قوله اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي ثم أقام الحجاج بالعراق يرهب ويفتك حتى استوثقت له الامور ثم خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا شيعته. فاستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة في ستة أشهر وكان مع ابن الاشعث أكثر من مائتي ألف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه أتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وبخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهدوا الا قتله فأتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر لبئس العبد أنا والله مابقي من عمري الا ظمء حمار واني انتظر الموت صباحا ومساء فأمر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ آخر فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد

على نفسه بالكفر فقال ياحجاج أتخادعني أنت عن نفسي أنا أعرف بها منك واني لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله * وكان في الحجاج خلال امتاز بها عن أبناء وقته الكرم والفصاحة والدهاء والجور وحلم في بعض الاوقات * فاما كرمه فحكي أنه لما دخل المدينة فرق في اهلها عشرة آلاف دينار ثم قال أتيناكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا فقال رجل لاعذر الله من يعذرك وأنت أمير المصرين وأنت عظيم القريتين فقال صدقت واقترض أموالا من هنالك من التجار فكان شيئاً عظيما ولما ولي العراق كان يطعم في كل يوم على ألف مائدة يجتمع على كل مائدة عشرة أنفس ويطاف به في محفة على ايدي الرجال يشرف على القوم ويقول ياأهل الشام اهشموا الخبز لئلا يعاد عليكم وقيل كان فعله هذا خصيصاً بأهل الشام وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال أيها الناس رسلي اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال مابال الناس قد قلوا فقام رجل وقال ياأيها الامير أنت اغنيت الناس في بيوتهم عن الحضور الي مائدتك فأعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك (واما دهاؤه) فحكي عبد الله بن ظبيان قاتل مصعب بن الزبير قال كنت يوما واقفاً على باب الحجاج فاذا به قد خرج وحده وكانت القائلة وما بالباب أحد فوقع في نفسي أن اقتله فنظر الي فقال هل لقيت يزيد بن ابي اسلم يعني كاتبه قلت لا قال القه فان عهدك على الري معه فطمعت وكففت عنه وتوجهت الى يزيد فلم يكن عنده عهد ولا شيء من ذلك وانما قال الحجاج ذلك حذرا وشغلا لي عما أردته به وبنى هو وعبد الملك في بعض المساجد بابين فوقعت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك فداخله حسد للحجاج فكتب اليه انما مثل

أمير المؤمنين ومثلي كمثل ابني آدم اذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ودخل يوما على عبد الملك فدعا بالشراب فقال ياامير المؤمنين اعفني فاني انهى اهل عملي عنه واكره ان اخالف قول العبد الصالح وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه فقال عبد الملك انه نبيذ الرمان يشهي الطعام ويزيد في الباه فقال الحجاج أما كونه يشهي الطعام فو الله لوددت ان هذه الاكلة تكفيني حتى اموت واما كونه يزيد في الباه فحسب الرجل ان يصرع في الشهر مرة وصعد يوما المنبر فأراد ان يختبر طاعة الناس له فقال ألا أن الحجاج كافر فلم يرد عليه أحد شيئاً فقال باللات والعزى وبالبغلة الشهباء ويوم الاربعاء ودخل عليه قاتل الحسين رضى الله عنه فقال له أنت قاتل الحسين قال نعم قال كيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا ثم هبرته بالسيف هبرا ووكلت أمر رأسه الى امير غير وكل فقال الحجاج أما والله لايجتمعان في الجنة وكان قصده رضا اهل العراق وأهل الشام فخرج أهل العراق يقولون صدق الحجاج لايجتمع والله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله في الجنة وخرج أهل الشام يقولون صدق الامير لايجتمع من شق عصا المسلمين وخالف أمير المؤمنين هو وقاتله في طاعة الله في الجنة (وأما جوره وسفكه الدماء) فقد ذكر انه قتل أكثر من مائة ألف صبراً آخرهم سعيد بن جبيل بل ه جبير وهو الصحيح رضي الله عنه ومات في حبسه أكثر من عشرين ألفاً لم يجب على أحد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل صيفاً وشتاء وليس فيه مستراح والناس بعضهم على بعض ومر يوما عليهم فاستغاثوا به فقال اخسؤا فيها ولا تكلمون وقال أبو عمرو بن العلاء كنت اقرأ الامن اغترف غرفة بالفتح وبلغ الحجاج وكان يقرأ بالضم فطلبني فهربت الى واد بصنعاء فأقمت زماناً فسمعت أعرابياً يقول لآخر

قد مات الحجاج فقال الاعرابي

ربما تجزع النفوس من الامـــر له فرجة كحل العقال

فلم أدر بأي شيء كنت أشد فرحا أبموت الحجاج أم بسماع البيت أستشهد به على القراءة (وحكى) بعض القراء قال قرأ الحجاج في سورة هود انه عمل غير صالح فلم يدر أ يقول عمل أم عمل فقال ائتوني بقارئ فأتي بي وقد قام من مجلسه فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة أشهر فلما انتهى الي قال فيم حبست فقلت في ابن نوح أصلح الله الامير فضحك وأطلقني (وحكي) انه أراد سفرا فصعد المنبر فقال اني قد عزمت على السفر وخلفت عليكم ابني محمدا وأوصيته خلاف ما أوصى به العبد الصالح أن لا يتقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا واني أعلم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة ألا واني معجل لكم الصواب بالجواب فاقول لا أحسن الله عليكم الخلافة وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت بقرية فأجد كلبا نائما في ظل حب فقلت في نفسي ليتني كنت الكلب وكنت مستريحا من خوف الحجاج ومررت ثم عدت من ساعتي فاجد الكلب مقتولا فسألت عنه فقيل جاء أمر الحجاج بقتل الكلاب فعجبت من عموم جوره (وأما حلمه) فحكي عنه أنه خرج يوما الى ظاهر الكوفة منفردا فرأى رجلا فقال ماتقول في أميركم قال الحجاج قال لعنه قال زعموا انه من ثمود وكفى بسوء سيرته شرا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فقال الحجاج أتعرفني قال لا قال أنا الحجاج فقال الرجل أتعرفني أيها الامير قال لا قال أنا مولى بني عامر أجن في الشهر ثلاث مرات هذا اليوم اشد الصرع علي فضحك من قوله وصفح عنه وأتي بقوم من اصحاب ابن الاشعث فأمر بضرب أعناقهم فقام رجل فقال أيها الامير ان لي عندك يدا قال وما هي قال

شتمك رجل بحضرة ابن الاشعث فرددت عنك فقال من يشهد لك فأشار هذا وأشار بيده الى رجل منهم فقال صدق أيها الامير فقال مامنعك أن تفعل كما فعل قال بغضي لك فقال الحجاج أطلقوا هذا ليده عندنا وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت وقال يوما لاحمد بن يونس فكرت في أمرك فوجدت دمك ومالك حلالا فقال أيها الامير أشد مافي القضية أن هذا الرأى بعد الفكر فضحك وعفا عنه وكان عنده يوما بعض ندمائه وقد أدركته سنة فعطس النديم عطسة منكرة ففزع الحجاج وقام منكرا مغضباً وقال ماأردت بهذه العطسة الا أن تروعني فقال أيها الامير والله هذه عادتي فقال والله ان لم تأتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك فخرج الرجل فوجد بعض أصحابه فقص عليه الامر فقال أنا أشهد لك فدخلا على الحجاج فقال لصاحبه بم تشهد فقال أيها الامير أشهد بأنه عطس يوما عطسة وقع منها ضرسه فضحك الحجاج حتى استلقى فقال حسبك وأمر بهما فأخرجا وكان قليل الضحك الا أن يغلب عن نفسه (وأما فصاحته وبلاغته) فمنها خطبته المشهورة المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصوله الموجزة في المكاتبات وعلى المنابر قال مالك بن دينار والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنعه الى أهل العراق وسوء صنعهم له حتى يخيل لي أنه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ماخلق له لجدير أن تطول حسرته • وخطب يوما فقال أيها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها أسأل شيء اذا أعطيت وأعطى شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رأيت الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه • وبلغه

وفاة أخيه وابنه فصعد المنبر فقال محمد ان في يوم أما والله ما كنت أحب أن يكونا معي في الدنيا بما أرجولهما من ثواب الآخرة وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم أن يفنى والجديد أن يبلى وستدال الارض منا لنا كل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما أكلنا من ثمارها وشربنا من أنهارها • وخطب يوما فقال ان الله أمرنا بالعمل وكفانا الرزق فليتنا لو أمرنا بالرزق وكفينا العمل • وقال أيها الناس والله ماأحب أن مامضي من الدنيا بعمامتي هذه ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء • ولما قتل عبدالله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فصعد الحجاج المنبر فقال ألا ان ابن الزبير كان من أحبار هذه الامة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها وخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شيأ مانعاً للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لان الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة • وخطب يوما فقال أيها الناس من ادعى داء فعندي دواؤه ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ان للشيطان طيفاً وللسلطان سيفاً فمن وضمه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة • وأرجف قوم بموته فخرج متحاملا حتى صعد المنبر فقال ألا ان أهل العراق أهل النفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات الحجاج وان مت فمه والله مايرجى الخير الا بعد الموت وما رضي الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد من خلقه الا لاخسهم وأهونهم عليه وهو ابليس لعنه الله ولقد سأل سليمان يوماً ربه فقال رب هب لي ملكا لاينبغي لاحد من بعدي ففعل ثم اضمحل كان لم يكن أستغفر الله لامير المؤمنين ولي وللمسلمين ثم نزل وكتب الى قتيبة بن مسلم اني نظرت في سني فاذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نحو مني في السن

وان امرأ قد سار نحو خمسين حجة الى مورد لقمن أن يورده • ولما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون أنك لاتفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهي مدينته التي أنشأها وكان يوم موته عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهي تبكي وتقول ألا ان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن فسمع جر السلاسل من قبره فقال كاتبه رحمك الله أبا محمد ماتدع قراءة القرآن حيا ولا ميتا فضحك الناس من قوله ووقف رجل من أهل دمشق على قبره فقال اللهم لاتحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل بالطلاق الثلاث من زوجته أن الحجاج من أهل النار فاستفتي طاوس فقال يغفر الله لمن يشاء وما أظنها الا طلقت ويقال انه استفتى الحسن البصري فقال اذهب الى زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج فى النار فما يضركما أنكما في متعة الحرام

ترجمة قتيبة ابن مسلم الباهلي

﴿ وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك ﴾

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي وكنيته أبو صالح نشأ في الدولة المروانية وترقى وولي الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ماوراء النهر مراراً وأبلى في الكفار • وكان شجاعا جوادا دمث الاخلاق فطناً ولم يكن يعاب الا بانه باهليّ • وكان أصحابه يمازحونه بذلك ويحتمل ويحلم (حكي) أبو عبيدة قال قدم رجل من بني سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الري وهو المعلى المحاربيّ فرآه على الباب قدامة بن جعفر وكان صديقاً لقتيبة كثير الادلال عليه فدخل على قتيبة فقال ببابك ألأم العرب فقال ومن هو قال سلولي رسول محاربي الى باهلي فتبسم قتيبة تبسم غيظ. والتفت الى مرداس الاسدي وقال أنشدني شعرا

للاقيشر ففهم مرداس مراده فأنشده شعرا للاقيشر فيه تعريض بقدامة يقول

قلت قم صلي فصلى قاعداً * يتغشاه سما دير السكر

فتغير وجه قدامة فقال قتيبة هذه بتلك والبادي أظلم . ويروى انه مازح أعرابيا حافياً فقال أيسرك أن تكون مثلي باهليا أميرا فقال لا والله قال فتكون باهليا خليفة فقال لا والله ولو أن لي ماطلعت عليه الشمس قال فيسرك أن تكون باهليا وتكون في الجنة فأطرق ثم قال بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني باهلي فضحك قتيبة من قوله . وكان قتيبة من أكبر الامراء المتمين الى الحجاج وهو الذى كاتب عبد الملك بن مروان في أمره حتى ولاه خراسان وذلك أن يزيد بن المهلب كان قد ولي خراسان بعد أبيه وظهرت مناقبه وعظمت آثاره فحسده الحجاج وعمل على عزله وتولية قتيبة وكان مما أكد أمر يزيد عنده أن الحجاج وفد على عبد الملك ثم عاد الى العراق فمر في طريقه بدير فيه راهب عالم بالكتب وعلوم الاول فسأله هل تجدون أمورنا في كتبكم قال نعم قال ماتقول في عبد الملك قال نجده في زماننا الذى نحن فيه قال ومن يقوم بعده قال رجل يسمى الوليد قال فهل تعلم ما الي قال نعم قال فمن يليه قال يزيد قال في حياتي أم بعد مماتي قال لاأعلم فوقع في نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب ثم جلس يوما يفكر وعنده عبيد بن يونس وهو ينكت في الارض فقال له ماالذى بك قال ان أهل الكتب يذكرون أن ماتحت يدي يليه رجل يسمى يزيد واني نظرت في هذا الاسم فذكرت جماعة منهم يزيد بن أبي كبشة ويزيد بن الحصين ويزيد بن دينار وليس فيهم من يصلح لهذا الامر وما ثم غير يزيد بن المهلب قال فأخلق به فلم يجد شيئاً يعزله به فكتب الى عبد الملك بن مروان يذم

من يزيد ويقول انه يميل الى آل الزبير فكتب اليه عبد الملك ان ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب وان وفاءهم لاولئك يدعوهم الى الوفاء لنا فكتب اليه الحجاج يخوفه غدر يزيد وآل المهلب فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت في يزيد فسم لي رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة ابن مسعر ولم يكن يصلح وانما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله الى قتيبة ويعلم أن عبد الملك لا يرضى مجاعة بن مسعر فكتب اليه عبد الملك يسفه رأيه معناه لم يرض ابن مسعر فسمى له قتيبة بن مسلم فقال وله فولاه وكره أن يواجه ابن المهلب بالعزل فكتب اليه اقدم علي واستخلف أخاك ففعل وعند قدومه سار قتيبة الى خراسان فدخلها وصعد المنبر فسقطت العصا من يده فتطير الناس فأخذها وقال ليس كما ساء الصديق وسر العدو ولكن كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عيناً بالاياب المسافر

ثم وثب قتيبة لغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه فخطبهم خطبة بليغة فقطع النهر فتلقاه من الطالقان رسل الملوك وهداياهم وأولهم صاحب طخارستان وهو من ملوك الترك وأرسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا فصالحه وأقام قتيبة على بلخ لان بعضها كان عاصياً عليه فقاتل أهلها وسباهم وكان فيمن سبي امرأة برمك جد البرامكة فصارت الى عبد الله بن مسلم أخي قتيبة فواقعها فيقال انها حملت منه بخالد وقيل كانت حاملا به . ثم غزا قتيبة بيكند وهي أدنى مدائن بخارى الى النهر ويقال لها مدينة التجار وهي على رأس المفازة من بخارى فلما نزل بهم استنصروا بالصغد واستنجدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق فلم يصل اليه رسول ولا قدر على انفاذ رسول مدة شهر وأبطأ على الحجاج خبره فأشفق عليه وعلى من معه من

المسلمين فأمر الناس بالدعاء وكتب بذلك الى الامصار وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم يقال له بندر أعجمي فدفع اليه أهل بخارى مالا على أن يدفع قتيبة عنهم فأتاه فقال أخلني فأخلى المجلس فقال قد عزل الحجاج عن العراق وهذا عامل جديد يقدم عليك فارجع بالناس الى مرو وكان عند قتيبة ضرار الضبي فقال قتيبة لغلامه اقتل بندر فضرب عنقه فقال لضرار والله لئن علم أحد بهذا الحديث قبل أن يقضى حربنا لا لحقتك به فان انتشار مثل هذا الحديث يفت في أعضاد المسلمين ثم أصبح الناس على راياتهم وانكروا قتل بندر وقالوا كان ناصحا للمسلمين فقال قتيبة ظهر لي غشه فأخذه الله بذنبه ثم تقدم فقاتل وأنزل الله النصر على المسلمين فهزموهم وفتح قتيبة أكنافهم ووصل الى بيكند ففتحها عنوة وأصاب بها من الاموال والجواهر مالم يصبه في بلد آخر وكان بها صنم من ذهب فأذابوه فخرج منه مائة ألف وخمسون الف مثقال من الذهب وكتب الى الحجاج بالفتح ثم توجه الى سجستان فأرسل اليه صاحبها فصالحه ثم توجه الى خوارزم وكان صاحبها قد راسله سرا خوفا من أخيه الخارج عليه فصالحه وسلم اليه أخاه لانه كان شرط عليه ذلك ثم توجه الى سمرقند فقاتل وثلم السور فصاحوا الصلح فصالحهم على الفي الف ومائتي الف في كل سنة وعلى أن يعطوه ثلاثين الف رأس ليس فيهم طفل ولا شيخ وعلى أن يخلوا المدينة لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة ويبنى بها مسجدا ويصلي فيه ويخطب ويتغدى ويخرج منها فاجابوه الى ذلك فقال ابعثوا لنا ما صالحنا كم عليه فبعثوا اليه بالمال والرؤس فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار أولادهم واخوانهم في أيدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا منبرا وأخلوا المدينة وانتخب قتيبة من أراد من فرسانه ودخلها فأتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى

وأرسل الى أهلها لست بخارج منها فخذوا ماأعطيتمونا وكان قتيبه يعير بالغدر باهل سمرقند ثم حرق الاصنام وبيوت النيران ووجد جارية من بنات يزد جرد فقال قتيبة أترى ابن هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل أبيه فأرسل بها الى الحجاج فبعث بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت له يزيد • ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر فبعث اليه ملك الصين أبعث لنا رجلا من قومك نسأله عن دينكم فانتدب له عشرة من اشراف القبائل لهم هيبة وجمال فدخلوا عليه وعليهم ثياب رقيقة فلم يكلمهم أحد فنهضوا ثم دخلوا عليه في اليوم الثاني وعليهم البيض والمغافر والسلاح كأنهم الجبال فسأل الملك أحدهم عن صنيعهم أمس واليوم فقالوا ذاك لباسنا في أهلنا وهذا في حربنا فقال انصرفوا الى صاحبكم وقولوا له ينصرف فقد عرفت قلة أصحابه والا بعثت له من يهلكه ومن معه فقالوا كيف تقول هذا لمن أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون يعنون الشام وقد غزاك في بلادك ودوخها وقد سبى وهو في طلبك لاترد له راية ولا غاية قال وما الذى يريد قال انه أقسم أن لا يرجع حتى يطأ أرضك ويختم على اعناق أولاد الملوك ويأخذ الجزية قال الملك ونحن نبر قسمه ثم دعا بصحاف من ذهب وجعل فيها من تراب قصره ودعا باربعة من أولاد الملوك وبعث مالا كثيرا وقال ليطأ هذا التراب ويختم على هذه الغلمة ويأخذ منا المال ففعل قتيبة ذلك وقرر عليهم مالا ومضى وقد أذعنت له ممالك ماوراء النهر واشتهرت فتوحاته حتى سمع معبد المغني أنه فتح سبعة حصون في المشرق لا يرتقى اليها فصنع سبعة أصوات صعبة المأخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة • وأقام قتيبة بالمشرق واليا عليه ثلاث عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب وكان شرف بيته ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية

يزيد بن المهلب (حكى) الجاحظ قال لما بلغ قتيبة أن سليمان يريد عزله عن خراسان كتب اليه ثلاث صحائف وقال للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد بن المهلب فادفع اليه هذه فان شتمني فادفع اليه الثالثة فلما دفع له الكتاب الاول اذفيه ياأمير المؤمنين ان بلائى في طاعتك وطاعة أبيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع اليه الرسول الكتاب الثاني وفيه يقول عجبا كيف تأمن ابن رحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده يعني يزيد بن المهلب فشتم قتيبة فدفع اليه الثالث وفيه من قتيبة الى سليمان أما بعد والله لاوثقن لك اخية لاينزعها المهر الارن فقال سليمان جددوا له عهداً على عمله ثم فسدت على قتيبة بطانته فقتلوه في خلافة سليمان وقام العزاء في المشرق عليه وقال رجل من الاعاجم يامعشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا . ولقتيبة أخبار وألفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحته كتب اليه الحجاج انى قد طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة فتزوجها فكتب اليه ليس كل مطالع الامير أحب ان اطلع فقال الحجاج ويل ام قتيبة اعجابا بقوله وكتب عبد الملك ابن مروان الى الحجاج انت قدح ابن مقبل فلم يدر الحجاج ماارادفسأل قتيبة وكان عالما برواية الشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قد حاله فقال

غدا وهو مجدول فراح كأنه * من المس والتقليب بالكف افطح
اذا امتحنته من معد قبيلة * غدا ربه قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح وهو السهم الذي يستقسم به على عادة العرب في الميسر وهو اصطلاح على نوع من انواع القمار معروف فيقول ان هذا القدح لكثرة فوزه وخروجه دون أقداح الجماعة بكثرة تقليبه والتعجب منه يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقة بفوزه وقال قتيبة ان هذا القدح

حاز سبعين مرة لم يخب منها مرة واحدة حتى ضرب به المثل * ولما دخل قتيبة خراسان قام اليه بعض الشعراء وأنشد يقول

شد العقاب على البرى وما جنى * حتى يكون لغيره تنكيلا
والجهل في بعض الامور وان غلا * مستخرج للجاهلين عقولا

فقال قتيبة قبحك الله من مشير والله لاقمت معى في بلد ثم أخرجه من خراسان ونظر في بعض مغازيه الى رجل من الأزد معه ترس من جلد بعير قد تشعب من جميع نواحيه فقال ياأخا الازد ترس ابن أبي ربيعة خير من ترسك يريد قول عمر بن أبي ربيعة في قصيدته المشهورة وقد تستر بنسوة من الحى

فكان مجنى دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعفر

فقال الرجل أيها الامير هذا المجن أو في من ذلك المجن * ومن كلام قتيبة لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طمع فانه لا يؤثرك على نفسه ولا بكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد القريب ولا بأحمق فانه ربما أراد نفعك فضرك * ومر يوما بكناسة فيها عظام وأقذار فقال ان الذى يبخل بما يصير آخره الى هذا لبخيل

ترجمة المهلب بن أبي صفرة

(والمهلب أوهن شوكة الازارقة بيدك وفرق ذات بينهم بكيدك) هو المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح الازدى العتكيّ البصري أمير كبير مشهور الذكر شجاع جواد نشأ في دولة آل أبي سفيان ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم ولاه عبد الله خراسان وقتل الخوارج واستمر على ذلك الى ان مات فى زمن الحجاج في سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وهو أول من اتخذ الركب الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب * وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبته

للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال جميعها وسيأتى في آخر الترجمة نبذ من اخباره وألفاظه * فاما الازارقة فهم الخوارج القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الازرق الخارجي خرجوا معه من البصرة والاهواز وغيرها من بلاد فارس واتبعوه وعظمت شوكتهم وتملكوا الامصار وكانت له آراء ومذاهب دانوا بها معه * منها انه كفر علياً كرم الله وجهه بسبب التحكيم المشهور وقال أنزل الله في حقه ومن الناس من يعجبك قوله الآيه وأنزل في حق ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله * ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه أو كان على دينه وحكم أن من ارتكب كبيرة خرج عن الاسلام وكان مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدل بكفر ابليس وقال ماارتكب الا كبيرة حيث أمر بالسجود فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله عز وجل الى غير ذلك من المذاهب التي أجمعت عليها الازارقة (وحكى) عن خالد بن خداش قال لما تفرقت الازارقة وآراء الخوارج ومذاهبهم أقام نافع بن الازرق بسوق الاهواز يعترض الناس وكان متشككا في ذلك فقالت له امرأته ان كنت كفرت بعد ايمانك وشككت فدع كلتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم نعني المسلمين المخالفين لمذهبه وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً فقبل قولها وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء فاذا وطئ بلداً كان ذلك دأبه الى أن يجيبه أهلها فيضع عليهم الجباية والخراج واشتدت شوكته وفشا أعماله في السواد الاعظم فارتاع لذلك أهل البصرة فمشوا الى الاحنف بن قيس وشكوا اليه أمرهم وقالوا ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان فقال لهم

مطلب الكلام على الازارقة

الاحنف ان سيرتهم في مصركم ان ظفروا بكم مثل سيرتهم في سواكم فخذوا في جهاد عدوكم وقد حرضهم الاحنف فاجتمعوا اليه بزهاء عن عشرة آلاف في السلاح وأمر عليهم مسلم بن عنبس وكان شجاعا دينا وخرج بهم فلما صاروا بموضع يعرف بدولاب خرج اليه نافع بن الازرق على الشراة وكانوا ستمائة نفر فاقتتلوا قتالا شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وتضاربوا بالعمد فقتل في المعركة ابن عنبس وهو أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق أيضاً فعجب الناس من قتل الاثنين ثم ولي على أهل البصرة الربيع بن عمرو وعلى الازارقة عبد الله بن الماخور فقتل الربيع وتولى الحجاج بن رباب فقتل وتولى حارثة بن بدر ونادي في الناس بأن اثبتوا فاذا فتح الله عز وجل فللعرب زيادة فريضتين نعم وللموالى زيادة فريضة وثبت الناس فالتقوا وقد فشت بينهم الجراح وما تطأ الخيل الا على القتلى فبيناهم كذلك اذ أقبل من اليمامة مدد عظيم للازارقة فاجتمعوا وهم مريحون مع اصحابهم وحملوا على الناس فلما رأتهم الجيوش ورآهم حارثة نكص برايته وانهزم وقال لاصحابه

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا

اير الحمار فريضة لعبيدكم * والخصيتان فريضة الاعراب

فتابع الناس على أثره منهزمين وتبعهم الخوارج فألقوا نفوسهم فى دجيل فغرق منهم خلق أكثرهم من الازد وفي ذلك يقول شاعر الازارقة

يري من جاء ينظر في دجيل * شيوخ الازد طافية لحاها

وقلق أهل البصرة لذلك ودخل قلوبهم الرعب من الخوارج فبيناهم كذلك اذ ورد المهلب بن أبي صفرة متوجهاً الي خراسان وقد كتب له عبد الله بن الزبير عهده بها فلما مر بالبصرة قال الاحنف لوجوه أهل البصرة والله ماللخوارج غير المهلب فكلموه في ذلك فقال هذا عهدي

على خراسان وما كنت لادع أمر أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير
فاتفق أهل البصرة مع الاحنف على أن يفتعلوا كتابا على ابن الزبير
يأمره فيه بقتال الخوارج فكتبوه وفيه (أما بعد) فان الحسن بن عبد
الله كتب الى يخبرني بان الازارقة أصابوا جنداً من المسلمين وانهم قد
أقبلوا نحو البصرة وكنت قد كتبت عهدك على خراسان ووجهتك
وقد رأيت أن تبتدئ بقتال الخوارج فان الاجر فيه أعظم من سيرك
الى خراسان فلما قرأ المهلب الكتاب قال والله ماأسير اليهم حتى تجعلوا
لى ماغلبت عليه وتقووني من بيت المال وأنتخب من فرسانكم ورجالكم
من شئت فأجابوه الاطائفة من بني مسمع فعقدها عليهم المهلب وساروا
الى الخوارج فكان عليهم أشد من كل من قاتلهم وبلغ ابن الزبير
افتعال الكتاب فلم يقل شيئاً وأقره على ذلك ثم ان المهلب أخذ بالحزم
في القتال واعمال الرأى والمطاولة فأذكي العيون وأقام الحرس وخندق
ولم يزل الجند على مصافهم والناس علي راياتهم وأخماسهم فكانت
الازارقة اذا أرادوا اتيان المهلب وجدوا أمراً محكما ثم خرج المهلب
يوما علي تعبية حسنة وخرج الخوارج علي مثل ذلك الا انهم احسن
عدة واكرم خيلا واكثر سلاحا من اهل البصرة وذلك انهم اكلوا
مابين كرمان الى الاهواز فجاؤا في المغافر والدروع يسحبونها فالتقى
الناس واشتدا القتال وصبر بعضهم علي بعض عامة النهار ثم شدت
الخوارج علي الناس شدة منكرة فأجفل الناس فانصاعوا منهزمين
واسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع ثم نادى الناس الي الى عباد
الله فثاب اليه جماعة من قومه حتى اجتمع اليه نحو من ثلاثة آلاف
فلما نظر الى من اجتمع اليه رضى جماعتهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال
اما بعد فان الله يكل الجمع الكثير الى انفسهم فينهزمون وينزل النصر على

الجمع اليسير فيظهرون ولعمري اني الآن بجماعتكم لراض وأنتم والله أهل الصبر وفرسان المصر وما أحب أن أحداً ممن انهزم معكم ولوكانوا فيكم مازادوكم الا خبالا عزمت علي كل نفر منكم الا أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقدخرجت خيولهم في طلب اخوانكم فقبلوا منه ثم أقبل بهم زحفافلا والله ماشعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم في جانب عسكرهم ثم استقبلوا أميرهم عبد الله ابن الماخور وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح فجعل الرجل من أصحاب المهلب يتعرض وجه الرجل بالحجارة حتى يثخنه ثم يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الاساعة حتى قتل ابن الماخور وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب معسكر القوم وما فيه ومضى المنهزمون الى كرمان وأصبهان ثم ولي مصعب بن الزبير العراق ورجع اليه المهلب فقاتل معه المختار بن أبي عبيد الى أن قتل ورجع الى الازارقة فلم يزل يغاديهم القتال ويراوحهم وهو مع ذلك شديد الاحتراز على عسكره والتحفظ واليقظة الى أن بلغ مدة طويلة وبلغ الخوارج قتل مصعب بن الزبير أمير العراق واستيلاء عبد الملك بن مروان قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ماتقولون في مصعب قالوا امام هدى ولينا في الدنيا والآخرة قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين قالوا فانتم منه برآء في الدنيا والآخرة قالوا نعم ونحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم المصعب قد قتله عبد الملك وانكم ستجعلون عبدالملك غدا امامكم وأنتم اليوم تتبرؤن منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم ياأعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك فناداهم الازارقة يا أعداء الله بالامس تتبرؤن منه وتلعنون أباه واليوم تبايعونه بالخلافة وقد قتل امامكم الذي كنتم توالونه فأيهما المهدى وأيهما الضال فقالوا رضينا

بذاك ونرضى بهذا اذا ولى كل منهما أرواحنا وأمورنا فقالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وطلبة الدنيا ثم ولى عبد الملك وأمر الحجاج على العراق وأمره بامداد المهلب فشمر الحجاج لذلك وتابع المدد الى أن قال المهلب لقد ولى العراق ول ذكر ثم ان الحجاج كتب الى المهلب يستبطئه في مناجزة الازارقة ويستعجزه فحبس المهلب رسول الحجاج أياما حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم وكتب الى الحجاج يقول ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى فان أمكنتني فرصة انتهزتها وان لم تمكني توقفت فأنا أدبر ذلك بما يصلحه وان أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب فان كان صوابا فلك وان كان خطأ فعلي فابعث من رأيت مكاني والسلام ولما طالت الحرب بين المهلب وبينهم ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم علم أنه لا يظفر الا بالاختلاف اذا وقع بينهم وكان في عسكرهم حداد يسمي ابزن يصنع نصالا مسمومة يرمي بها أصحاب المهلب فوجه المهلب رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر الخوارج وقال ألق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك وكان في الكتاب الى الحداد أما بعد فان نصالك قد وصلت الينا وقد وجهت اليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب الى قطرى فدعا ابزن وقال ماهذا الكتاب قال لا أدرى قال فما هذه الدراهم قال لا أعلم علمها فأمر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير وكان من كبار القوم فقال له قتلت رجلا على غير بينة ولا تبين أمره فقال فما هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا قال قطرى قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما يراه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة معه فلم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت

قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل له انما سجدت لك ففعل النصراني ذلك فقال له قطرى انما السجود لله فقال ماسجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر عيسى شيئاً فقام رجل من الخوارج الى النصراني فقتله فأنكر ذلك عليه وقال قتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبعث اليهم المهلب رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم لو ان رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ماتقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فهو من أهل الجنة وأما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيز المحنة فكثر الخلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر وأوقع المهلب بمن بقي منهم مع صالح بن مخراق وزحف الى البقية وخندق عليه ثم أقام أياما وأوقع بينهم الفتنة حتي وقع بين قطرى وعبد ربه فانحاز الى عبد ربه جماعة وولوه عليهم وذهب قطرى بأصحابه وقاتل المهلب جيش عبد ربه فقتل عبد ربه بعد وقائع طويلة وانفل جند الازارقة وتشتتوا في البلاد وتخطفهم الناس وكتب المهلب الي الحجاج بالفتح يقول الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ماسواه بأن حكم بأن لاينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد قد كنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مايسوءنا ويسوءهم منا أكثر مايسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان غلب أمرهم حتى ارتاعت الفتاة ونوّم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وأدنيت السواد حتي تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتي بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه

الحجاج يشكره ويذكر بلاءه ويأمره بالقدوم عليه واستخلاف
أحد بنيه فقدم على الحجاج فأجلسه على السرير الى جانبه واظهر
اكرامه وبره وقال ياأهل العراق انتم عبيد عتقاء المهلب ثم قال أنت
والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا امركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحق مطلعاً
لايطعم النوم الاريث يبعثه * هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته * مستحكم الرأى لاقحما ولاضرعا

فقام رجل وقال اصلح الله الامير والله لكأني اسمع قطريا وهو
يقول المهلب كما قال لقيط ثم انشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى ظهر
عليه * وسئل المهلب ماأعجب مارايت من قتال الازارقة قال رأيت رجلا
منهم يطعن الرجل فيمشي في الرمح الى طاعنه وينال منه وهو يقول
وعجلت اليك رب لترضى * وكانت مدة اقامة المهلب على قتال الخوارج
ومصابرته لهم تسع عشرة سنة الى ان فتح الله على يديه وطهر منهم
الارض ومات على فراشه * ومن اخباره المستحسنة انه اقبل يوما من
بعض غزواته فتلقته امرأة فقالت له ايها الاميراني نذرت ان اقبلت
سالما أن أصوم شهرا وتهب لى جارية والف درهم فضحك وقال قد
وفينا نذرك فلا تعودي لمثله فليس كل أحد يفي لك به * ووقف له
رجل فقال أريد منك حويجة فقال اطلب لها رجيلا يعني أن مثلي
لايسأل الاحاجة عظيمة * ومر يوما بالبصرة فسمع رجلا يقول هذا
لاعور ساد الناس ولو خرج الى السوق لايساوى أكثر من مائة درهم
فبعث اليه بمائة درهم وقال لو زدتنا في الثمن زدناك في العطية * ولما
هزم قطري بن الفجاءة دخل عليه المغيرة وانشده

امسى العباد لعمرى لاغياث لهم * الا المهلب بعد الله والمطر

هذا يجود ويحمى عن ديارهم * وذا يعيش به الانعام والشجر
فقال هذا والله هو الشعر وأمر له بعشرين الفا * ومن كلامه عجبت لمن يشترى العبيد بماله ولا يشترى الاحرار بافضاله * وكان يقول لولده اذا غدا عليكم الرجل وراح فكفى بذلك تقاضيا * وتذاكروا عنده الثياب فقال احسن ثيابكم مارأيتموه على غيركم * وكان كثيراً مايأمر بصلة الرحم والمكيدة في الحرب (وحكى) ان عبد الرحمن بن الاشعث لما خرج على الحجاج بالجيش الذى كان بعثه معه الى قتال زنبيل كاتب المهلب وهو بخراسان يدعوه الى خلع الحجاج فقال المهلب لاغدر بعد سبعين سنة ثم كتب الى الحجاج أما بعد فان أهل العراق مع ابن الاشعث قد أقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحط من أعلى الى أسفل ليس يرده شئ حتى ينتهي الى قراره ولاهل العراق شدة في أول حربهم وبهم صبابة الى نسائهم وأبنائهم فلا شيء يردهم دون أهليهم فلا تستقبلهم وخل لهم السبيل حتى يأتوا البصرة فيضاجعوا نساءهم ويتشهوا أبناءهم فترق قلوبهم ويخلدوا الى المقام في منازلهم ويتفرقوا عن ابن الاشعث فاوقع بمن حاربك منهم فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ الحجاج كتابه قال ويلي على ابن المروى والله مالي نظر وانما نظر الى ابن عمه ولم يقبل منه ذلك وكان ذلك مراد المهلب وتلطف له في طي هذه النصيحة البليغة ومما روى من شعره

انا اذا أنشأت قوما لنا نعم * قالت لنا أنفس أزدية عودوا
لا يوجد الجود الا عند ذى كرم * والمال عند لئام الناس موجود

ترجمة هرمس وبلينوس

﴿ وان هرمس أعطى بلينوس ماأخذ منك ﴾

هرمس هذا هو الذى تزعم قوم من الصابئة انه نبي مرسل وأنه ادريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم في تعظيم الكواكب السبعة

والبروج الاثني عشر والتقرب اليها بالذبائح والدخن وما أشبه ذلك من مذاهبهم قال أبو معشر البلخي هو أول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النجومية وجده كيومرث وهو آدم عليه السلام علمه ساعات الليل والنهار وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر في الطب وتكلم فيه وصنف لاهل زمانه كتباً كثيرة باشعار موزونة بلغتهم في معرفة الاشياء العلوية والارضية وأول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار * وكان مسكنه مصر فعند ذلك بني الاهرام ومدائن التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي والجبل المعروف ببرباة اخميم وصور في ذلك الموضع الصناعات وصناعها نقشاً وأشار الى صفات العلوم لمن بعده حرصاً على تخليدها من بعده وتزعم الصابئة أن النبوة من بعده لاسقبلينوس وكان اسمه بلينوس فزيد فيه تعظيما لاسمه وكذلك يقال في أرسطاطاليس فان اسمه أرسطو وكان كل من مهر في علومه زيد في اسمه * وكان بلينوس قد أخذ العلوم والاسرار عن هرمس هذا وهو هرمس الهرامسة وزعم آخرون أن هرمس صاحب بلينوس كان بعد الطوفان وهو غير هذا وقال الكندي وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيباً فيلسوفا عالماً بطبائع الادوية جوالا في الارض طوافا في البلاد عالماً بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها وأدويتها وهو صاحب الطلسمات الاندلسية مثل السودانية النحاس وغيرها • وكان بلينوس هذا تلميذه سافر معه البلاد فلما خرجا من الهند الى فارس خلفه ببابل وكان قد أخذ عنه جميع علومه وظهرت له في الطب وابراء المرضى وقائع معجزة الى أن كثرت فيه أقاويلهم وقالوا هو نبي وقالوا ملك وزعموا أن مولده روحاني وان الله تعالى رفعه في عمود من نور واقليدس ينسب اليه وهو الذي وضع علم الطب في

هيكل يعرف بهيكل اسقنبلينوس ويدل على ذلك قول جالينوس في بعض كتبه ان الله تعالى لما خلصني من دبيلة قتالة كانت عرضت لي حججت الى بيته المسمى بهيكل اسقنبلينوس ويقال ان هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلم الناس مركبة على حركات نجومية وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة (وحكي) جالينوس ان الله تعالى أوحى الى اسقنبلينوس اني الى ان أسميك ملكاً أقرب من تسميتك انساناً وكان معظماً عند اليونان يستسقون بقبره ويوقدون عليه كل ليلة ألف قنديل تخلف ابنين ماهرين في صنعة الطب وعهد اليهما أن لا يعلما الطب الا لاولادهما وأهل بيتهما ولا يدخلا في هذه الصناعة غريباً وكان تعليم الطب تلقيناً الى أن وضع أبقراط الكتب وهو السادس عشر من ولده قال جالينوس وأما صورته يعني المصورة في الهيكل فصورة رجل ملتح قائماً متشمراً مجموع الثياب يدل بهذا الشكل على انه ينبغي للاطباء أن يستعدوا في جميع الاوقات آخذاً في يده عصا معوجة ذات شعب يدل ذلك على انه يمكن في صناعة الطب أن يبلغ بمن استعملها من السن أن يحتاج الى عصا يتوكأ عليها وقيل انما صور العصا لانها من شجرة الخطمي وانه يطرد بها الامراض وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن فيه ثم صور على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر وهو التنين ويقرب هذا الحيوان منه لاشياء كثيرة أحدها انه حيوان حاد البصر كثير السهر وكذلك ينبغي للطبيب أن يكون في المعرفة والاجتهاد كذلك والثاني انه يسلخ لباسه الذى يسمونه الشيخوخة فكذلك يمكن الطبيب أن يسلخ الشيخوخة بما يفيده من الصحة والثالث انه طويل العمر وعلى ذلك يحرص بعض الاطباء ويروى انه عاش تسعين سنة ومن كلامه الصنيعة عند الكفور اضاعة للنعمة المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون

يمشي ولا يبرح ولا يعرف ماهو فاعل في تدبيره

ترجمة افلاطون

﴿ وأفلاطون أورد على أرسطاليس ما نقل عنك ﴾

هو افلاطون بن ارسطس الالهي آخر المتقدمين الاوائل معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان اردشير الاول وتتلمذ لسقراط ولما اعتل سقراط ومات مسموما قام مقامه وجلس على كرسيه وقد اخذ العلم عن سقراط وطيمارس وكان قد رحل الى مصر فأخذ أيضاً عن اصحاب فيثاغورس وغيره وضم الى علومه الالهية العلوم الطبيعية والرياضية وهو أحد المشائين المشهورين ومعنى المشائين انه كان من رأيه الرياضة للبدن بالسعي المعتدل لتحليل الفضول ومدارسة الحكمة في تلك الحالة ويقال انه أمر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة لتعليم أولادهم فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة ويصورون فيها أصناف الصور المستحسنة التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلم فيها الصبي فاذا حفظ علماً أو حكمة صعد يوم عيد على درج في مجلس بديع الصنعة وقد اجتمع كبار أهل المملكة فيتكلم بالحكمة التي حفظها على رؤس الاشهاد وعليه التاج ويسمى حكيما كل ذلك ترغيب للصبي في الاشتغال لما يحصل له من الشرف والسرور وفي يوم من هذه الايام ظهر أمر أرسطاطاليس كما سيأتي ذكره ولافلاطون آراء ومذاهب أخذها عنه أرسطاطاليس وخالفه في بعضها مثل حدوث العالم وغيره وكان يصور لافلاطون الصورة ويؤتي بها اليه فيقول من خلق هذه الصورة كذا ومن حالها كذا فصورت صورته وسئل عنها فقال من خلق صاحب هذه الصورة كذا وكذا وهو محب للزنا فقيل انها صورتك فقال نعم ولولا أني أحبس نفسي عن الزنا لفعلت * ومن كلامه ان الله تعالى بقدر مايعطي من الحكمة يمنع من الرزق فقيل له ولم قال

لان الحكمة حظ النفس الناطقة والمال حظ النفس الشهوانية والناطقة غالبة على الشهوانية فالمال والحكمة متغايران فلا يجتمعان وقال لا ينبغي أن تفعل شيئاً اذا عيرت به غضبت فانك اذا فعلت ذلك كنت أنت القاذف لنفسك وقال عقول الناس مدونة في رؤس أقلامهم وظاهرة في اختيارتهم وقيل له بماذا ينتصف الانسان من عدوه قال بأن يزداد فضلا في نفسه وقال في معنى الملك هو كالبحر تستمد منه الانهار فان كانت الانهار عذبة فأصلها منه وان ضد ذلك فمنه وقال ينبغي للذين يأخذون على ايدي الاحداث أن يدعوا لهم موضعا للعذر لئلا يضطروا الى الضجر بكثرة التوبيخ وقيل له فلان لا يعرف شيئاً من الشر قال فاذا لا يعرف الخير يريد أن تكون الامور متميزة عند الانسان فانه بعد تمييزها يختار منها واذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ومتى يطل اختياره خيف عليه أن يقع في مهلكاتها وقال من القبيح أن نمتنع من الطعام اللذيذ لتصح أبداننا ولا نمتنع من القبائح لتصفو بذلك أنفسنا * فأما ارسطاطاليس فهو ابن بيقوماخس المعروف بالمعلم الاول وانما سمى بذلك لانه أول من وضع التعاليم المنطقية وأخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض وكان سبب محبة افلاطون له والقاء علومه اليه ان أباه كان قد أسلمه لافلاطون صغيراً ومات فاستمر ارسطاطاليس يتيما في خدمته وكان ذوفسطاليس الملك قد اتخذ لولده بطاقورس بيتا للحكمة وأمر افلاطون بتعليمه وكان غلاماً متخلفاً قليل الفهم وارسطاطاليس غلاماً زكيا حاداً وكان افلاطون يعلم بطاقورس الآداب والحكمة وارسطاطاليس يعي ذلك ويرسخ في صدره حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذي هو بيت الحكمة وألبس بطاقورس التاج وحضر الملك وأهل المملكة على العادة وصعد افلاطون وولد الملك الى مجلس

ترجمة ارسطاطاليس

الحكمة والشرف على رؤس الاشهاد فلم يورد الغلام شيئاً ولا نطق بحرف فأسقط في يد افلاطون واعتذر بأنه لم يقصر في الالقاء عليه ثم قال يامعشر التلامذة من فيكم من ينوب عن بطلاقورس فثار ارسطاليس وصعد الى مجلس الشرف وأخذ يسرد جميع ماألقاه أفلاطون الى ابن الملك لم يغادر منه حرفا فقال أفلاطون أيها الملك هذه الحكمة التي ألقيتها على ولدك قد حفظها هذا اليتيم فما احتيالي في الرزق والحرمان ثم انصرف الجمع وقد اغتبط أفلاطون بارسطاليس واعتنى به بعد ذلك ومكث عنده نيفاً وعشرين سنة وكان كثير التعظيم له بحيث انه كان اذا جلس فاستدعي منه الكلام يقول اصبر حتى يحضر الناس وربما قال اصبر حتى يحضر العقل فاذا حضر ارسطاليس قال تكلموا ثم مات أفلاطون وقد أخذ عنه ارسطاليس جميع علومه وخالفه في مسائل استدركها عليه وكان يقول انا لنحب أفلاطون ونحب الحق فاذا افترقا فالحق أولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله وقال انما فضل الناس على البهائم بالمنطق فأحقهم بالانسانية أبلغهم منطقاً وأوصلهم الى عبارات من ذات نفسه بالايجاز وله في ذلك مسائل ومصنفات معروفة وكذلك في جميع علومه الحكمية والفلسفية وكان قد تسلم الاسكندر ابن فيليش من أبيه فعلمه وهذبه وولي الاسكندر المملكة فكان لايبرم أمراً وينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى أن توفي الاسكندر وعاش بعده قليلا ومات فوضعت جثته في اناء من نحاس وقيل في خشبة كالتابوت وعلقت في جزيرة صقلية وكان اهل البلد يجتمعون اليها عند المشاورة والمدارسة في فنون الحكمة ويقولون ان مجيئهم الى ذلك الموضع يذكي عقولهم ويصحح فكرهم وربما استسقوا به في الجدب * ومن كلامه مما كتب به للاسكندر وهو في غاية البلاغة

ايها الملك لاتخدع للهوى وان خيل اليك ان في انخداعك له خداعة فقد يسترسل الانسان وهو يظن أنه متحفظ واجمع في سياستك بين بدار لاحدة فيه وريث لاغفلة معه وامزج كل شكل بشكله حتى تزداد قوة وكن عبداً للحق فعبد الحق حر وليكن وكدك الاحسان الى الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة في موضعها وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك واذا أشكل عليك أمر فاضرع الى الله تعالى يبلغك هذه الغاية فانه يفتح لك المرتج واذا فاتك شئ فاعلم أن ذلك لسهو عرض لك في الشكر على ماأفادك ومهما اخطأك شئ فلا يخطئك الفكر في الرحيل عن هذه الدار * ومنه أن لكل شئ صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار ورأى انسانا سمين البدن فقال ما أشد عنايتك برفع سور جسمك وقال سلوا القلوب عن المودات فانها لاتقبل الرشا وقال مقدم الرأس للفكر ومؤخره للذكر والدليل على ذلك ان المتفكر يطأطئ رأسه والمتذكر يرفع رأسه وقال من علم أن الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب واكثر الامثال في شعر المتنبي من قوله وقد افرد الهاشمي رسالة في ذلك (وحكى) عبد الله بن طاهر ان المأمون قال رأيت في المنام رجلا قد جلس مجلس الحكماء فقلت له من أنت فقال ارسطا ليس الحكيم فقلت أيها الحكيم ما أحسن الكلام قال مايستقيم في الرأى قلت ثم ماذا قال مايستحسنه سامعه قلت ثم ماذا قال مالا يخشى عاقبته قلت ثم ماذا قال ماعدا هذا هو ونهيق الحمار سواء قال المأمون ولو كان حيا مازاد على هذا الكلام شيئاً آخر اذبه جمع ومنع وقال قوم ان هذا الكلام وجد في كتبه .

ترجمة بطلميوس

❊ وبطلميوس سوى الاصطرلاب بتدبيرك
وصور الكرة على تقديرك ❊

هو بطلميوس صاحب كتاب المجسطي الكبير والجغرافيا والاصطرلاب وكتاب الحدون الثمانية وغير ذلك وهو اول من شرح القول على هيئات الفلك واخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل واكثر الرواة يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر وبطلميوس لقب ملوكهم وكان رجلا حكيما وسبب ملكه انه لما مات بطلميوس الصانع ملك اليونان لم يكن في بيت هذا الملك من اهله من يصلح للملك فذكر لليونان رجل يصلح فقال بطلميوس انه لا يصلح للملك قالوا ولم قال لانه كثير الخصومة وليس يخلو في خصومته ان يكون ظالما أو مظلوما فان كان ظالما لم يصلح للملك لظلمه وان كان مظلوما لم يصلح للملك لعجزه وضعفه قالوا صدقت فأنت اولى بالملك فملكوه عليهم وقال بعض محققي التاريخ ليس بطلميوس الحكيم من ملوك اليونان بل هو رجل حكيم كان في زمن انطيسوس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة والدليل على انه ليس من ملوك اليونان أنه ذكر في كتاب المجسطي انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبخت نصر وكان من بخت نصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة ومن قتل دارا الى زوال ملك اليونان على يد أو غسطس مائتا سنة وثمانون سنة ومن غلبة أو غسطس الى أن ملك انطيسوس مائة وسبعون سنة فيكون ذلك موافقاً لما حكاه بطلميوس في كتابه ❊ واما الاصطرلاب فيزعمون أنه باللغة اليونانية ميزان الشمس وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الارصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك وبه مثلت هيئة الفلك وكذلك الكرة والاصطرلاب كرة مطبوعة

مثاله كرة من شمع ضمت عليها اليدان فصارت دائرة وزعم بطلميوس
ان الافلاك تسعة فأولها أقربها الى الارض وهو أصغرها وهو فلك
القمر ثم الذى يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم
المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة التاسع
الفلك الاعظم الحاكم على جميع الافلاك ويسمى الاثير لانه يؤثر في
غيره وغيره لايؤثر فيه ويقال القسرى لانه يدير الافلاك دورة قسرية
في كل يوم وليلة وهيآت البروج مثال البطيخة المخططة أعلاها وأسفلها
كالنقطتين وكل بيت بين خطين بمنزلة البرج ثم ان الفلك المحيط يدير
الافلاك الثمانية من المشرق الى المغرب كل يوم دورة واحدة والافلاك
الثمانية تدور من المغرب الى المشرق وشبهوا ذلك بسفينة تجري مع
الماء وفيها رجل يمشي مصعدا (وحكى) أبو حيان التوحيدي قال كان ابن
بكير يقول دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر ويقطعان الفلك
كل يوم وليلة مرتين وهذا من آرائه التي تفرد بها ولم أجد أحدا
يوافقه عليها والصناعة برهانية ولا أعرف أي برهان قام له على هذه
الدعوى * ومن كلام بطلميوس ماأحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهى
وأحسن منه ان لا يشتهي الا ماينبغى وقال ينبغي للعاقل ان ينظر كل يوم
في المرآة فان رأى وجهه حسناً لم يشنه بشئ قبيح يفعله وان رآه
ذميما لم يجمع بين قبيحين وسمع جماعة من أصحابه خول خيمة له
يقعون فيه فهز رمحا بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وأن يتباعدوا عنه
قيد رمح فيقولون ما أحبوا وكان يقول انما نحن كائنون في الزمن الذى
يأتي من بعد هذا رمزا الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقى ذلك
الكون والعالم

ترجمة بقراط أو أبقراط

﴿ وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك ﴾

هو بقراط بن ابراقليس كان في زمن بهمن بن اسفنديار ويقال انه سابع الاطباء الذين أولهم اسقنبليوس وهو قبل سقراط وأفلاطون وهو الذى نظر في صناعة الطب فوجدها قد كادت تبيد لقلة أبناء المورثين لها من آل اسقنبلينوس فانهم كانوا يلقنونها الابناء منهم ولا يكتبونها فيتعلمها غيرهم فبث بقراط هذه الصناعة فى الناس وعلم الغرباء وعهد الى الاطباء عهداً طويلا مشهوراً وقال جالينوس في بعض كتبه ان أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلمه في الطب من أمر النجوم مالم يكن يدانيه فيه أحد من أبناء زمانه وكان يعلم أمر الاركان التي منها تركيب أبدان الحيوان وكون جميع الاجسام التى تقبل الكون والفساد وفسادها وهو الذي برهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان والنبات واستنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وهو أول من اتخذ البيمارستان وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعاً مفردا للمرضى وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم وسماه اخشيد وكن أى مجمع المرضى وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسي ولم يكن يرغب في الاتصال بالملوك حتى ان ملك الفرس كتب الى عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل أبقراط اليه لاجل وباء عرض في بلاده وأن يحمل اليه مائة قنطار ذهباً ويضمن له اقطاعا مثلها وكتب الى ملك اليونان في ذلك الوقت يستعين به على اخراجه اليه وضمن له مهادنته سبع سنين فلم يجب أبقراط الى هذا وقال أهل المدينة ان خرج أبقراط خرجنا كلنا وقتلنا دونه وتفسير أبقراط ضابط الكل وقيل ضابط الخيل وهو الصحيح * وكتبه جليلة وأخباره حسنة ومن ظريف حكاياته أن ولد

أحد ملوك اليونان عشق جارية من حظايا أبيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر أبقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير عنده علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل خرج من الدار فقالت لا فقال لأبيه مر رئيس الخصيان بطاعتي فأمره بذلك فقال أخرج علي النساء فخرجن وأبقراط واضع يده على نبض الصبي فلما خرجت الصبية الحظية اضطرب عرقه وحار طبعه فعلم بقراط أنها المعنية بهواه فصار الى الملك فقال أن ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن تيك قال هي زوجتي قال فانزل عنها ولك عنها بدل فتمنع أبقراط وقال هل رأيت أحداً كلف أحد اطلاق زوجته ولا سيما الملك في عدله ونصفته يأمرني بمفارقة زوجتي وهي عديلة روحي فقال الملك اني أوثر ولدي عليك وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال أبقراط ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه ماينصف من غيره أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يابقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفي الفتى من لاعج الهوى * ومن كلام أبقراط سلوا القلوب عن المودات فانها شهود لاتقبل الرشا وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع يعني من المآكل والمشارب وقال خير الغذاء بواكره وخير العشاء بوادره يعنى بذلك المبادرة به في بقايا النهار والضوء متمكن وقبل الدخول في حد النوم وقال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه وسئل كم ينبغي للانسان أن يجامع فقال في كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال في كل شهر قيل فان لم يقدر قال في كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هي روحه متي شاء أخرجها ولما حضرته

الوفاة قال خذوا مني العلم بغير حسد من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته فقد طال عمره

ترجمة جالينوس

﴿ وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك ﴾

(جالينوس) هو آخر الحكماء المشهورين ويسمي خاتم الاطباء والمعلمين وذلك أنه عند ماظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الاطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها فانتدب لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها وساح وطلب الحشائش وجرب وقاس امزجتها وطبائعها وشرح الاعضاء ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة وهي مادة الاطباء الى يومنا هذا وأشهرها الكتب الستة التي شرحها الاسكندرانيون ولم يأت بعده الا من هو دون منزلته وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ولم يره (حكي) أنه لما بلغه دعوة المسيح صلوات الله عليه احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاكمه والابرص قال لمن حوله من التلامذة ان علم من هذا المدعي بما لا تستقل به الطبيعة سفه قبل ما ادعاه لايخاطب ويحمل فيما ادعاه على ماتقدم العلم منه من السفه وان لم يعلم منه سفه تقدم دعواه يطلب بالبيان لامكانه مما وراء عالم الطبيعة وذلك سبيل كل ناطق يقوم في ابتداء كل قرن يأتي من الزمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد في الارض سبيله الدعوى بما لا تستقل به الطبيعة لانقياد الناس الى طاعته بعد القيام بصحة ما ادعاه فمن سلك سبيله بعد ذلك تمت حركته ثم تجهز للاجتماع به وسار اليه فمات في طريقه بمدينة الفرما وهي على شاطئ بحيرة تنيس وبها قبره ولما اشتد به المرض قيل له ألا تتداوى قال اذا نزل قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل ثم مات مبطوناً ومات ارسطاطاليس

بالسل ومات افلاطون مبرسما ومات أبقراط مفلوجا * ومن حكايات جالينوس عن نفسه قال مررت بشيخ يزرع شجرة فقلت ياشيخ ماتزرع فقال شجرة ثمرتها لي ولك قلت وما هي قال شجرة المشمش ثمرتها لي لاني آخذ ثمنها ولك لانها تكثر المرضى فتأخذ من أموالهم (وحكى) عن نفسه في معرفة التشريح قال أعرف رجلا شكا ضعف شهوة الطعام فوضعت على رقبته أدوية فبرئ لان في العضوين المجاورين للعرقين النابضين شعبة الى فم المعدة تنال منها الحس وكان في رقبة ذلك الرجل خنازير فقطعها الاطباء فأضر ذلك بتلك القصبة التي منها الشعبة وبرئت رقبته وصار ضعيف الشهوة عن الطعام فوضعت عليها الادوية المقوية فبرئ * ومن كلامه الانسان سراج ضعيف كيف يدوم ضوءه بين رياح أربع يعني الطبائع وقال الانسان الى تجنب مايضره أحوج منه الى تناول ماينفعه وقال من كان له درهم فليجعل نصفه في النرجس فانه راعي الدماغ والدماغ راعي العقل * ورأي مصارعا كان لايرمي أحداً قد صار طبيباً فقال الآن كما صرعت الناس

﴿ وكلاهما قلدك في العلاج وسألك عن المزاج ﴾

العلاج والمعالجة في اللغة المغالبة وسمي الطب علاجا لكون الطبيب يغالب المرض وقال أبقراط يعالج الجسد على خمسة أضرب مافي الرأس بالغرغرة ومافي المعدة بالقيء وما في أسفل المعدة بالاسهال وما بين الجلدين بالعرق واسهال الدم ويحتاج ذلك الى علوم الاصول من الاستقصات والطبائع والاخلاط والقوى والارواح والاسباب وغير ذلك والمزاج في اللغة خلط الشراب بغيره وعبر عنه الاطباء بانه عبارة عن تكافؤ الطبائع واختلاطها في البدن والمزاج عندهم تسعة واحد معتدل وثمانية

غير معتدلة وفى الثمانية أربعة مفردة وهي الحار والبارد والرطب واليابس والاخلاط أربعة وهي الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم فالدم حار رطب والمرة الصفراء حارة يابسة والبلغم بارد رطب والمرة السوداء باردة يابسة ومعرفة أمزجة الانسان من أقسام الاسباب والعلامات ويعرف مزاج غير ذلك بالتجربة وبالقياس فليعلم ذلك

﴿ واستوصفك تركيب الاعضاء واستشارك في الداء والدواء ﴾

يشير بمعرفة الاعضاء الى ذكر صفات التشريح التي ذكرها جالينوس وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة والاعضاء عندهم علي قسمين بسيط ومركب فالبسيط كالعظم والعصب والعروق والمركب كالرأس واليدين والرجلين ومن الاعضاء أعضاء رئيسة وأعضاء مرؤسة وأعضاء ليست برئيسة ولا مرؤسة فالرئيسة أربعة كالدماغ والقلب والكبد والانثيين والمرؤسة ماتخدم هذه الرئيسة وذلك ان الدماغ يخدمه العصب والقلب يخدمه الشرايين والكبد تخدمها العروق والانثيان أوعية المني وما ليس برئيس ولا خادم كالعظام والغضاريف والشحم واللحم والاعضاء التي لها قوى كالمعدة والكلي • والداء هو المرض الداخل على الابدان وأجناسه ثلاثة الاول فساد المزاج والثاني تفرق الاتصال والثالث المرض المشترك والدواء مايحفظ به الصحة المائلة عن البدن أو مايجلب به الصحة للبدن المزايلة له وهو نفس القسم العملي ومداره على الحذق وكان بقراط يقول الطبيب الحاذق يصير بحذقه السم دواء نافعاً والجاهل يصير الدواء سما قاتلا مثال ذلك أن الجاهل بالطب اذا أخذ الصندل وسحقه كالكحل ثم طلاه على بدن حار كثير الحرارة طلياً ثخيناً دخلت تلك الاجزاء الدقيقة في منافس الجسد ومسامه فتؤذي العليل والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندي فيسحقه ناعماً ثم يطليه على البدن طلياً رقيقاً فيتصل مافيه

من الرطوبة الى حرارة البدن فيبردها ويجد الحر سبيلا الى الخروج فتكون حرارة العود مبردة بتدبير الطبيب فاعلم ذلك

﴿ وانك نهجت لابي معشر طريق القضاء ﴾

النهج بيان الطريق ووضوحه ومنه نهج الثوب اذا بان فيه البلاء * والقضاء فصل الامر قولا كان أو فعلا وأصله قضاي من قضيت فقلبت الياء همزة والمراد به ههنا حكم المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب قال الشاعر ﴿ يقضون بالامر عنها وهي غافلة ﴾ وأبو معشر هذا هو جعفر بن محمد ابن عمر البلخي المنجم المشهور في علم النجامة كان في الاول من أصحاب الحديث ببغداد وكان يشنع على الكندى الفيلسوف بعلوم الفلسفة ويغري به العامة فدس له الكندي من حسن له النظر فى علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك ثم عدل الى أحكام النجوم فتفنن ومهر وانقطع شره عن الكندي لانه من جنس علوم الكندي ويقال انه اشتغل بالنجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وصنف الكتب الحسنة في هذا العلم مثل كتاب الالوف وكتاب المدخل وكتاب المذاكرات وغير ذلك وظهرت له اصابات عجيبة وحكى عنه فيها حكايات بديعة قال في كتاب المذاكرات قال حضرت وشيلمة والزيادي عند الموفق وكان الزيادي استاذ زمانه في النجوم فأضمر الموفق ضميراً فقال الزيادي أضمر الامير فقد أمر جليل رفيع فقال له كذبت فقال شيلمة قولا قريباً منه فقال الموفق كذبت ثم قال لى هات ماعندك فقلت أضمر الامير الله عز وجل فقال أحسنت والله ويلك أنى لك هذا قلت الرئيس يرى فعله ولا يرى نفسه وكان في أرفع درجة الفلك في الضمير ولم أعرف له مثلا الا الله عز وجل لان الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو وهو فوق كل عزة وسلطان ليس فوقه شيء (وحكى) عنه أنه كان قد تقلى

ترجمة أبي معشر

في البلاد فاتصل ببعض ملوك العجم وان الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليطالبه بجريمة وقعت منه فاستخفى الرجل وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريق الذى يستخرج بها الخفايا والاشياء الكامنة فأراد أن يصنع شيئاً لايهتدي اليه ويبعد عنه الحدس فأخذ طشتاً وملأه دما وجعل في الدم هاوناً من ذهب كبيرا يتمكن من القعود عليه ثم جلس عليه أياما وتطلب الملك ذلك الرجل فأعياه فأحضر أبا معشر وقال له عرفني بموضعه كما جرت عادتك فعمل المسئلة التى يستخرج بها المجهولات وسكت زماناً حائرا فقال الملك ماسبب حيرتك قال أرى شيئاً عجيباً قال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر دم ولا أعلم في العالم موضعاً على هذه الصفة فلما يئس الملك من القدرة عليه نادى في البلد بأمان الرجل ومن أخفاه فلما اطمأن الرجل بذلك ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذى كان فيه فأخبره بما اعتمد فأعجبه حسن احتياله واصابة أبي معشر في استخراجه ولابي معشر في هذا الباب أخبار كثيرة والله أعلم بحقيقتها وكان مع تقدمه في هذه الصناعة يصيبه الصرع عند امتلاء القمر في كل شهر وكان لايعرف لنفسه مولداً ولكن كان قد عمل مسئلة عن عمره وأحواله وسأل عنها الزيادي المنجم ليكون أصح دلالة اذا اجتمع عليها طبيعتان طبيعة المسؤل وطبيعة السائل فخرج طالع تلك السنة السنبلة والقمر في العقرب في مقابلة الشمس والمريخ ناظر الى القمر من الدلو وهذه الصورة توجب الصرع ومات به سنة اثنتين وسبعين ومائتين وقيل كان سبب موته ان المستعين ضربه أسواطاً لانه أخبر بشيء قبل كونه فاصاب فكان يقول أصبت فعوقبت

﴿ وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء ﴾

(الكيمياء) معروفة الاسم باطلة المعنى وليعقوب الكندى رسالة بديعة سماها ابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ويقال ان ابا بكر الرازي رد عليه فى رسالة له ورأيت لابي عثمان الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر خلق الفار من الطين كلاماً في الكيمياء بعد فيه وقرب ولم يخرج على شيء من ابطالها وتحقيقها والصحيح الاشهر عدم الصحة فيها ولذكرها ههنا عقيب صناعة النجوم مناسبة لاقوال الناس فيهما • وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه وهذا دليل على قول أكثر الناس انه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن وزعموا انه كان فى زمن جعفر الصادق وانه اذا قال فى كتبه قال لى سيدي وسمعت من سيدي فانه يعني به جعفرا الصادق ومع ذلك فان الله تعالى أعلم بحقيقتها

جابر بن حيان

﴿ وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق ﴾

ترجمة النظام

هو ابراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام ويكني أبا اسحق شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم شديد الغوص على المعاني وانما أداه الى المذاهب التى استبشعت منه تدقيقه وتغلغله فانه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال فى كلامه الى الطبيعيين منهم والالهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم مثل قوله ان الله تبارك وتعالي لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى خلافا لاصحابه لانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لا يفعلها ومثل قوله ان الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت وقوله

ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونبات وحيوان وانسان ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده غير أن الله أكمن بعضها في بعض وهذا قول أهل الكون من الفلاسفة وقوله في القرآن في قوى البشر أن تأتي بمثله الا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك الى غير ذلك من مسائله المذكورة في كتب الاصوليين ومراد ابن زيدون بالحقائق غير ذلك من مسائله الحسنة المعجبة فانها كثيرة وانما عدت سقطات النظام لكثرة أصابته وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة (حكي) أن أباه جاء به وهو صغير الى الخليل ابن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة قال أبمدح أم بذم قال بمدح قال تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراء قال فذمها قال يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر قال فصف لي هذه النخلة وأومأ الى نخلة في داره قال بمدح أم ذم قال بمدح قال حلو جناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك احوج ثم اشتغل على أبي الهذيل العلاف بمذهب الكلام الى أن برع وظهر في أيام المعتصم وتبعه خلق كثير وكان أصل مذهبهم أنه من زعم أن الله تعالى شيء فهو كافر ثم ناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مراراً وقيل له أتناظر أبا الهذيل قال نعم وأطرح له رخا من عقلي (وحكى) الجاحظ عنه فانه كان من أكبر تلامذته وأصحابه قال دخل أبو اسحق النظام على أبي الهذيل وقد أسن وبعد عهده بالمناظرة وأبو اسحق حدث السن فقال يا أبا الهذيل أخبرني عن فراركم أن يكون جوهراً مخافة أن يكون جسما فهلا فررتم من أن يكون جوهراً مخافة أن يكون عرضاً والجوهر أضعف من العرض فبصق أبو الهذيل

فى وجهـه فقال أبو اسحق قبحك الله من شيخ فـا أضعف حجتك
(وحكي) عنه قال مات لصالح بن عبدالقدوس ولد فمضى اليه أبو الهذيل
والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فرآه محترقا فقال أبو الهـذيل
لا أعرف لجزعـك وجهاً اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صـالح
يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال أبو الهذيل
وما كتاب الشكوك قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم
انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك أنت
فى موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات وشك أيضاً في أنه قد
قرأ هـذا الكتاب وان لم يكن قرأه فحصر صالح وكان مذهبه مذهب
السوفسطائية فانهم يزعمون ان الاشياء لا حقيقة لهـا وأن ما نستبعده
يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهـده
وان حال اليقظان كحال النائم (وحكى) الجاحظ قال تجـاذبت يوما أنا
واياه حديث الطيرة فقال أخبرك اني جعت حتى أكلت الطين وما صرت
الي ذلك حتى قلبت قلبي أتذكر هل ثم رجل أصيب عنده غـداء أو
عشاء فما قدرت عليه وكان علي جبة وقميص فبعت القميص ثم قصدت
الاهواز وما أعرف بها أحداً وما كان ذلك ناشئاً الا عن الحيرة والضجر
فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم اني رأيت سفينة
في صـدرها خرق وهشم فتطيرت أيضاً فقلت للملاح تحملني قال نعم
قلت ما اسمك قال داوداذ بالفارسية وهو اسم شيطان فتطيرت فركبت
معه فلما قربت من الفرضة صحت يا حمال ومعي لحاف سمل ومضربة
خلق وبعض ما لا بد لمثلي منه فكان أول حـال أجابني أعور فقلت
لبقار كان واقفاً بكم تكري ثورك هذا الى الخان فلما أدناه مني اذ هو
أعضب فازددت طيرة الى طيرة وقلت في نفسي الرجوع أسلم ثم ذكرت

حاجتي الى اكل الطين وقلت ومن لى بالموت فلما صرت الى الحسان وأنا حائر ما اصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذى انا فيه فقلت من هذا فقال رجل يريدك فقلت من أنا فقال ابراهيم بن سيار النظام فقلت هذا عدو ورسول سلطان ثم اني تحاملت وفتحت له الباب فقال أرسلني اليك ابراهيم بن عبد العزيز ويقول لك ان كنا اختلفنا في المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت بي على حال كرهتها وينبغي ان تكون نزعت بك حاجة فان شئت فاقم بمكانك مدة شهر او شهرين فعسى نبعث اليك ببعض ما يكفيك زماناً من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد علي امر أذهلني أما واحدة فاني لم أكن ملكت قبل في جميع دهري ثلاثين دينارا والثانية انه لم يطل مقامي وغيبتي عن اهلي والثالثة ما تبين لي من الطيرة انها باطل *

وتوفي النظام سنة احدى وعشرين ومائتين وله من العمر ست وثلاثون سنة وله كلام حسن وشعر رقيق ومن كلامه العلم شيء لا يعطيك بعضه حتي تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فأنت من اعطائه لك البعض على خطر وقال كنا نلهو بالاماني ونعد أنفسنا بالمواعيد فذهب من كان يجز ثم اشتغلنا بالهموم عن الآمال وقال مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام فالشيء يصير الى شبهه والجنسية علة الضم وقال اذا كان في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فان المصيبة عندك أكثر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت في مفاصله الكلوم

فقال ماينبغى أن ينادم هذا الأعمى ثم نظم المعنى في شعره ومن شعره

ذكرتك والراح في راحتي * فشبت المدام بدمع غزير
فان ينفد الدمع فرط الاسى * بكتك الحشى بدموع الضمير

ومنه أيضاً

يا تاركي جسداً بغير فؤاد * أسرفت في الهجران والابعاد
ان كان يمنعك الزيارة أعين * فادخل الي بعلة العواد
ان العيون على القلوب اذا جنت * كانت بليتها على الاجساد

ومنه

أريد الفراق واشتاقكم * كأنا افترقنا ولم نفترق
واستغنم الوصل كي اشتفي * وهل يشتفي أبداً من عشق

ومنه

يروع مناجيه بها روت لفظه * ويؤنسه منه بصورة آدم
نري فيه لاما فردة فوق وردة * وفصاً من الياقوت من فوق خاتم

ومنه

وشادن ينطق بالظرف * يقصر عنه منتهى الوصف
رق فلو بزت سرابيله * علقه الجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره * ويشتكي الايماء بالطرف
أفديه من مغرى بما ساءني * كأنه يعلم ما أخفي

وقيل له وهو في مرضه وفي يديه قدح من زجاج مملوء من بعض الادوية ماهذا فقال أصبحت فى دار بليات أدفع آفات بآفات

ترجمة الكندي

﴿ وجملت للكندي رسما استخرج به الدقائق ﴾

(الكندى) هو يعقوب بن الصباح المسمى في وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس كان أبوه ابن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها

في أيام المهدي والرشيد وانتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فاتقنها وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوائده وتلامذته وكانت دولة المعتصم تجمل به وبمصنفاته وهي كثيرة جدا ومن أجودها كتاب اقسام العقل الانسى وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى ٠ وله أخبار حسنة ونوادر في البخل وغيره فمن أخباره حكي أنه كان حاضراً عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام فأنشده قصيدته السينية فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم احنف في ذكاء اياس

قال الكندي ماصنعت شيأ قال كيف قال مازدت على ان شبهت ابن امير المؤمنين بصعاليك العرب وايضاً ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك في أبي دلف حيث قال

رجل أبر على شجاعة عامر * بأساً وغبر في محيا حاتم

فاطرق ابو تمام ثم أنشد

لاتنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندا والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة فتعجب منه ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي وله فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد يكون في ذلك الوقت ظهرت له دلائل من شخصه على قرب أجله وسمع الكندي انسانا ينشد ويقول

وفي أربع مني حلت منك اربع * فما أنا ادري ايها هاج لي كربي

خيالك في عيني ام الذكر في فمي * أم النطق في سمعي ام الحب في قلبي

فقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا وقال يوماً لجارية كان يهواها اني

ارى فرط الاعتياصات من المتوقعات على طالبي المودات مؤذنات بعدم المقولات فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقالت ان اللحى المسترخيات على صدور اهل الركا كات محتاجات الى المواسى الحالقات • ومن نوادره وكلامه في البخل كان يقول من شرف البخل انك تقول للسائل لا ورأسك الى فوق ومن ذل العطاء انك تقول نعم وأنت برأسك الى أسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت وقال عمر بن ميمون تغديت يوما عند الكندي فدخل جار له فدعوته الى الطعام فقال الرجل والله لتغديت فقال الكندى مابعد الله شئ فكتفه كتافا لو نشط ليأكل معه لكان كافراً ومن وصيته لولده يابنى كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فان مالك اذا خرج عن يديك لم يعد اليك واعلم أن الدينار محموم فاذا صرفته مات واعلم أنه ليس شئ أسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر ومثل الدرهم كمثل الطير الذى هو لك مادام في يدك فاذا طار عنك صار لغيرك وقال المتلمس

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

لحفظ المال خير من فناه * وسير في البلاد بغير زاد

وأعرف هنا بيتاً بيت أكثر من مائة ألف في المساجد وهو قول القائل

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

فاحذر يابني أن تلحق بهم * ومن كلامه في الفلسفة علوم الفلسفه ثلاثة فأولها العلم الرياضي في التعليم وهو أوسطها في الطبع والثاني علم الطبيعيات وهو أسفلها في الطبع والثالث علم الربوبية وهو أعلاها في الطبع وانما كانت العلوم ثلاثة لان المعلومات ثلاثة اما علم مايقع عليه الحس وهو ذوات الهيولى واما علم ماليس لذي هيولى اما أن

يكون لا يتصل بالهيولى البتة واما ان يكون قد يتصل بها فاما ذات الهيولى فهي المحسوسات وعلمها وهو العلم الطبيعي واما ان يتصل بالهيولى فان له انفرادا بذاته كعلم الرياضيات التي هي العدد والهندسة والتنجيم والتأليف واما لا يتصل بالهيولى البتة وهو علم الربوبية • ومن شعره في وصف قصيدة

تقصر عن مداها الريح جريا * وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد * فحث به المطايا والمدام

ومنه له

اناف الذنابي على الارؤس * فغمض جفونك او نكس
وعند مليكك فابغ العلو * وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغني وفي غدا * وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من أخي عسرة * غني وذي ثروة مفلس
وكم كاتم شخصه ميت * على أنه بعد لم يرمس

وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقى

لو قيل للعباس يا ابن محمد * قل لا وانت مخلد ماقالها

فقال ليس يجب أن يقول الانسان في كل شيء نعم وكان الوجه أن يستثنى ثم قال

مجرت في القول لا الا لعارضة * تكون أولى بلا في اللفظ من نعم

﴿وان صناعة الالحان اختراعك وتأليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك﴾

(الالحان) الاصوات ذوات النغم والايقاع المؤلف على اعداد هندسية وزعم قوم ان الالحان هي موضوعة على اعاريض فقال اسحق الموصلي وهو خاتم القوم هذا قول من لم يدر هذه الصناعة واختلف فيمن وضعها فقيل بطلميوس وقيل غيره والصحيح انها قديمة موجودة في تعليم الفلاسفة

الأولى والاشهر أن بطلميوس أول من أفرد لها كتاباً وسماه كتاب اللحون الثمانية ولها ألقاب وأوضاع معروفة وكان بطلميوس يقول الالحان أشرف المنطق ولذلك ترتاح اليها النفوس أكثر من كل نطق وأشرف النفوس ما كان اليها أكثر ارتياحا وقال غيره النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه القلب وقال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات المطربة فان النفس اذا حزنت خمد نورها فاذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد وسئل أبو سليمان المنطقي لم صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة في أن الشخص يكون بغيض المنظر والقرب فاذا غنى بألحان مطربة عشق قربه واقبل الطرف عليه فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان لان الصناعة ههنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة وقد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وانما تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتب باملائها والموسيقى حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف بالموسيقا واذا صادف طبيعة قابلة ومادة منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً شريفاً وأعطاها صورة معشوقة فمن ههنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة الحاذقة التي من شأنها استملاء ماليس لها واملاء ما يحصل فيها مستكملا فكما تأخذ تعطي * فأما الاوتار والاتقار فاشارة الى الآلات المطربة الملهية من العيدان والدفقة وما أشبه ذلك * ويقال ان أول من اتخذ العود لمك بن متوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف وقيل بطلميوس وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه أنه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع فالزير بازاء المرة السوداء والمثنى بازاء الدم

والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة الصفراء فاذا احتملت أوتاره المركبة على مايجب جانست الطبائع فانتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وأول من اتخذ الدفغة لوبا بن لمك واتخذت العرب القصب والتوقيع عليها واتخذت الفرس الصنوج وأشباهها وكل ذلك موضوع على نقرات معدودة ووقفات بينها وأول من غني من العرب على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى في الاسلام بألحان الفرس سعيد بن مسجح وقيل طويس وذلك أن عبدالله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربي ثم دخل الى الشام فأخذ الالحان عن الروم ثم دخل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدئ هذا العلم ببطلميوس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلي

ترجمة عبد الحميد

﴿ وان عبدالحميد بن يحيي باري أقلامك ﴾

(هو عبد الحميد بن يحيي بن سعيد العامري) البالغ الى أعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في أول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان بن الجعدي قبل أن يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا سجدت فقال ولم أسجد على أن كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال اذاً تطير معي قال الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته وهو أول من اتخذ التحميدات في فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب

المفرط على ما اقتضاه الحال فمن الايجاز ان بعض عمال مروان أهدى اليه عبداً أسود فأمره بالاجابة ذا ما مختصراً فكتب لو وجدت لوناً شراً من السواد وعدداً أقل من الواحد لأهديته وأما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستميله ويضمنه مالو قرئ لاوقع الاختلاف بين أصحاب أبي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه وأمر بنار فأحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى * عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي أو بعد مماتي فقال عبد الحميد

أسرّ وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا أمير المؤمنين ان الذي امرتني به أنفع الامرين اليك واقبحهما بي ولكني اصبر حتى يفتح الله عليك او اقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا ايكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفاً على صاحبه الى ان عرف عبد الحميد فأخذ وسلمه السفاح الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طشتاً ويضعه على رأسه الى ان مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان ابو جعفر المنصور يقول غلبنا بنو امية بثلاثة اشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن

البعلبكيّ وقيل لعبد الحميد ما الذى مكنك من البلاغة قال حفظ كلام الاصلع يعنى امير المؤمنين عليّ بن ابى طالب كرم الله وجهه وقيل له ايما احب اليك اخوك ام صديقك قال انما احب اخي اذا كان صديقي وقال اكرموا الكتاب فان الله تعالى اجرى الارزاق على ايديهم وقال العلم شجرة وثمارها الالفاظ وكان ابراهيم بن جبلة يكتب خطاً رديئاً فقال له عبد الحميد اطل جلفة قلمك واسمنها وحرف قطتك وايمنها يصلح خطك والى هذا اشار ابن زيدون بقوله وعبد الحميد باري اقلامك * ومن رسائله ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من انسيته وقرينته متاعاً مدة الى اجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم اعطى امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها انفس منها في المنقلب وأرجح في الميزان وأسنى في العوض فالحمد لله رب العالمين وإنا لله وانا اليه راجعون * وكتب موصيا بشخص يقول حق موصل كتابي اليك كحقه علي اذ جعلك موضعا لأمله ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمله * وكتب يعرض بشعار بني العباس الاسود من رسالة فرويدا حتى ينصب السيل وتمحى آية الليل * وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة حتي اعترانى حنادس جهاله ومهاوي سبل ضلاله ذللا لسباقه وسلمانى قياده الى نزل من حميم وتصلية جحيم سوى ما أنتجت الحفيظة في نفسه من عوائد الحسك وقد حت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناصبة ومبارزة لامير المؤمنين بالمحاربة ومجاهدة للمسلمين بالمخالفة الى أن أصبح بفلاة قفر وتيه صفر بعيدة المناط يقطع دونها النياط وكذلك يفعل الله بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون * وكتب من رسالة أخرى الى أهله وهو منهزم مع مروان

أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنا بها ذمها ساخطا عليها وشكاها مستزيدا لها وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فلح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفاره من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار نسأل الله الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين * ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة عند الكتاب *

ومن شعره رحمه الله

ترحل ماليس بالقافل * وأعقب ماليس بالزائل

فلهفي لذى خلف قادم * ولهفي على سلف راحل

سأبكي على ذا وأبكي لذا * بكاء مولهة ثاكل

فتبكي من ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل

ومنه أيضاً

كفى حزنا اني أرى من أحبه * قريباً ولا غير العيون تترجم

فأقسم لو أبصرتنا حين نلتقي * ونحن سكوت خلتنا نتكلم

ترجمة سهل ابن هرون

﴿ وسهل بن هرون مدوّن كلامك ﴾

(هو سهل بن هرون بن راهبون) ويكنى أبا عمرو من أهل نيسابور نزل البصرة فنسب اليها ويقال انه كان شعوبيا والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس وانفرد سهل في زمانه بالبلاغة

والحكمة وصنف الكتب معارضا بها كتب الاوائل حتى قيل له بزرجمهر الاسلام وله اليد الطولى في النظم والنثر وكان في أول أمره خصيصا بالفضل بن سهل ثم قدمه الى المأمون فأعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرس وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليها احد أبدا فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي واستشارهم في حمل الخزانة الى المأمون فكلهم اشاروا بعدم الموافقة الا مطرانا واحداً فانه قال الرأي ان تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا أفسدتها واوقعت بين علمائها فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هرون خازنا لها فتصفحها ونسج على منوال كتب منها وصنف كتاب عفرا وثعلة في معارضة كتاب كليلة ودمنة وصنف كتابا في مدح البخل ثم أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ماقبحه الله وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئاً * وكان سهل من أبخل الناس وله في البخل وغيره نوادر حسنة (حكى) الجاحظ قال لقي رجل سهل بن هرون فقال هب لي مالا ضرر به عليك فقال وما هو يا أخي قال درهم قال لقد هونت الدرهم وهو طابع الله في أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذي هونته وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت (وحكى) دعبل الخزاعي قال أقمنا يوما عند سهل بن هرون وأطلنا الحديث حتى أضربه الجوع فدعا

بغدائه فأتي بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم فأخذ كسرة وتفقد مافي الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقي مطرقاً ثم قال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم اظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله اني لأمقت من يرمي برجله فكيف برأسه والرأس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمسة ومنه يصيح الديك ولولا صوته ماأريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بصفائها المثل ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم ارعظما قط أهش من رأسه فان كان بلغ من قبلك ان لاتأكله فعندنا من يأكله أما علمت انه خير من طرف الجناح والساق انظر اين رميته فقال والله ماأدري قال لكني ادرى انك رميته في بطنك (وحكى) الجاحظ ان ابا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته فكتب رقعة وختمها ودفعها اليه فأوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك واوقف عليها أبا الهذيل واذا فيها مكتوب

ان الضمير اذا سألتك حاجة * لابي الهذيل خلاف ماأبدي
فامنحه روح اليأس ثم امدد له * حبل الرجاء المخلف الوعد
حتى اذا طالت شقاوة جده * وعنائه فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد * فيما يضرّ بأبلغ الجهد

ثم قال الحسن هذه صفته لاصفتنا وأمر لابي الهذيل بمال فعاد اليه فعاتبه فقال سهل ترى أين عزب عنك الفهم أما سمعت قولي ان الضمير خلاف ماأبدي فلو لم يكن ضميري الخير ماقلت هذا وهذه من مغالطات سهل وبلاغته وسنأتي في ترجمة الجاحظ حكاية مثل هذه * ومن محاسن تعريضات سهل أنه خاطب بعض الامراء فقال له كذبت فقال أيها الامير ان وجه الكذاب لايقابلك يعني الامير بذلك لان وجه الانسان لايقابله ويروى أن المأمون كان قد انحرف عن سهل الى أن

دخل عليه يوما فقال ياأمير المؤمنين انك ظلمتني وظلمت فلانا الكاتب
فقال ويلك وكيف قال رفعته فوق قدره ووضعتني دون قدري الاانك
له في ذلك أشد ظلماً قال كيف قال لانك أقمته مقام هزؤ وأقمتني مقام
رحمة فضحك المأمون وقال قاتلك الله ماأعجبك ورضي عنه وقد رويت
هذه الحكاية لغيره (وحكي) عن سبب رضا المأمون عنه أنه تكلم
بكلام حسن في محفل فقام سهل وقال مالكم تسمعون ولا تعون ولا
تعجبون أما والله أنه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثل ماقالت وفعلت
بنومروان في الدهر الطويل فاعجب المأمون قوله ورضي عنه * ومن
كلامه يعزي التهنئة على آجل الثواب اولى من التعزية على عاجل
المصيبة وقال في المعنى مصيبة في غيرك لك ثوابها خير من مصيبةفيك
لغيرك ثوابها وقال حق على كل ذي مقالةأن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها
كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكتب الى صديق له ابلّ من ضعف
بلغني خبر الفترة في المامها وانحسارها والشكاة في حلولها وارتحالها
فكاد يشغل القلق باوله عن السكون لآخره وتذهل الحيرة في ابتدائه
عن المسرة في انتهائه وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياعا للاولى
وارتياحا للاخرى وكتب لآخر أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذي
ود ضنين بك في غير مقلية لك ولا سلوة عنك بل استسلام للبلوي في
أمرك واقرار بالعجز عن استعطافك الى أوان فيئتك أو يجعل الله لنا
دولة من رمقك * وقال يفضل الزجاج على الذهب في رسالة الزجاج
مجلو نوري والذهب متاع سائر والشراب في الزجاج أحسن منه في كل
معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع في السوم
واسم الذهب يتطير منه ومن لؤمه سرعته الى اللئام وهو فاتن فاتك لمن
صانه وهو أيضاً من مصايد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران

والزجاج لايحمل الوضر ولا يداخله الغمر ومتى غسل بالماء وحده عاد جديداً وهو أشبه شيء بالماء وصفته عجيبة وصناعته أعجب من رسالة طويلة وكان سبب قوله لما أن شدادا الحارثي كان قد وصف الذهب فاطنب وكان النظام قد ذم الزجاج وقال تعلموا العلم فلأن يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم وقال يوما ثلاثة من المجانين الغضبان والنيران والسكران فقال شخص من العوام فما تقول في المنعظ فضحك حتى استلقى وأنشد يقول

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لاتصحبينا

ومن كلامه في كتاب عفراء ونملة اجعلوا اداء مايجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم فان تقديم النافلة مع الابطاء فى اداء الفريضة شاهد على وهن العقيدة وتقصير الروية ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ولزوم النقيصة * ومن شعره قوله

ان كنت اخطأت او اسأت ففي * عفوك مأوى للفضل والمنن
أتيت ما استحق من خطا * فجد بما تستحق من حسن

ومنه

اعان طرفي على جسمي واعضائي * بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غرا بما يجني علي يدى * لاعلم لي ان بعضي بعض اعدائي

وقوله يهجو رجلا

من كان يعمر ماشادت اوائله * فأنت تهدم ماشادوا وما سمكوا
ما كان فى الحق ان تأبى فعالهم * وانت تحوي من الميراث ما تركوا

وقوله

تكنفني همان قد كسفا بالي * وقد تركا قلبي محلة بلبالي

هما اجرياد معي ولم تدر ادمعي * ربية خدر ذات سمط وخلخال
ولكنما ابكي بعين سخينة * على خلل تبكي له عين امثالي
فراق خليل فقده يورث الاسى * وخلة حر لا يقوم لها بالي
فوا حربا حتي متى انا موجع * بفقد حبيب او تعذر افعالي

وقوله

اذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي * من ان يراني غنيا عنه باليأس
لا اطلب المال كي اغنى بفضلته * ما كان مطلبه فقراً الى الناس

ترجمة الجاحظ

﴿ وعمرو بن بحر مستملبك ﴾

(هو عمرو بن بحر بن محبوب) ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالجاحظ وبالحدقي والاول اشهر امام الفصحاء والمتكلمين الذي ملأت الآفاق اخباره وفوائده حتى قيل مما فضل الله تعالى به امة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الامم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بسياسته والحسن البصري بعلمه والجاحظ ببيانه ولد بالبصرة ونشأ ببغداد واشتغل على أبي اسحق النظام المقدم ذكره بمذهب الاعتزال وتأمل كتب الفلاسفة ومال الى الطبيعيين منهم وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ومما تفرد به القول بأن المعرفة طبائع وهي مع ذلك فعل العباد على الحقيقة * وكان يقول في سائر الافعال أنها انما تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وأنها وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ احد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه الى غير ذلك من آرائه التي تبعه عليها أصحابه المعروفون بالجاحظية فأما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتابه

الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جداً مشحونة بأنواع الفضائل * وكان منقطعاً الي الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات * ولما قبض عليه وعوقب في التنور هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت ان أكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد بذلك ماصنعوا بابن الزيات من ادخاله تنورا فيه مسامير محماة كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ثم أتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي دواد قال والله ماعلمتك الا كفورا للنعمة معدناً للمساوي في كلام يقرعه به فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الامر عليّ خير من ان يكون لي عليك ولان أسيء فتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان احسن فتسيء ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال ابن ابي دواد قبحك الله فوالله ماعلمتك الا كثير تزويق اللسان ياغلام سر به الى الحمام فأدخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب فاخرة ولبس ذلك وأتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الآن احاديثك ياابا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبتدأ أمره الي أن مات سنة خمس وخمسين ومائتين بعد ان بلغ أكثر من تسعين سنة وله أخبار ظريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف * فمن أخباره ونوادره قال أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب فخرجت الي جارية سندية فقلت قولي لسيدك الجاحظ بالباب فقالت أقول الجاحد بالباب على لغتها فقلت لاقولي الحدقي فقالت أقول الحلقي فقلت لا تقولي شيئاً ورجعت وقال ماأخجلني أحد مثل امرأتين رأيت احداهما في العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن امازحها فقلت انزلي كلي معنا فقالت اصعد انت حتى ترى الدنيا واما الاخرى فانها أتتني وأنا على باب

داري فقالت لي اليك حاجة وأريد ان تمشي معي فقمت معها الى أن اتت بي الى صائغ يهودي فقالت له مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال انها أتت الي بفص وأمرتني ان انقش لها عليه صورة شيطان فقلت يا سيدتي ما رأيت الشيطان فأتت بك وقالت ما سمعت وكان الجاحظ بشع المنظر الا أن بيانه كان يجلي عنه وقال دخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم وصفوا عمائمهم ووشوا طروزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى فأما الزبد فيذهب جفاء ظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقال وقفت يوما على قاض فأردت الولع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لايحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر الي وقال حسبك الله وقال قلت يوما لعبيد الكلابي أيسرك أن تكون هجينا ولك ألف دينار قال لاأحب اللؤم بشيء قلت فان أمير المؤمنين ابن أمة قال أخزى الله من أطاعه قلت نبيا الله محمد واسمعيل كانا ابني أمة قال لايقول هذا الا قدري قلت وما القدري قال لاأدري الا انه رجل سوء وقال أتاني بعض الثقلاء فقال سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمني منها فقلت نعم فقال اذا قال لي شخص يا زوج القحبة يا ثقيل الروح أي شيء أقول له قلت قل له صدقت وقال أنشدت أبا شعيب القلال شعرا لابي نواس فقال هذا شعر لو نثر لطف فقلت ويلك ماتفارق الجرار والخزف حيث كنت واشترى خصيا أسود فقيل له في ذلك فقال أخذته اسود لئلا يتهم بي وخصيا لئلا أتهم به واجتمع في البصرة بالجماز في مجلس فقال له الجماز كم نار في اللغة فقال نار الحرب ونار الشجر ونار الحباحب ونار المعدة والنار المعروفة قال تركت أبلغ النيران قال وما هي قال نار حر أمك التي كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها فقال الجاحظ أما نار حر أمي فقد قضيت أن لها حذاً فما الشأن في نار

حر أمك التي يقال لها هل امتلأت فتقول هــل من مزيد وسأله شخص كتاباً الى بعض أصحابه بالوصية فكتب له رقعــة وختمها فلما خرج الرجل من عنده فضها فاذا فيها كتابي اليــك مع من لاأعرف ولا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان رددته لم أذمك فرجع اليه الرجل فقال الجاحظ كأنك فضضت الورقة قال نعم قال لايضرك مافيها فانه علامة لي اذا أردت العناية بشخص فقال الرجل قطع الله يديك ورجليك ولعنك فقال ماهذا قال علامة لي اذا أردت أن أشكر شخصا وقال نزلت على صديق لي فلم آكل عنده لحما فعرضت له فقال انى لاأكثر من اللحم منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم فقلت ياأخى انما أراد البيت الذى تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم (وحكي) أن أباطاهر قال صرت الى الجاحظ ومعي جماعة وقد أسن واعتل في آخر عمره وهو في منظرة له وعنده ابن خاقان جاره فقرعنا الباب فلم يفتح لنا وأشرف من المنظرة فقال ألا اني قــد حوقلت وحملت رميح أبي ســعد وسقت الغنم فما تصنعون بي سلموا اسلام الوداع فسلمنا وانصرفنا قوله حوقلت أ كثرت من قولي لاحول ولاقوة الا بالله لتتابع الامراض وقوله رميح أبي سعد هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا وهو أول من فعــل ذلك فقيل لكل من شاخ أخذ رميح أبي سعد وقوله سقت الغنم هو عنــد العرب كناية عن الهرم لان سائق الغنم يطا من رأســه * وكان سبب عــلة الجاحظ أنه حضر مائدة ابن أبي دواد وفي الطعام سمك ولبن وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان السمك ان كان مضادا للــبن فاني اذا أكلتهما دفع كل منهــما ضرر الآخر وان كانا متساويين فكأني أكلت شيئاً واحداً فقال ابن بختيشوع

أنا لا أحسن الكلام ولكن ان شئت ان تجرب فكل فاكل فأصابه فالج عظيم ونقرس حتى دخل عليه بعض أصحابه فقال له كيف حالك فقال اصطلحت عليّ الاعلال لو خرج شق الايمن ماحسست به من الفالج ولو مرت على شق الايسر ذبابة أوجعتني وأشد ما أشكو التسعون (وحكى) بعض أبناء البرامكة قال تقلدت السند وحصل لي ماشاء الله ثم صرفت عنها وكنت قد اكتسبت بها ثلاثين الف دينار فصغتها عشرة آلاف اهليلجة وجاء الصارف فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وانه عليل بالفالج وأحببت أن اراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت اليّ خادمة صغرى فقلت رجل غريب احب ان أنظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولي له ماتصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لابد من النظر اليه فقال هذا رجل ورد البصرة وسمع بي ويريد ان يقول رأيت الجاحظ فأذن لي فدخلت وسلمت فرد رداً جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله اسلافك وآباءك السمحاء فلقد كانت ايامهم رياض الدهر ولقد رأى بهم الخلق خيراً كثيراً فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت له انشدني شيئاً فقال

لئن قدمت قبلي رجال فطالما * مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه * فتبرم منقوضاً وتنقض مبرماً

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يافتى أرأيت مفلوجاً ينفعه الاهليلج قلت لا قال ان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث اليّ منه فقلت نعم وعجبت من وقوعه على خبري مع كتمي له وبعثت له منه شيئاً * ومن كلامه في رسالة أبقاك الله بقاء أياديك ولا نقلنا عن ظلك ولا أضلنا عن سبيلك فما صان وجه الاحرار سواك ولا أخذ الملهوف مظلمته

في دهر الا بعدواك * وكتب الى قليب المغربي والله ياقليب لولا أن كبدي في هواك مقروحة وروحي بك مجروحة لساجلتك هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة وأرجو أن الله تعالى يديل صبري من جفائك فيردك الى مودتي وأنف القلى راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء * وكتب الى ابن أبي دواد يستعطفه ليس عندي أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ماطبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذي لايكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من الشقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الامر سبباً لهذا الانعام وهذا الانعام سبباً للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لاأعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وعنك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد أخذ حظه وانما الاجر فى الآخرة وطيب الذكر في الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو أن لاأضيع وأهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تنكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى بن مريم حين كان لايمر بملا من بني اسرائيل الا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً فقال له شمعون الصفاء مارأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا اسمعتهم خيراً فقال كل امرئ ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولافي اوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذي فيه ينضح * ومن كلامه فى المعني زينك الله بالتقوى

وكفاك ماأهمك من الآخرة والاولى من عاقب ابقاك الله تعالى على
الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى في الظلم
ومن لم يفرق بين الاسافل والاعالي والاداني والاقاصي فقد قصر والله
لقد كنت اكره سرف الرضا مخافة ان يؤدي الى سرف الهوى فاظنك
بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش عجول لحاش ومه من الحرق
بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء وانت روح كما انت جسم وكذلك
جنسك ونوعك الا ان التأثر في الرقاق اسرع وضده في الغلاظ الجفاة
اكمل ولذلك اشتد جزعي عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا اردت
ان تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر في علته وفي
سبب اخراجه الى معدنه الذي منه نجم وعشه الذى منه درج والى جهة
صاحبه فى التسرع والثبات والى حلمه عند التعريض وفطنته عند التوبة
فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الفيض في المقادير او من
طريق الانفة وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة او من جهة استحقاقه
فيما زين له عمله انه مقصر به في حقه مؤخر عن رتبته او كان مبلغاً عنه
مكذوباً عليه او كان ذلك جائزاً فيه غير ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من
هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ولا ينظر فيها حليم ولست اسميه
بكثرة معروفه كريماً حتى يكون عقله غامراً لعلمه وعلمه غالباً على
طباعه كما لا اسميه بكف العقاب حكيما حتى يكون عارفا بمقدار ما اخذ
وترك ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له الا البغض المحض والنفار
الغالب فلو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذرك كثير من
العقلاء وصوب رأيك عالم من الاشراف والاناة اقرب من الحمد وابعد
من الذم وانأى من خوف العجلة وقد قال الاول عليك بالاناة فانك على
ايقاع ما لم توقعه اقدر منك على رد ماقد اوقعته وليس يصارع الغضب

أيام شبابه شيء الا صرعه ولا ينازعه قبل انتهائه الا قهره وانما يحتال له قبل هيجه فتي تمكن واستفحل وأدكى ناره واشعل ثم لاقى من صاحبه قدرة ومن أعوانه سمعاً وطاعة فلو استبطنته بالتوراة وأوجرته بالانجيل ولددته بالزبور وأفرغت على رأسه القرآن افراغا وأتيته بآدم شفيعاً لما قصر دون أقصى قوته ولن يسكن غضب العبد الا ذكره غضب الرب فلا تقف حفظك الله بعد مضيك في عتابي التماساً للعفو عني ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بي ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم أن للكرم أعداء ويمسك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ولا يبرئ الهوى من الخطأ ولا تكر لنفسك أن تزل ولعقلك أن يهفو فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست اسألك الا ريثما تسكن نفسك ويرتد اليك ذهنك وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد أردت أن افديك بنفسي فى مكاتباتي وكنت عند نفسي في عداد الموتي وفي حيز الهلكى فرأيت أن من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك أن افديك بنفس ميتة وان أريك أني قد جعلت لك انفس ذخر والذخر معدوم وانا اقول كما قال اخو ثقيف مودة الاخ التالد وان أخلق خير من مودة الاخ الطارف وان ظهرت مساعيه ورافت جدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك *

ومن فصوله القصار قال البخل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب في تدبيره وظن ان رحمته فوق رحمة الله جل ثناؤه والناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب وقال من رسالة من العدل المحض ان تحط عن الحاسد نصف عقابه لان ألم حسده لك قد كفاك شر مؤنة غيظه عليك وقال لما مسخ الانسان قردا أنزل فيه مشابه من الانسان ولما مسخ زمانا لم يزل فيه

مشابه من الازمان * ومن شعره يقول

يطيب العيش أن تلقى حكيما * غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل * وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء * وداء الجهل ليس له طبيب

ومنه

ان حال لون الرأس عن حاله * ففي خضاب المرء مستمتع
هب أن من شاب له حيلة * فما الذى يحتى له الاصلع

ومنه

وكم كان من اصدقاء له * وأعدا تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعاً كؤوس الردى * فمات الصديق ومات العدو

وله من أبيات يمتدح بها

بدا حين اثرى باخوانه * يفال عنهم شباة العدم
وذكره الحال صرف الزمان * فبادر قبل انتقال النعم
فتى خصه الله بالمكرمات * فمازج منه الحيا بالكرم

ومما أورد له الشريف المرتضى والعهدة عليه فان هذا الشعر أرفع طبقة من شعره يذكر فيه الخضاب

رب فتاة من بني هلال * قد عجلت الحيّ بالسؤال
مالي اراك قاني السبال * كانما كرعت في جريال
تنح عن فكري وعن خيالى

ترجمة الامام مالك رضي الله تعالى عنه

﴿ ومالك بن أنس مستفتيك ﴾

(هو مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر التميمى) وكنيته ابو عبد الله امام دار الهجرة ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه

أقام في بطن امه ثلاث سنين * وكان يقول قد يكون الحمل ثلاث سنين
وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعني نفسه وكان طويلا شديد البياض
مائلا الى الشقرة مهيباً سوى اللباس والمجلس وهو أول من صنف في
الفقه كتابا فوضع الموطأ كذا قال العسكرى في الاوائل واهله ارادبالمدينة
وكان مالك اذا اراد ان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل
ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له اخفض صوتك فان الله تعالى
يقول يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فمن رفع
صوته عند حديثه فكانما رفعه عند صوته وقال زيدبن داود رأيت في المنام
كأن القبر انفرج واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد والناس
مصفوفون فصاح صائح اين مالك بن انس فجاء مالك حتى انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه شيئاً فقال فرقه على الناس فاذا هو
مسك وقال الشافعي رحمه الله تعالى قال لي محمد بن الحسن أيهما أعلم صاحبنا
ام صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا رضى الله تعالى عنهما فقلت على الانصاف
قال نعم فقلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم
بالسنة قال اللهم صاحبكم قلت فمن اعلم باقاويل الصحابة قال اللهم صاحبكم
قلت فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى اى
شيء تقيس وقال وهب سمعت مناديا ينادى ألالا يفتى الناس الامالك
ابن انس وابن ابى ذؤيب وقال محمد بن جعفر لما دعي مالك واشار وقبل
منه حسده الناس وبغوه بكل شيء فلما ولي جعفر بن سليمان سعوا به
اليه وقالوا انه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء وهو يأخذ بحديث رواه
الاحنف في طلاق المكره انه لا يجوز فدعا جعفر بمالك وقد غضب فاحتج
عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتي خلعت يداه
وكتفاه فوالله ما زال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس وعلو من قدره

واعظام من الناس له حق كانما كانت تلك البساط التي ضرب بها حليا حلي به وقيل انما ضرب مالك لانه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية الاموي الداخل الى الاندلس والمتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت أن الله زين حرمنا بمثله فنقم عليه بنو العباس هذا القول وبلغ عبد الرحمن فسر بقوله وحمل أهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة على مذهبه * وتوفى رضى الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة * ومن أخباره ما حكى الشافعي رضى الله عنه قال رأيت على باب مالك رضى الله عنه كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر فلما رأيت مثله فقلت لمالك ما أحسنه قال هو هدية مني اليك فقلت يا أبا عبد الله دع لنفسك منها ما تركبه فقال أنا أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة * ووجه الرشيد الى مالك رضي الله تعالى عنه ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يؤتي فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام فجلس بين يديه فحدثه فبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فأتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به * وحكي أن أبا يوسف القاضي حضر مجلس مالك فقال أبو يوسف من جملة كلام الانسان تارة يخطئ وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك ان أبا يوسف قال كذا ولعله متعمداً وأجبت كذا فخجل مالك ودعا على أبي يوسف أن لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفيه * وحكى ابن حمدون في تذكرته أن حسن بن نعمان قال كنت بالمدينة فخلاني الطريق

نصف النهار فجملت أتغنى فى شعر ذى يزن وأقول

مابال قومك يا رباب * حذراً كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يافاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع مثله فقلت أصلحك الله من أين لك هـذا الغناء قال نشأت وأنا غلام فاعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمي يابنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله ابي الي ما ترى فقلت أعد الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة تريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس واذا به مالك رضى الله تعالى عنه * ومن كلامه اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله * وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقـذفه الله في القلب وسأله رجل عن قوله تعـالى الرحمن علي العرش استوى فقال الاستواء معقول والـكيف مجهول وما أظنك الا رجل سوء

﴿ وانك الذى أقام البراهين ووضع القوانين ﴾

البرهان في اللغة بيان الحجة وظهورها وهو مصدر بره يبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان أوكد الادلة وهو الذى يقتضي الصدق أبداً لامحالة وذلك ان الادلة خمسة أضرب دلالة تقتضى الصدق أبداً لامحالة ودلالة تقتضى الـكذب أبداً ودلالة الى الصدق أقرب ودلالة الى الكذب أقرب ودلالة هى اليهـما سواء وقال بعض الحـكماء مبـادى البرهان خمس الاوليات والمشاهـدات والمتواترات والمجربات والحدسيات وقال آخر البرهان حجة تنتج يقيناً وينقسم الى برهان إنى وبرهان لمى وأمثلته معروفة وقدذكرت اناول

من حرر كتب المنطق ارسطاليس وقد تقدم ذكره (والقوانين) واحدها قانون وهو لفظ رومي ومعناه عندالمنطقيين صورة كلية تتعرف منها أحكام جزئياتها المطابقة لها

﴿ وحد الماهية وبين الكيفية والكمية ﴾

ماهية الشيء تصوره في الفكر ومعرفة ماهو وأوجز حدوده في المنطق قولهم ماهية الشيء مايحصل في الذهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف المشخصات عنه ان كان جزئياً وهي أحد حدود العلم عند الحكماء فان العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب منه ماهيات الاشياء هو العلم الالهي والذي يطلب منه كيفيات الاشياء هو الطبيعي والذي يطلب منه كميات الاشياء هو الرياضيّ والكمية والكيفية النسبة الى كم وكيف وكم عبارة عن العدد ومن النحاة من يجعله اسماناقصاً مبنياً على السكون والنسبة اليه الكمية بالتخفيف ومنهم من يجعله اسماتاما فشدد آخره وصرفه فقال أكثرت من الكمّ والنسبة اليه الكمية بالتشديد وهو عند المنطقيين قسم من أقسام العرض وهو نوعان منفصل ومتصل فان لم يكن بين أجزائه حد مشترك فهو الكم المتصل وان كان بين أجزائه حد مشترك فهوالكم المنفصل وهو ان كان قار الذات فهو المقدار وان لم يكن قار الذات فهو الزمان وكيف اسم مبهم غير متمكن وانما حرك آخره لالتقاء الساكنين وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء قال الراغب يسأل به عما يصح أن يقال شبيه وغير شبيه كالاسود والابيض والصحيح والسقيم ولهذا لايصح أن يقال في الله عز وجل كيف وقال بعض الحكماء هو كل هيئة قارة في جسم لاتقتضي قسمة ولا نسبة فقولنا قارة يخرج الزمان وقسمة يخرج الكم ونسبة تخرج

المقولات في العرض والله تعالى بكل شئ عليم

﴿ وناظر في الجوهر والعرض وميز الصحة من المرض ﴾

قال بعض الادباء الكلام فى الجوهر والعرض على رأي الحكماء طويل غامض وانما أنقل نبذة من أقرب ماسمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك والعرض الحال والوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ماعدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر لان الذين أثبتوا جواهر ليست بأجسام كالعقل والنفس والجزء الذي لايتجزأ ليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة أنواع المادة والصورة والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر أنه ان كان حالا في محل فهو الصورة وان كان محلا لحال فهو المادة وان كان مركبا منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم بالتدبير فهو النفس والا فهو العقل والعرض عند أكثرهم أحد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلاثة وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهي الحياة والقدرة والشهوة والقوة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم وأحد عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهي الكون وتشتمل على أربعة أشياء الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرائحة والطعم والاثنان اللذان زادهما بعضهم هما البقاء والموت * والصحة هي وجود الاعتدال الخالص بالانسان وتستعار لغيره * والمرض الخروج عن

الاعتدال * والتمييز الفصل بين الشيئين * والمعنى أنك الذى حرر صناعة الطب وذكر الطب عقب الجوهر والعرض لان الجميع من العلوم العقليات وقد يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقائق والشكوك والفضائل والرذائل وانما شبهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونهما مانعة عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك التصرف الكامل وعلى كلا الوجهين فالمراد انك انت الحكيم الذي نظر في هذه العلوم وأظهرها

﴿ وفك المعمي ﴾

عمي الامر اذا التبس وعميت معنى البيت من الشعر اذا أخفيته ومنه المعمي اللغز والمراد ههنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ويسمى الآن المترجم ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها وأول من وضعها الخليل واضع العروض ولا بأس بايراد نبذة من أخباره وفوائده وكذلك أفعل عند كل بيت أو لفظة يمثل بها ابن زيدون في هذه الرسالة مما أحفظه من ألفاظ المتقدمين فانى أذكر قائلها وشيئاً من نوادره اذلابد في ذلك من فائدة ونكتة والكلام عليها أولى من الكف عنها * والخليل هو ابن أحمد بن عمرو الفراهيدى الازدى ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب الشواهد وأجودها العروض وهو أول من وضعه فجاء من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس واستخرج من بحر المتقارب بحر مخبون الاجزاء ويسمي الخبب ووصل الامر الى أبي نصر الجوهرى فأوضحه أعني العروض واختصره أحسن اختصار وأول ما خالفه فيه أن الخليل جعل الاحرف التي يوزن بها الشعر ثمانية اثنان خماسيان

ترجمة الخليل بن احمد

فعولن وفاعلن وستة سباعية متفاعلن فاعلاتن مستفعلن مفاعيلن مفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على أنه مقول في مستفع لن مفروق الوتد لان مفعولات مركب من سببين خفيفين ووتد مفروق مؤخر وزعم أن مفعولات لو كان جزأ صحيحاً لركب من مفرده بحر كما يركب من سائر الاجزاء يريد أنه ليس في الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا يكرر في قسم منه ثم استخرج المعمى وهو أيضاً أول من نظر فيه وذلك أن بعض اليونان كتب بلغتهم كتاباً الى الخليل فخلا به شهراً حتى فهمه فقيل له في ذلك فقال علمت انه لابد وأن يفتتح باسم الله تعالى فبنيت على ذلك وقست وجعلته أصلا ففتحته ثم وضعت كتاب المعمى وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشيء قد كان كيسان مستملى أبي عبيدة يسمع خلاف مايقال ويكتب خلاف مايسمع ويقرأ خلاف مايكتب وكان أعلم الناس باستخراج المعمى وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لايقدر على استخراج أخف مايكون من المعمى * وللجاحظ تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون وغاية مابلغ الكلام اليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة وصور الزوائد اثني عشر على عدد البروج وأربعة عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التي يسيرها تحت الارض وأربعة عشر فوقها ثم وضع في الشطرنج جملين في طرفي الرقعة لعب بها زمانا ثم تركت ثم أراد أن يخترع شيئاً في الحساب فقال أريد أن أقرر نوعا من الحساب تمضي الجارية بدرهم الى البياع فلا يمكنه ظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها لفكره فانقلب على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائة وكان من

العقلاء الزهاد *واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه فكان كذلك أدى الخليل عقله الى أن مات زاهداً وابن المقفع الى أن مات قتيلا بسبب كتاب كتبه* وحكي أن سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بألف دينار ليتجهز بها ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يبل كسرة يابسة ويأكلها فرد الالف دينار وقال للرسول مادمت أجد هذه فلا حاجة لى الي سليمان * وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيئاً وأتعبه فقال له الخليل يوماً قطع هذا البيت

اذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه الى ماتستطيع

ففهم الرجل التعريض ولم يعد* ودخل يوماً الى مريض يعوده فقال أخو المريض افتح عيناك فان ابو عبد الرحمن حضر فقال الخليل ماداء اخيك الا من كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء معمى يحله فاذا هو بيت من الشعر يقول فيه

انا ان لم اك اهوا * ك فرأسى في حرامي

فكتب الخليل تحته وان هويت أيضاً* ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتي يفقد الموجود وقال من استعمل الحزم في وقت الاستغناء عنه غنى عن الاحتيال في وقت الحاجة اليه وقال بحسب امرئ من الشر أن يرضى من نفسه فساداً لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول ان يتحول المرء من ذنب الى غير توبة منه وقال من الابواب مالو شئنا شرحناه حتي يستوى في علم القوي والضعيف كفعلنا ولكنا نحب أن يكون للعالم مؤنة * ومن محاسن شعره ماأورده أبو حيان التوحيدى

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يماثله * من منزل حاضر ان شئت أو بادى
تلقى سفائنه والعيس سائرة * والنون والضب والملاح والحادى

ومنه ماقاله في سليمان بن المهلب

ان الذى شق فمى ضامن * للرزق حتى يتوفانى
أحرمتني خيراً قليلا فما * زادك في مالك حرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه رزقاً

يازلة يكثر الشيطان أن ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا
لاتعجبن لرفد زل من يده * فالكوكب النحس يسقي الارض أحيانا

وقال ايضاً

ابلغ سليمان انى عنه في سعة * وفي غنى غير انى لست ذا مال
شحاً بنفسى انى لا أرى احداً * يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت في علم النجوم فهجت منه على ما لزمني تركه فقلت منشداً اذ ذاك

بلغا عنى المنجم أنى * كافر بالذى قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا * ن قضاء من المهيمن واجب

﴿ وفصل بين الاسم والمسمى ﴾

الاسم ما يعرف به ذات الاصل وأصله من السمو وهو الذي ذكر به المعرف ويقال أسم وسم وسما واختلف في تقدير اصله والمسمي هو المعنى الذى وضع له الاسم وللقدماء مباحث طويلة في معني الاسم والمسمي فمنها قول بعضهم وعليه الجمهور الاسم غير المسمى وهو الذي يراد به التسمية كقولك للرجل عرفني ما اسمك لست تسأله أن يعلمك بذاته وانما

تلتمس منه العبارة المعبر بها عنه واستشهد بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ولو كان الاسم مهنا هو المسمى لكان الله تعالى تسعة وتسعين شيئاً وهذا كفر وقول عائشة رضي الله تعالى عنها والله يارسول الله ما أهجر الا اسمك وقال آخرون الاسم هو المسمى لا بمعنى ان العبارة عين المعبر عنه وأن اللفظ هو الشخص فان ذلك محال ولكن الاسم هو المسمى على معان ثلاثة الاول انما وضعت الاسماء ليتصور بها المسميات في نفوس السامعين وتقوم عند الغيبة مقامها لو شاهدوها فلما ناب الاسم من هذا مناب المسمى في التصوير جاز ان يقال ان الاسم هو المسمى الثاني ان أكثر مايتبين في الاسماء التي تشتق للمسمى من معان موجودة فيه قائمة به كقولنا لمن وجدت فيه الحياة حي فالاسم من هذا النوع لازم للمسمى يرتفع بارتفاعه ويوجد بوجوده الا ترى ان الحياة اذا بطل وجودها من الجسم بطل ان يقال له حي واذا بطل ان يقال له حي بطل أن يكون به حياة فيجوز من هذا أن يقال ان الاسم عين المسمى يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه الثالث ان العرب قد تذهب بالاسم الى المعنى الواقع تحت التسمية فتقول هذا مسمى زيد أى هذا المسمى بهذه اللفظة التي هي الزاى والياء والدال ويقولون في هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب ظريف من كلام العرب يحتاج الى فضل نظر ويجيء في كلامهم على ضربين الاول ماصرح فيه بلفظ الاسم حتى بان لمتأمله مثل قول ذي الرمة يصف بذلك خشفاً

مايرفع الطرف الا ماتخونه * داع يناديه باسم الماء مبغوم

يعني ان هذا الخشف لا ينتبه من النعاس الا اذا تفقدته أمه للرضاع فصاحت به ماء ماء وكان أبو عبيدة يذهب فى تأويل هذا اللفظ الى أن

الاسم زائد والتقدير يناديه بالماء وأبو علي الفارسي يحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير يناديه باسم معنى والثاني من لم يصرح فيه بذكر معنى الاسم الا أنه موجود من طريق المعنى مثل قولهم كتبت اسم زيد فليس المراد أنه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشيء الواحد مسمى من جهة وتسمية من اخرى فان قولنا اسم لفظة تحوي الجنس والنوع لانه يوقع تحتها الالفاظ التي يعبر بها عن المعاني كجوهر وعرض ورجل وفرس وزيد وعمرو فكل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافته الى الاسم الذي فوقه مسمى ويكون باضافته الى المعنى الذي تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد وانسان وحي فانك تجد الانسان الذي هو الواسطة بين زيد والحي مسمى اذا كان يقال على الحي واسما اذا كان يقال على زيد وتجد زيد او الانسان وان كان أحدهما مسمى والآخر اسما قد تساويا في أنهما مسميان للحي اذا كان الحي يقال على كل واحد منهما وتجد الحي الذي هو اسم الانسان والانسان الذي هو مسمى قد تساويا في أنهما اسمان لزيد وقد طال هذا الفصل عن الغرض في هذا الكتاب وانما ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف حشو كثير

﴿ وصرف وقسم وعدل او قوّم ﴾

لم أتحقق المعنى المراد بهاتين السجعتين فسألت عنهما بعض علماء الاسلام فقال الصرف نوع من المعاوضة وهو ما كان العوضان فيه من النقدين أعني الذهب والفضة وقوله وقسم كانه يريد به تقسيم الاموال المشتركة ووجه مناسبة الصرف أن المال المشترك اذا كان ذهباً قليلا فقد

يتعذر قسمه بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم يقسم وقوله وعدل وقوم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال المشترك اذا كانت أجزاؤه مختلفة في الصورة والقيمة كالدور والبساتين فاذا أريد قسمتها ولا بد فتعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان بين ثلاثة بالسوية تقوم البستان في الاول ثم تعدل الاجزاء باعتبار ذلك فتجعل الثلاثة أجزاء متساوية ثم تقسم بالاقراع أو بتعيين الحاكم كل هذا داخل فى أبواب الفقه وقد قيل ان مالكا أول من صنف فيه وقد تقدم ذكره

﴿ وصنف الاسماء والافعال ﴾

(الاسماء والافعال) هنا ما اصطلح عليه النحويون فى أقوالهم وقسموه في كتبهم الموجودة والاسم عندهم ماوقع على معنى غير مقرون بزمان ويعرف بدخول الجر عليه ويصلح فيه نفعني وضرني ويدخل عليه أيضاً الالف واللام وهو أصل والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما وهي معرب ومبني وظاهر ومكني ومعرفة ونكرة ومعين ومبهم وعربي وأعجمي وذكر وأنثى ومقصور وممدود وعامل وغير عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد وناقص ومنصرف وغير منصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر وشرح ذلك موجود فى كتبهم والفعل ماتصرف بالزمن كقولك ضرب ويضرب وقال السيرافى وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والالف وهو الحال قال التوحيدى وسمعت ابا حفص الاشعرى يقول لامعنى للحال انما هو الماضى والمستقبل وتحصيل الحال محال وتوهم باطل لانك لاتفرغ من الماضي الاالى المستقبل ومتي فرضت بينهما واسطة كنت فيها واهما فقيل له ان الذى يوضح الحال انك اذا أتيت بافي السين فى

سيصلى لم يكن المعنى الا في الاستقبال فلولا ان الغرض قد كان كامناً في قولنا يصلى لم توضحه السين فكان الشبهة أن يصلى دال على الحال متضمن معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ماينصب دليلا على الغرض الواضح فكان يكابر عند هذا البيان ويقول لوصح هذا لصح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيئين أى مايكون مشتركا بين شيئين كأنه مركب من بدنهما فقيل له أيضاً هذا كما قاله من خالفته وأنت في ذلك أجهل من هرة فانها تمشي على حافة الجدار غير متمكنة من سمته وتريغ مع ذلك مكانا آخر للفضل الذي يلوح لها وهي لاتمسك نفسها ولا ترسلها فما ظنك يا أبا حفص بشبهة تكشفها هرة * والافعال تنقسم ايضاً الى أقسام كثيرة كالماضي والمضارع والأمر والمتعدي الى واحد واثنين وثلاثة وغير المتعدي والتام والناقص وما سمي فاعله وما لم يسم فاعله وأفعال القلوب وغيرها وأفعال المقاربة وأفعال التعجب وغيرها وافعال المدح والذم وغيرها *وأول من وضع علم النحو ابو الاسود الدئلي واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان وكان من فقهاء البصرة وعلمائهم وفصحائهم وشيعة أمير المؤمنين علىّ بن ابي طالب كرم الله وجهه وولاه البصرة وسبب وضعه لذلك انه دخل على ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما اشد الحر فقال شهر اذار فقالت يا ابت انما أخبرتك ولم اسألك وكان مرادها التعجب فأتى امير المؤمنين علىّ بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت الاعاجم ويوشك ان تضمحل واخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا فاملى عليه الكلام كله لايخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم قال له انح هذا النحو فسمي النحو ثم رسم رسوم النحو كلها وقيل كان سبب وضع النحو ان معاوية ارسل الى زياد يطلب ابنه فادخل عليه فسمعه

ترجمة ابي الاسود الدئلي

يلحن فارسل الى ابيه يلومه فارسل زياد الى ابي الاسود أن يضع في النحو شيئاً وكان ابو الاسود من افصح الناس ويقول ني لاجـد للحن غمرا كغمر اللحم فابى أبوا الاسود وكره اجابة زياد فوجه زياد رجلا وقال له اقعد في طريق أبي الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به ابو الاسود قرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ابو الاسود ذلك وعاد الى زياد فقال قد أجبتك ثم وضع مختصره في اصول النحو واول ماوضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم ابو عمرو بن العلاء وغيرهما الى ان وصل الى سيبويه فأخذ الغاية على من قبله وبعده * وكانت وفاة ابي الاسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عالماً شاعراً ذا رأي الا انه كان شديد البخل جداً والتشيع فمن اخباره ماحدث ابو عمر وقال كان ابو الاسود نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان أبا الاسود كان شيعيا فكانوا يذمونه بالليل فاذا اصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا نحن مانرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرمني ما اخطاني وقال لهم يوما يابني قشير ماأحب الي طول بقاء منكم قالوا ولم ذلك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امراً علمت انه رشد فاتبعته وقال له رجل أنت والله ظرف علم وحلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لايمسك مافيه وسأله رجل فمنعه فقال ياأبا الاسود أما أصبحت حاتما فقال بلى قد اصبحت حاتمكم من حيث لاتدري أليس حاتم يقول

أماوي اما مانع فمبين * واما عطاء لاينهنهه الزجر

وحكى ان اعرابياً مر به وهو يأكل رطباً على باب داره فقال السلام عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال أأدخـل قال وراءك اوسع لك

قال أنا ابن الحمامة قال انصرف وكن ابن اى طائر شئت قال سألتـك بالله الا اطعمتني مما تأكل فألقي اليه ثلاث رطبات فوقعت احداهن في التراب فأخذها فمسحها بثوبه فقال دعها فان الذي تمسحها منه انظف من الذى تمسحها به فقال انما كرهت ان ادعها للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها * وجلس يوما الي معاوية يحدثان في خلوة ثم تحرك فضرط فقال لمعاوية استرها علي قال نعم فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فلما غدا اليـه أبو الاسود قال له عمرو مافعلت ضرطتك يا أبا الاسود قال ذهبت مع الريح كما تذهب من شيخ ألان الدهر أعضاءه عن امساك مثلها وكل أجـوف ضروط وان امرأ ضعفت أمانته عن كتمان ضرطة لحقيق أن لايؤتمن على المسلمين * وأسرّ يوماً الى معاوية بشئ وكان أبخر فأصغى اليـه معاوية ماسكا أنفه فنحى أبو الاسود يده عن أنفه وقال لا والله لاتسود حتى تصبر على سرار البخر ومن شعره يقول .

وكنت متى لم ترع سرك منتشراً * تنازعـه من مخطئٍ ومصيب
فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وكتب الى معاوية وقد وعده فأبطأ عليه يقول

لايكن برقك برقا خلبـا * ان خير البرق ماالغيث معه
لاتهني بعد ان أكرمتني * فشـديد عادة منتزعـه

وقال يخاطب ولداً له كان لايطلب الرزق

وما طلب المعيشـة بالتمـني * ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طـوراً وطورا * تجيء بحمأة وقليـل ماء

وقال أيضاً

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر لاتنسى علياً

بنو عم النبي وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا
أحبهم لحب الله حتى * أجيء اذا بعثت على هويا
فان يك حبهم رشداً أصبه * ولست بمخطىء ان كان غيا

فروى أن بني قشير قالوا له قد شككت يا أبا الاسود فقال كلا ما شككت أما سمعتم قول الله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أفترون أن الله تعالى شك وقوله هويا بلغة هذيل قال أبو ذؤيب

سبقوا هوي واعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

﴿ وبوب الظرف والحال ﴾

(الظرف) في النحو يقال للزمان والمكان اذا جعل محلا لامور تقع فيه كقولك أعجبني الخروج اليوم فاليوم محل للخروج الذي أسندت اليه الحديث فاذا قلت أعجبني اليوم لم يسم ظرفا لانك انما تحدث عنه لا عن شيء وقع فيه فمن خاصة الظرف أن لا يكون محدثاً عنه وأن يصلح فيه تقدير في وكان الخليل يقول أنا أول من سمى الاوعية ظروفاً لما يحل فيها (والحال) ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول في حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيد راكباً وضربت اللص قائماً فالركوب هيئة زيد في وقت مجيئه والقيام هيئة اللص في وقت ضربه والحال اما أن يكون نكرة أو في حكمها وبعد كلام تام أو حكمه وبعد اسم معرفة أو حكمها ولها أقسام مثل المستصحبة والسادة والمحكية والموطئة والمؤكدة وغير ذلك

﴿ وبنى واعرب ونفى وتعجب ﴾

المبني ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه * والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة أو حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع * وأشار بالنفي والتعجب الى ان

الكلمة الواحدة قد يراد بها النفي وقد يراد بها التعجب فمن لايدري النحو لايميز بين محليهما كما في قولهم ما أحسن زيد وما أحسن زيداً فانها في الاول للنفي ولهذا ارتفع زيد لانها نفت المسند الى زيد وفي الثاني للتعجب ولهذا انتصب زيد لان فاعل أحسن هو ضمير مستكن فيه يعود على ما فان معناها في الاصل شئ أحسن زيداً وبسبب هذه المسئلة وضع علم النحو كما تقدم في ذكر أبي الاسود الدئلي مع ابنته

﴿ ووصل وقطع وثنى وجمع ﴾

أشار الى معرفة مواقع همزة الوصل من مواقع همزة القطع وقد أنشد البيت المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين وهو

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

فقيل شق له من اسمه باثبات الهمزة وسلامة النظم من الزحاف وقيل شق له من اسمه باستعمال الوصل ويكون ذلك مع دخول القبض في الجزء الثاني من الطويل وهو مفاعيلن بحذف الياء فيصير مفاعلن وهو زحاف مستعمل في هذا البحر تقع المعاقبة بينه وبين الكف وهو أخف منه واكثر استعمالا (والتثنية) زيادة الف او ياء مفتوح ماقبلها في آخر الكلمة مع نون مكسورة كقولهم الرجلان والرجلين (والجمع) ضربان احدهما جمع التصحيح وهو ماسلم فيه بناء مفرده وهو قسمان جمع المذكر ويكون بزيادة واو او ياء مكسور ماقبلها في آخر الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث ويكون بزيادة الف وتاء في آخر الاسم كثمرات ومسلمات في جمع ثمرة ومسلمة والضرب الثاني جمع التكسير وهو مالم يسلم فيه بناء مفرده كرجال واصحاب في جمع رجل وصاحب

﴿ وأظهر وأضمر واستفهم وأخبر ﴾

(الاضمار) أن يؤتي في الكلمة بلفظ مضمر وهو ماوضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب كأنا وانت وهو مأخوذ من الضمر وهو الخفاء (والاظهار) أن يؤتي باللفظ المظهر وهو ماعدا المضمر مأخوذ من ظهر الشيء اذا كان على ظاهر الارض واضحاً (والاستفهام) طلب الاخبار بشيء واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ماالانسان ومن زيد وكيف أنت ومتى تقوم واما حرف وهو الهمزة في نحو قولك أقام زيد وهل في هل قام زيد (والاخبار) الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولك قام زيد وما اشبه ذلك

﴿ وأهمل وقيد وأرسل وأسند وبحث ونظر ﴾

اما أن يكون أراد الحروف المهملة التي هي غير المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما أن يكون أراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه لموازنة قوله في السجعة الثانية أرسل وأسند (والمطلق) مالم يقيد (والمقيد) ماضمن وصفاً كقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وأمهات نسائكم فأطلق وقال في الربائب وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقيد (والمرسل والمسند) مااصطلح عليه في علم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعي الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا فهذا مرسل عندهم باتفاق وأما قول التابعي الصغير كالزهري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعاً لان أكثر روايتهم عن التابعي * وأما المسند فهو ما اتصل سنده من راويه الى منتهاه وفيه أقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف

فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة والشاذ ما يرويه الثقة مما يكون مخالفاً لما رواه الناس والمعتل ما فيه سبب قادح على نص ظاهره السلامة وأما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذى فيه ضعف يحتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرها (والبحث) الكشف عن الشيء والطلب يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا (وانظر) تقليب البصيرة لتأمل الامر مأخوذ من تقليب البصر لادراك الشيء

﴿ وتصفح الاديان ﴾

صفح الشيء عرضه كصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتأملت وجهه (والاديان) جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل في الدين الطاعة واستعير للشريعة للانقياد اليها والطاعة والمراد النظر في مذاهب أهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين أحدها دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا والثانى فوق الايمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى فى كل ما قضى وقدّر كقوله تعالى في قصة ابراهيم أسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والعبرانية والقرائين والسامرية وما أشبه ذلك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أي رجعنا وتضرعنا وكان فى الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرائعهم ذماً لهم والنصارى

وفرقهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية والارمن والروم والمارونية وغيرهم واسم النصارى مأخوذ من قول عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ثم صار ذماً لهم بعد نسخ شريعتهم أيضاً وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها نصران والمجوس وفرقهم من الكيومرثية والزرادشية وما أشبه ذلك وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع في الملل والنحل

﴿ ورجح بين مذهبي ماني وغيلان ﴾

ترجمة ماني الثنوي

(هو ماني بن ماش الثنوى) الذي تنسب اليه المانوية كان راهباً بحران قائلا بنبوة المسيح معظما في اساقفة النصارى محمود السيرة فيهم فزني فسقطت مرتبته وكان له حسدة من بطارقة زمانه فوجدوا السبيل الى ما أرادوا منه فلما رأى حاله أخذ في الرد على أصحابه وقال لم أزن ولكنهم حسدوني وأنكروا مخالفتي لهم في أصل دينهم اذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتي رسول الشيطان وكان ماني في الاصل مجوسياً عارفا بمذاهب القوم فاحدث ديناً ودعا اليه وظهر في ايام سابور بن اردشير وتبعه خلق عظيم من المجوس وادعوا له النبوة ونسبوها الى ان قتل في زمان بهران بن سابور كما سيأتي ذكره حدث البرمحتي وغيره قال زعم ماني واصحابه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير ونفسه خيرة حليمة نفاعة منها الخير والسرور والصلاح وليس منها من الشر شيء وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه والنور مرتفع في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب وزعموا ان لكل

واحد منهما اجناساً خمسة اربعة منها أبدان وخامس هو الروح فأبدان النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها الشبح المتحرك في هذه الابدان وأبدان الظلمة اربعة الحريق والظلام والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا ابدان النور ملائكة وابدان الظلمة شياطين يقول ابدان النور تتولد ملائكة وابدان الظلمة تتولد شياطين وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها قال بعض المتكلمين والذي حملهم على هذا انهم رأوا في العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من اصل واحد شيآن متضادان كما لا يكون في عنصر النار السخن والبرد وقد رد عليهم بعض العلماء في قولهم الصانع اثنان فقال لو كانا اثنين لم يخل من أن يكونا قادرين او عاجزين أو احدهما قادراً والآخر عاجزاً لا جائز ان يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز ان يكون احدهما عاجزاً فبقي ان يقال هما قادران فيتصور ان احدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر تسكينه فيها ومن المحال وجود ما يريدانه فان تم مراد احدهما ثبت عجز الآخر ورد عليهم آخر في قولهم ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر بأنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع في شر ومن ههنا أخذ المتنبي فقال

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر ان المانوية تكذب

وقال الجاحظ المانوية تزعم أن العالم بما فيه مركب من عشرة اجزاء يعني اجناساً خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فمتى نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون يسأل المانوية عن مسئلة قريبة المأخذ قاطعة

ناظر احدهم فقال أسألك عن حرفين فقط هل ندم مسيء على اساءته قال بلى قد ندم كثير قال تخبرني عن الندم على الاساءة اساءة ام هو احسان قال احسان قال فالذى ندم هو الذي اساء قال نعم قال فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان الذي ينظر نظر الوعيد غير الذي ينظر نظر الرحمة قال فان الذي ازعم ان الذي اساء غير الذى ندم قال فندم على شيء كان من غيره اوعلى شيء كان منه فقطعه بهذه الحجة * ولماني واصحابه في امتزاج النور والظلمة وحدوث الشمس والقمر والنجوم لاستصفاء النور من الظلمة الى ان لا يبقى شيء منه في هذا العالم وتنطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله أقوال عجيبة الى غير ذلك من انه لايري المناكح يستعجل فناء العالم ويسرع بجمع الاشكال ولم تزل أتباعه تكثر وشوكته تعظم الى أن أحضره بهرام بن يزدجرد وقيل سابور وأراد قتله باتفاق الموابذة فأمر أدرياد موبذ موبذان بان يناظره فناظره في مسئلة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال الموبذ أنت الذى تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب فقال ماني واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج فقال له أدرياد فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذى تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع ماني فأمر بهرام بصلبه على الخشب فجعل يصيح ويقول أيها المعبود النوراني بلغت ما أمرتني به وهذه حادثهم فيّ وفى أمثالي وأنت الحكيم وها أنا الآن مار اليك وما آذيت صامتا ولا ناطقا فتباركت أنت وعالمك النوراني الازلي فكان آخر قوله ثم ملأ جلده تبناً وكان بهرام في الاول قد أظهر متابعته حتى أحاط علماً بمن تبعه فلما قتله أمر بقتل أصحابه ثم

ظهر ممن يسلك مسلكهم في الاسلام بشر عظيم يسمون الزنادقه فقتلهم المهدى وأبادهم * وأما غيلان فهو ابن يونس القدرى الدمشقي كان أبوه مولى لعثمان بن عفان وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الاسلام وقيل أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً فاسلم ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي وروى أن مكحولا قال لغيلان ويلك ياغيلان ألم أجدك ترامي النساء بالسفاح في شهر رمضان ثم صرت حارثياً تخدم امرأة الحرث الكذاب وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت بعد ذلك قدرياً زنديقاً وروى أن غيلان وقف يوماً على ربيعة فقال له أنت الذى تزعم أن الله يحب أن يعصى فقال له ربيعة انت الذى تزعم ان الله يعصى قسراً وقيل لغيلان من كان أشد عليك قال عمر بن عبد العزيز كانما كان يلقن من السماء وحكى ابن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلانا نطقا في القدر فارسل اليهما وقال ماالامر الذى تنطقان به فقالا هو ماقال الله ياأمير المؤمنين قال وما قال الله قالا قال هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ثم قال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ثم سكتا فقال عمر اقرآ فقرآ حتى بلغا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله الى آخر السورة قال كيف تريان ياابني الاتانة تأخذان الفروع وتدعان الاصول قال ابن مهاجر ثم بلغ عمر بن عبد العزيز انهما أسرفا فارسل اليهما وهو مغضب فقام عمر وكنت خلفه قائما حتى دخلا عليه وأنا مستقبلهما فقال لهما ألم يكن في سابق علم الله حين أمر الله ابليس بالسجود أن لايسجد قال فأومأت اليهما برأسي أن قولا نعم والا فهو الذبح فقالا نعم فقال أولم يكن في سابق علم الله حين نهى آدم وحواء عن الشجرة أن يأكلا منها فالهمهما أن

ترجمة غيلان القدرى

يأكلا منها فاومأت اليهما برأسي فقالا نعم فأمر باخراجهما وأمر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف مايقولان وأمسكا عن الكلام فلم يلبثا الا يسيرا حتى مرض عمر ومات ولم ينفذ الكتاب وسال بعد ذلك منهما السيل وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فلا تمته حتى تذيقه حر السيف فقطعت يداه ورجلاه وصلب في أيام هشام بن عبد الملك حين قال ياغيلان ماهذه المقالة التي بلغتني عنك في القدر فقال ياأمير المؤمنين هو مابلغك فاحضر من احببت يحاجني فان غلبني ضربت رقبتي فاحضر الاوزاعي فقال له الاوزاعي ياغيلان ان شئت القيت عليك سبعا وان شئت خمسا وان شئت ثلاثا فقال ألق ثلاثا فقال له أقضى الله على عبد مانهى عنه قال ماادري ماتقول قال فأمر الله بامر حال دونه قال هذه أشد من الاولى قال فحرم الله حراما ثم احله قال ماادرى ماتقول قال فامر به هشام فقطعت يداه ورجلاه فمات وقيل صلب حيا على باب كيسان بدمشق ثم قال هشام للاوزاعي ياأبا عمر فسر لنا ماقلت قال قضى الله على عبد مانهى عنه نهى آدم ان يأكل من الشجرة ثم قضي عليه فأكل منها وامر ابليس ان يسجد لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن اضطر فاحلها بعد ماحرمها ومن كان يميل الى هذا المذهب ايضاً غيلان وهو ذو الرمة الشاعر قال اختصم ذو الرمة ورؤبة الراجز عند بلال بن ابي بردة فقال رؤبة والله مافحص طائر فحوصا ولاتقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ماقدر الله على الذئب ان يأكل حلوبة عياييل ضرائك فقال رؤبة افبقدرته اكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين قوله

* عيايل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك وهو الفقير

وعن اسحق بن سعد قال انشدني ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب مايفعل الخمر

فقلت له فعولين خبرا لكون فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت فعولان وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام عن القول بخلاف مذهبه والله تعالى اعلم بالصواب

﴿ وأشار بذبح الجعد ﴾

(أما الجعد) فهو ابن درهم مولى بني الحكم كان يسكن دمشق ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية فنسب اليه وقيل مروان الجعدي ويروى ان ام مروان كانت امة وكان الجعد اخاها وهو اول من تكلم بخلق القرآن من امة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد اخذ ذلك من ابان بن سمعان واخذه ابان من طالوت بن اعصم اليهودى الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقاً وهو اول من صنف لهم في ذلك ثم اظهره الجعد ابن درهم فقتله خالد بن عبدالله القشيرى يوم الاضحى بالكوفة وكان والياً عليها اتي به في الوثاق فصلى وخطب ثم قال في آخر خطبته انصرفوا وضحوا بضحاياكم تقبل الله منا ومنكم فاني اريد اليوم ان اضحي بالجعد ابن درهم فانه يقول ماكلم الله موسى تكليما ولا اتخذالله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول علواً كبيراً ثم نزل وحز رأسه بالسكين بيده وطفئت نار فتنته الى ان نشأت فى ايام ابن ابى داود * واما خالد فهو ابن عبدالله بن يزيد بن اسد القشيري البجلي كان من امراء الدولة الاموية ولي اليمن ومكة من قبل الوليد بن عبدالملك وولاه هشام العراقين بعد

ترجمة الجعد ابن درهم

ترجمة خالد القشيري

عمر بن هبيرة وله مكايدات واخبار فمن اعجبها ماحكي ان ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام وامنه ارسل خالد مائة من الخيل في المضمار قد انتخبها وامر السواس ان يعارضوا بها هشاماً اذا ركب وكان هشام معجباً بالخيل لا يشتهي ان يكون عند غيره من جيدها شيء فلما ركب هشام رأى خيلا راقته فسأل القوم عنها لمن هي فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضباً وقال واعجبي اختان ما اختان ثم قدم فوالله مارضيت عنه بعد وهو يوائى في الخيل علي بعمر فدعا به وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ماهذه الخيل فكأنه فطن لما صنع خالد فقال خيل امير المؤمنين اخترتها وطلبتها من مضامها حتى جعلتها لك فمن يقبضها فأعجبه ذلك وسكت خالد عن امرها وفسدت مكيدته ولم يزل ابن هبيرة يبغي به الغوائل الى ان عزل واقام بالشام برهة ثم عذب الى ان مات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد ابن يزيد وكان جواداً فصيحاً عظيم الهمة الا انه كان مارقا في الدين * فأما جوده فان حيص بيص الشاعر دخل عليه يوماً فقال اني مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة الاف درهم فاحضرها حتى انشدهما فاحضر الدراهم ثم انشد حيص بيص يقول

قد كان آدم قبل حين وفاته * اوصاك وهو يجود بالحوباء
بنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وامر ان يضرب اسواطاً وينادى عليه هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره ثم قال له ان قيمتهما مائة الف وروى انه دخل على خالد شيخ كبير فمثل بين يديه فقال شيخ جذبه اليك سنة ابدت العظام فان رأيت ان تجبره بفضل وتنعشه بسجل قال خالد على ان اقارعك فان قرعتك لم اعطك شيأ وان قرعتني أعطيتك فقارعه خالد فقرعه فقال له

أقلني فاقاله ثم قارعه اخرى فقرعه أيضاً فقال أقلني فاقاله ثانيه ثم قارعه فقرع خالداً فقال اقلني فقال الخالد لا اقالني الله اذاً فقال اعطوه بدرة يدخلها في حر أمه فقال وأخرى ايها الامير ادخلها في استها فضحك وأمر له ببدرتين وكان يقول أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوهاً تنفر منه القلوب وقال له بعض اصحابه والله انا لنسألك اموراً لاحاجة الينا بها فقال ولم قال لعلمنا بمحبتك فيمن سألك حاجة * واما فصاحته فمنها أنه اقام على المنبر بواسط فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحدكم عند احد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن له جزاء واجزل عليه عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقما وأفضل المال ما أكسب اجراً واورث ذكراً واجود الناس من اعطى من لا يرجوه ومن لم يطب حرثه لم يزك نبته والاصول عن مغارسها تنمو وبأصولها تسمو أقول قولي واستغفر الله لي ولكم ومنها أنه صعد يوما المنبر فأرتج عليه الكلام فقال ايها الناس ان الكلام يجيء احياناً ويعزب احياناً وربما طلب فأبى وكوبر فعصى والتأني لمجيه أيسر من التعاطي لابيه وقد يختلج في الجريء جنانه ويتعاصى على الذرب لسانه ثم لا يكابر القول اذا امتنع ولا يرد اذا اتسع واولى الناس من عذر على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة من عرف ميدانه اشتهر احسانه وسأعود واقول ثم نزل * واما مروقه من الدين واستهتاره فحكي أنه حفر بئرا بمكة عذبة الماء ثم نصب طشتا الى جانب زمزم ثم خطب فقال قد جئتكم بماء العاذبة لا تشبه ماء ام الخنافس يعني زمزم ثم قال ان نبي الله اسماعيل استسقى ربه فسقاه ملحا اجاجا وسقى امير المؤمنين عذبا زلالا فراتا يعني هذا البئر (وحكي) ان سفيان بن ابي عبد الله قال سمعت

خالداً القشيري على المنبر وكان بنو أمية أمروا بلعن عليّ على المنابر يقول اللهم افعل بعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب زوج فاطمة وابي الحسن والحسين كيت وكيت وكان مع ذلك يبر قوماً من بنى هاشم فحكي ان محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان أتاه يستمنحه فلم ير منه مايحب فقال اما المنافع فلها شميين واما نحن فما حبوتنا منه الاشتمه علياً على منبره فبلغ خالدا ذلك فقال ان احب تناولناله عثمان بشيء

﴿ وقتل بشار بن برد ﴾

ترجمة بشار ابن برد

هو بشار بن برد بن برجوح الشاعر المقدم من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبي المهلب ويدعي انه مولى بني عقيل وحدث عن نفسه قال لما دخلت على المهدي قال لي فيمن تعد يابشار فأجبته وقلت اما اللسان فعربي واما الاصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين

ونبئت قوماً بهم جنة * يقولون من ذا وكنت العلم

الا ايها السائلى جاهلا * ليعرفني انا انف الكرم

نمت فى الكرام بنو عامر * فروعي واصلى قريش العجم

وكان يتلون فى ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة ينشد ويقول

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم * مولى العذيب فجد بفضلك وافخر

وارجع الى مولاك غير مدافع * سبحان مولاى العلى الاكبر

وكان يلقب بالمرعث لرعاث كان في أذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى فكان يقول أشد ماحييت به قوله الباهلى حيث يقول

قوله والرعاث القرط الخ الذي في القاموس ان الرعاث جمع رعثة بالفتح وبالتحريك وهي القرط اه من هامش الاصل

وعبدى فقاعينيك في الرحم أيره ... فجئت ولم تعلم لعينيك قائناً

وكان يشبه الاشياء بما لا يقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل أبو عبيدة من أشعر عندك أبشار أم مروان بن أبي حفصة فقال ان بشارا حكم لنفسه بامور لم يعطها غيره وذلك انه قال لي اثنا عشر ألف بيت جيد فقيل له كيف ذلك فقال لي اثنا عشر ألف قصيدة ان لم يكن في كل قصيدة بيت جيد فلعنها الله ولعن قائلها وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله

الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بهذا البيت وجد واصل بن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته المحذوفة الراء (وحكى) سعيد بن مسلم قال كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم بن أبي العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعني جرير بن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الازدي ويختصمون عنده فاما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة وأما الازدى فمال الي السمنية وهو مذهب من مذاهب أهل الهند وأما بشار فبقي متحيراً فقيل انه قال بعد بمذهب التوبة وبعده تزندق قال أحمد بن خالد كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله الي الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ماعاينت أو عاينه معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال لى ما أظن الامر يا أبا مخلد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طبعت على مافيّ غير مخير * هواي ولو خيرت كنت المهذبا

أريد فلا اعطي واعطى فلم ارد * وغيّب عنى ان انال المغيبا

واصرف عن علمي وعملي مبصر * فامسي وما اعقبت الا التعجبا

وروي المازني قال قال رجل لبشار اتأكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما أدفع به شر هذه الظلمة ويمثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير المهدي حتى قتل (حكى) ابن نصر قال قدم بشار من البصرة الى بغداد وقد مدح المهدي بقصيدته الرائية ثم أنشده اياها فلم يحظ منه بشيء فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الامل ثم مدح يعقوب بن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيئاً واقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار

طال الثواء على رسوم المنزل * فقال يعقوب

فاذا تشاء أبا معاذ فارحل * فغضب بشار وقال يهجوه

بني أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن دواد

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوى فقال ههنا من نحتشمه فقال لا فانشده هجاء فى المهدي وهجاء في يعقوب فسعى به الى يعقوب وكان المهدى قد قدم البصرة فدخل عليه يعقوب وقال للمهدي ان بشارا زنديق وقد قامت عليه البينة وقد هجا أمير المؤمنين فأمر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة بأمره ثم أزف خروجهم فأخرجه ابن نهيك معه في زورق فلما كانوا بالبطيحة ذكره فارسل الى ابن نهيك يأمره بضرب بشار بالسياط ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة فاقيم في صدر السفينة وامر الجلادين ان يضربوه ضربا متلفاً فجعل يقول كلما وقع عليه السوط حس وهي كلمة تقولها العرب عند الالم فقال بعضهم انظروا الى زندقته ما نراه يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك أثريد هو احمد الله عليه فلما بلغ سبعين سوطاً

أشرف على الموت فألقي في صدر السفينة فقال ليت عين أبي الشمقمق تراني حين يقول

ان بشار بن برد * تيس عمى في سفينه

ثم مات من ساعته فألقي في خرارة البطيحة فحمله الماء الى البصرة فأخذه أهله ودفنوه (وحكى) ابن خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدي الى منزله من يفتشه على كتب الزندقة فوجدوا طومارا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اني أريد هجاء آل سليمان بن علي فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتهم اجلالا له صلى الله عليه وسلم فلما قرأه بكى وندم على قتله وقال لاجزى الله يعقوب خيراً فانه لما جاء لفق عليه شهوداً على انه زنديق فقتله وندمت حين لاينفع الندم *ومن مستظرف أخبار بشار قال له هلال بن عطية يوما يمازحه وكان صديقاً له ان الله تعالى لم يذهب ببصر أحد الا عوضه منه شيئاً فما عوضك قال الطويل العريض قال وما هو قال أني لاأراك ولا أمثالك من الثقلاء ثم قال ياهلال أتطيعني في نصيحة أنصحك بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرفض * ومرت به نسوة حسان فقلن له أيسرك انا بناتك ياأبا معاذ فقال اي والله والدين كسروى ويقال انه كفر بهذا اللفظ فانه أراد يسرني أيضاً ان الدين كسروى * ودخل يوما الحمام وفيه بعض ولد قتيبة فقال يابشار وددت انك تبصر فتراني في الحمام وتعلم كذبك في قولك حيث قلت

على أستاه سادتهم كتاب * موالى عامر وسم بنار

فقال بشار ياابن أخي ذهب عنك الصواب انما قلت سادتهم ولست منهم * وكان يوما في مجلس المهدي ينشده قصيدة في مدحه فدخل

خال المهدي وكان فيه غفلة فقال ابشار ماصناعتك فقال أثقب اللؤلؤ فضحك المهدي وكل من حضر * وجلس اليه رجل فاستثقله فضرط فظن الرجل انها افلتت منه غصبا ثم ضرط أخرى ثم أخرى فقال له الرجل ماهذا الفعل فقال مه أرأيت أم سمعت فقال بل سمعت صوتا قبيحاً قال فلا تصدق حتى ترى فقام الرجل من ساعته وتركه *ووقف عليه بعض المجان وهو ينشد شعرا له فقال يابشار استر شعرك كما تستر عورتك فغضب بشار وصفق بيديه وتفل عن يمينه ويساره وكان يفعل ذلك اذا غضب وأراد أن يقول هجاء ثم قال ويلك من أنت فقال أنامن باهلة واخوالي من باهلة واخوالي من سلول وأصهاري من عك ومنزلي نهر بلال فضحك بشار وقال اذهب فأنت عتيق اؤمك (وحكى) أبو عبيدة قال كان حماد عجرد يتهم بالزندقة وكان يعير بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه

والله ماالخنزير في نتنه * بربعه في النتن أوخمسه

بل وجهه أحسن من وجهه * ونفسه أفضل من نفسه

فقال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف قال ماأراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم فاخرج الجحود بها مخرج الهجاء وهذا خبث شديد من بشار وتغلغل وقد وقع بشار أيضاً في مثل هذه الواقعة حدث السري بن الصباح قال دخلت على بشار بالبصرة فقال أما اني قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد قلت بماذا ياأبا معاذ فقال بقولي هذا وأنشد يقول

ياابن نهيا رأس علي ثقيل * واحتمال الرأسين خطب جليل

فادع غيري الى عبادة ربيـ * ـن فاني بواحد مشغول

فقلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر ولكنه يرويه على خلاف هذا

قال فما يقول قلت له يقول

فادع غيري الى عبادة ربين * فاني عن واحد مشغول

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذا سئل عن هذين البيتين ليس هما لي * ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعده مع شعره من الخطباء المذكورين قوله لقد عشت في زمان فادركت أقواما لو أخلقت الدنيا ما تجملت الا بهم واني لفي زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا ظريفا ولا من يساوي على الخبرة رغيفا * وقال الاصمعي قلت لبشار ان الناس يعجبون من أبياتك في المشورة ويعني بذلك قوله

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافي عدة للقوادم

فقال يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطا يشارك في مكروهه * ومات لبشار ولد فقيل له أجر قدمته وذخر أحرزته فقال ولد دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته فانتظرته وان لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد * ومن محاسن شعره قوله

حرم الله أن يرى كابن سلم * عقبة الخير مطعم الفقراء

ما لكي تنشق عن وجهه الار * ض كما انشقت السما عن ذكاء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يلذ طعم العطاء

لا ولا أن يقال شيمته الجو * د ولكن طبائع الآباء

وقوله من قصيدة في المهدي

تسلى عن الاحباب وصال خلة * وصرام أخرى ما يقيم على أمر

وركاض افراس الصبابة والهوى * جرت حججا ثم استقلت كما أجرى

الى ملك من هاشم في نبوة * ومن حمير في الملك والعدد الدثر

من المشترين الحمد تندي من الندى * يداه وينذى عارضاه من العطر

فألزمت حبلي حبل من لا يمينه * عفاه الندى من حيث يدري ولا يدري

وقوله في البائية المشهورة

اذا كنت في كل الامور معاتباً * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * يقارف ذنبا تارة ويجانبه

اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

ويقول فيها أيضاً

ولما تولى الحر واعتصر الثرى * لدى القيظ من نجم توقد لاهبه

غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى * الى الجأب الا أنها لا تخاطبه

ومنها يقول

اذا الملك الجبار صعر خده * مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقوله من قصيدة لخالد البرمكي ويقال ان خالدا كتب هذه الابيات في صدر مجلسه وهي

أخالد ان الحمد يبقى لاهله * جمالا ولا يبقى الكثير على الكد

فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقها ان العوارى للرد

وقوله

دعتني حين شبت الى المعاصي * محاسن زائر كالريم غض

كأن كلامه يوم التقينا * رقى ياخذن في طولي وعرضي

وقوله

ربما ثقل الجليس وان كا * ن خفيفا في كفة الميزان

ولقد قلت حين وتد في الار * ض ثقيل أربى على كيوان

كيف لا تحمل الامانة أرض * حملت فوقها أبا مروان

وقوله

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما * على بعد ما من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله * كما جاد بالرمضا سهيل بن سالم

وقوله

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته * فانه عربي من قوارير

وأما يعقوب الذي أشار بقتل بشار فهو ابن داود بن طهمان السلمي كان في الاصل هو واخوته كتاباً لابراهيم بن عبد الله بن حسن المتغلب في أيام المنصور فلما قتل استخفوا فمن عليهم المهدي وأطلقهم وكانوا أدباء ألباء فصحاء وكان المهدي يتطلب الحسن بن ابراهيم بن عبد الله فضمن له يعقوب احضاره وتوسط الى أن أحضر له الحسن من مكة بامان المهدي ودخل في الطاعة وتمكن يعقوب وولي وزارة المهدي وغلب على أمره وسره ودانت له الدنيا الى أن طلبه المهدي يوما قال فدخلت عليه وهو في مجلس مفروش في غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رأيت أحسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله أمير المؤمنين لم أر كاليوم فقال هو لك بما فيه والجارية ليتم سرورك فدعوت له ثم قال لي اليك حاجة فقلت الامر لك فقال ضع يدك على رأسي واحلف ففعلت فقال هذا فلان من ولد فاطمة أحب أن تريحني منه فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب وعلم أنه كانت لهم دولة لم يمش فيها وان المهدي لا ينظره الى ذلك لكثرة السعاة به اليه والحسدة له فمال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمي وكان معظما في دولة المهدي وهو الذي أخرجه من سجن المنصور فترامى اليه يعقوب وأقبل يريض له الامور فسعوا فيه الى المهدي وقالوا ان البلاد في يده وأصحابه وانما يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحق بن الفضل فملؤا مسامع المهدي فامهله قليلا ثم تجنى عليه جنايات ووضعه في السجن الى أن عمي

وأخرج في أيام الرشيد فلما حضر بين يديه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدى قال لست به قال الهادي قال لست به قال الرشيد قال نعم فسلم ثم لحق بمكة المشرفة ومات في دولته

﴿وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات﴾

(الخرق) قطع الشئ وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق فان الخلق فعل الشيء بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات أى حكموا بذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل أخرق وامرأة خرقاء لا تفعل الامر باحكام ولا تدبير (والعادة) تكرير الفعل مأخوذ من أعاد الحديث اذا كرره نخرق العادات تغيير ما تكرر أفعاله من المخلوقات واستقر على مرور الايام والليالي وكذلك الامر في قوله (وخالفت المعهودات)

﴿ فاحلت البحار عذبه وأعدت السلام رطبه ﴾

(البحر) كل مكان واسع جامع للماء الكثار ويقال فى الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب للتغليب كما يقال العمران واختلف في عدد البحار فقيل انها سبعة أبحر ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسه وقيل أربعة والاول أصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر قال بعض العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام سبع وخلق الانسان من سبع يعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية ورزق من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الي طعامه الآية وذكر في جغرافيا أن البحار مختلفة المقادير فمنها ماهو على هيئة الطيلسان ومنها ماهو على هيئة الشابورة ومنها ماهو على صورة التدوير وهو الغالب

عليها وأشدها البحر الشرقى وهو لفارس والغربي وهو للروم يأخذان من البحر المحيط ويقال له قنطس والبحار تستمد منه وهي بالنسبة اليه كالخلجان ولا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش حيوان ويقال ان أطراف السماء عليه كالخيمة ولايعلم ماوراءه * فأما البحر الشرقي فيأخذ من أقصى المغرب وينتهى الى أقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بأرض الحبشة ومنه بحر فارس أوله من الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقال له رأس الجمجمة ومنه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كش وأما البحر الغربي فانه يأخذ من المحيط من المغرب في الخليج الذى بين المغرب والاندلس ويسمى زقاق سبتة حتى ينتهي الى الثغور الشامية وقدره في المسافة اربعة اشهر ومن القلزم الذى هو لسان بحر فارس ومن بحر الروم على سمت الفرما أربع مراحل وزعم بعض المفسرين في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان انه هذا الموضع وزعموا ان بحر الروم متصل بالشرقي وانه وجد فيه شئ من النارجيل الذى يكون في البحر الشرقي وهذا بعيد لبعد مابينهما من المفاوز والجبال * واختلف في مبادى البحار على اقوال احدها انها من الاستقصات الاربع خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والثاني انها بقيــة طوفان نوح عليه السلام والثالث انها من عرق الارض لما ينالها من حر الشمس والرابع انها من مياه الارض فالملح يحـدر الى الاماكن المنخفضة والكل ملح وانما يتصعد منها للجو فيلطفه ويحليه ثم يهبط الى الارض فتــه الانهار العذبة * ومراد ابن زيدون انك لوشئت فعلت مالا يمكن وهو تفسير قوله خرقت العادات ومثله (واعدت السلام رطبه) العود الرجوع الى الشئ بعد الانصراف عنه والسلام الحجارة الصلبة وانما عني باعادتها الى الرطبة هو مازعم قوم ان الحجارة كانت في الزمن الاول على عهـد

نوح لبنة وعلى ذلك قول الراجز حيث يقول

انك لو عمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل * كنت رهين هرم اوقتل

﴿ ونقلت غدا فصار أمسا * وزدت في العناصر فكانت خمسا ﴾

اصل الغد غدو فحذفوا الواو بلا عوض وفي هذا المعنى قال الشاعر

وما الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

(وأمسا) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين واختلف فيه فاكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف واللام يقول مضى الامس وقال سيبويه جاء في ضرورة الشعر كقوله

لقد رأيت عجبا مذ امسا * عجائزا مثل السعالي خمسا

ولا يصغر أمس كما لايصغر غد والمعنى انك لو شئت قلبت الاشياء اما قدرة واما تسمية تقتدي الناس بك فيها (والعناصر) اصول الخلق وهي اربعة لاغير النار والهواء والماء والتراب ثنتان تذهبان صعداً وهما النار وطبيعتها حارة يابسة والهواء وطبيعته حارة رطبة وثنتان تذهبان سفلا وهما الماء وطبيعته باردة رطبة والتراب وطبيعته باردة يابسة وقيل في قول فيثاغورس والذى وهب لنا الينبوع الاربع اراد العناصر

﴿وانك المقول فيه كل الصيد في جوف الفرا﴾

هذا مثال قديم يضرب في وصف الشيء المربي على غيره وأصله أن قوما خرجوا للصيد فصاد أحدهم ظبيا وآخر أرنبا وآخر فرا وهو الحمار الوحشي فقال لاصحابه كل الصيد في جوف الفرا يعني أن جميع صيدكم يسير في جنب ما صدته وزعم بعضهم أن الفرا اسم واد كثير

الصيد وهو قول مردود وأما قول الشاعر

* وواد كجوف العير قفر قطعته * فليس من هذا وانما أراد الوادي المعروف بجوف حمار وحمار اسم رجل قديم كان في وادخصيب فظلم عشيرته فأرسل الله تعالى عليه ناراً فأحرقته وأحرقت الوادي نخلا وسكنته الجن فقيل أخلى من جوف حمار وحجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أذن له فقال يارسول الله ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا سفيان كل الصيد في جوف الفرا

﴿ وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد ﴾

هذا البيت لأبي نواس من جملة أبيات يقولها في الفضل بن يحيى ويخاطب بها الرشيد وهي ترجمة أبي نواس

قولا لهرون امام الهدى * عند احتفال المجلس الحاشد

أنت على مابك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وأبو نواس هو الحسن بن هانئ بن الجراح الحكمي البصري وكنى نفسه بأبي نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذي رعين وذي نواس فاكتنى بأبي نواس وكان مولده بالاهواز سنة مائة وخمس وأربعين ثم نشأ بالبصرة وتأدب بها على أبي زيد وخلف الاحمر ونظر في كتاب سيبويه وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو في المحدثين مثل امرئ القيس في المتقدمين وكان العتابي يقول لو أدرك الخبيث الجاهلية لم يفضل عليه أحد وسئل المرزباني أيهما أشعر أبو نواس أم الرقاشي فقال ضراط

أبي نواس في جهنم أشعر من تسبيح الرقاشي في الجنة ثم مدح الأمين واختص به وصار من ندمائه بذلك وبذلك كان أخوه المأمون يشنع عليه ويقول كيف يصلح للخلافة وجليسه أبو نواس القائل في مجلسه كذا وكذا من الاشعار المحتوية على الفسق والكفر وكان ابو نواس قد انفرد في زمانه باتقان الشعر وافراط المجون والتهتك قال أبو العتاهية عاتبته مرة على المجون فأنشد يقول

أتراني ياعتاهي * تاركا تلك الملاهي
أتراني مفسدا بالـ * ـنسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه قال

لاترجع الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فوددت أن هذا البيت لي بجميع ماقلته وعلمت أنه لايصغى الى عذل ولم يزل على حاله الى أن توفي ببغداد سنة مائتين هو ومعروف الكرخي في يوم واحد فخرج مع جنازة معروف زهاء ثلثمائة ألف ولم يخرج مع جنازة أبي نواس غير رجل واحد فلما دفن معروف قال قائل أليس جمعنا وأبا نواس الاسلام ودعا الناس فصلوا عليه فرىء في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لي بصلاة الذين صلوا على معروف وعلي وأوصى أن يكتب على قبره هذا

وعظتك أحداث صمت(١)* ونعتك أزمنة خفت٢
ياذا المغني ياذا المبـ * ـني عش مابدا لك ثم مت

خفتت خفوتا

«١» قوله صمت بضم الصاد والميم جمع صامت ويوجد بعد هذا البيت بيت آخر وهو

وتكلمت عن أوجه * تبلى وعن صور سبت

بضم السين جمع سابت والسبات النوم وأصله الراحة ويوجد في بعض الكتب بيت آخر أيضا وهو

وارتك قبرك في القبو * ر وأنت حي لم تمت

وأخبار أبي نواس وأشعاره مجموعة ومنها الزائدة والناقصة فمن مستظرف أخباره قيل تحاكم في سؤال رافضي وسني فيمن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيا أبا نواس فسألاه فقال أفضلهم بعده يزيد بن الفضل فقالا ومن يزيد بن الفضل فقال رجل يعطيني كل سنة ثلاثة آلاف درهم * وسئل عن الخمر فقال خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة وقد جعلها الله تعالى لذة للشاربين فقيل له كيف هي أجود قال لانها انموذج والانموذج خيار الشيء * وكان يوما جالسا وفي يده كأس خمر وعن يمينه عنقود وعن يساره زبيب فقيل له ما هذا فقال الاب والابن والروح القدس * وقيل له أتشرب الخمر قال نعم اذا اشتري بثمن خنزير سرق حتي يكون حراما ثلاث مرات * وحكي عن نفسه قال دخلت الي دمشق وخلوت بأمرد ودفعت له دينارا فلما رأى متاعي استعظمه فقلت له إما أن ترد الدينار وإما أن تحتمله وإما أن تشتم معاوية فأذعن فرضي بالوسط فلما دفعته فيه سمعته يقول هذا في رضاك قليل ياأبا يزيد وقال له أمرد متى تعطيني درهما قال اذا جرى الماء في العود وكان أبو عبيدة يجلس الي اسطوانة في جامع البصرة فكتب أبو نواس في أعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ولم يعرف من كتبه فأمر بعض تلامذته بحكه من السارية فلم يصل فتطامن له أبو عبيدة وصعد على ظهره الى ان حكه فلما طال عليه الامر قال له أفرغت قال نعم حككت الكل الا حرفا قال وما هو قال كلمة لوط قال لقد بقي الكل * ومن شعره قيل ان سليمان بن المنصور دخل على الامين فرفع اليه انه هجاه وانه زنديق وأشار عليه بقتله فقال ياعم كيف أقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد * ومن الثناء تكذب وتخرص
واذا بنو المنصور عد حصاهم * فمحمد ياقوتها المستخلص

فانقطع سليمان عن الركوب فأمر الامين بحبس ابي نواس فكتب اليه من السجن يقول

تذكر أمين الله والعهد يذكر * مقامي وانشاديك والناس حضر
ونثري عليك الدر يادر هاشم * فيامن رأى دراً على الدر ينثر
ومن ذا الذي يرمي بسهمك في العلا * وعبد مناف والداك وحمير
فان كنت لم أذنب ففيم عقوبتي * وان كان لي ذنب فعفوك أكبر

فلما قرأ الابيات قال أخرجوه ولو غضب ولد المنصور كلهم ومن شعره قوله من قصيدة

يا كثير النوح في الدمن * لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن
ضن بي من قد كلفت به * فهو يجفوني على الضنن

﴿ ومنها ﴾

تضحك الدنيا على ملك * قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فغدا * فكأن البخل لم يكن

وقوله ايضا يمدح الامين

أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته * اذا الزمان على أبنائه كلحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * من جود كفك تأسو كل ما جرحا

﴿ وقوله أيضا ﴾

علقت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه * فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الايام ما اسمي مادرت * وأين مكاني ما عرفن مكاني

﴿ وقوله ايضا ﴾

ألم تر أنني أفنيت عمري * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيأ اليها * يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حججت جنان * فيجمعني واياها المسير

﴿ وقوله أيضا ﴾

أيها العاتب في الخمر متى كنت سفيها
لو تركناها لعتب * لأطعنا الله فيها

﴿ وقوله ﴾

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر * لها محبان لوطيّ وزناء

﴿ ومنها ﴾

دارت على فتية ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا

ومنها يعني ابراهيم النظام

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة * حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
لاتحظر العفو ان كنت امرأ فطناً * فان حظركه بالدين ازراء

وقوله ايضاً

قالوا اظفرت بمن تهوى فقلت لهم * الآن اطول ما كانت صباباتى
لاعذر للصب ان تهدى جوارحه * وقد تطعم فوه بالمدارات

وقوله ايضا

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم * واني على أمثال تلك لحابس

ولم أدر منهم غير ماشهدت به * بشرقي ساباط الديار البسابس
أقمنا بها يوما ويوما وثالثاً * ويوما له يوم الترحل خامس
تدور علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدريها بالقسي الفوارس
فللراح مازرت عليه جيوبنا * وللماء مادارت عليه القلانس

كان الجاحظ يقول وجدنا الشعراء تجاذبوا المعاني الا قول عنترة في وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

وقول أبي نواس يصف الكأس يعني في هذه الأبيات السينية فان أحداً من الشعراء لم يجسر التعرض لها وقوله

كيف النزوع عن الصبا والكاس * قس ذا النسا ياعاذلي بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي * عن أن تجيء الى فمي بالكاس

وقوله

يقولون في الشيب الوقار لاهله * وشيبي بحمد الله غير وقار
اذا كنت لاأنفك عن أريحية * الى رشأ يسعى بكاس عقار

وقوله

ظلت حميا الكاس تبسطنا * حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر
ولقد تجوب بي الفلاة اذا * صام النهار وقالت العفر
شدنية رعت الحمى فأتت * ملء الجبال كانها قصر

ومنها

يسعى اليك بها بنواملي * عتبوا فأعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلا كما بحر

ذكر بعض العلماء في قوله وحلت الخمر أربعة أوجه الاول ان طيب المكان وتكامل السرور صار مقتضياً لشرب الخمر وملجئاً الى تناولها ورافعاً للحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة وفائدة وصفها بأنها حلت المبالغة في الوصف بالحسن والجمال الثاني أن يكون آلى على نفسه أن لايتناول الخمر الا بعد الاجتماع بمحبوبه فكان الاجتماع به مخرجاً من يمينه على عادة العرب وعلى ذلك قول امرئ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرأ * عن شربها في شغل شاغل

الثالث يريد بحلت نزلت من الحلول لا من الحلال كأنه وصف بلوغ آرابه وانها تكاملت بحضور الخمر الرابع انا استحللنا الخمر بسكرنا وذهولنا والى ذلك أشار في المعنى بقوله

قوله والى ذلك اهل الاشارة الى مدح الخصيب المتقدم في الابيات السابقة تأمل اه من هامش الاصل

ذريني أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير
اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتى بعد الخصيب تزور

ومنها

فان تولني منك الجميل فأهله * والا فاني عاذر وشكور

وقوله أيضاً من أبيات رويت منها هذين البيتين

لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت نفسك فوق جهد المتقي
وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

احتج له بعض العلماء في هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيئاً خافه لحمه ودمه فكأن الاعداء خافته ونطفها في ذلك الوقت دم فجرى الخوف في الدم مجرى الدم في الاخلاط فجرت الاخلاط واستحالت الى مني بعد الانعقاد والنضج التام فانعقد منه في الرحم فتكون انسان مخافته من هذا القبيل وهذا امر غامض والامر فيه محتمل وقال آخر خافته ذرية آدم منذ اخذ الله تعالى عليها الميثاق وهي في ظهر أبينا آدم حين

قال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فلبث في ظهر آدم صلوات الله وسلامه عليه القول الاول أمكن عند الحكماء واما الثاني فهو قريب من باب الاحتمال وقوله

مر بنا والعيون ترمقه * تجرح منه مواضع القبل
افرغ في قالب الجمال فما * يصلح الا لذلك العمل

وقوله ايضاً وقد هجا بعضهم فسمع منه مالا يرضيه فقال

ما انت بالحر فباحى ولا * بالعبد يرجى نفعه بالعصا
فرحمة الله على [illegible] * رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدرى امه [illegible] * مثلك من احليله لاختصى

واما قوله في امر الزهد فانشد يوما هذين البيتين يقول

الا رب وجه في التراب عتيق * ويارب حسن في التراب رقيق
اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وقوله من ابيات يرثي بها الامين وكأنها مطولة والله اعلم

طوى الدهر ما بيني وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه احذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه احاذر

ترجمة أبي تمام ﴿ والمدني بقول أبي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من شرف الطباع ﴾

هذا البيت لابي تمام من قصيدة مطولة ستأتي ان شاء الله تعالى في آخر ترجمته وهو حبيب بن أوس بن الحرث الطائي الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة أقول بانه ولد في سنة تسعين ومائة ومات في سنة ست وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بقرية يقال لها جاسم وهي من أعمال حوران من بلاد

دمشق وكان أبوه نصرانياً وكان اذذاك أبو تمام بمصر القاهرة في حداثته يسقي الماء بالمسجد الجامع ثم جالس الادباء وأخذ عنهم من النظم والنثر والادب والفضل مالا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء وأصحاب الفضل فلم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره في العصر وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سرا برأى بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه * حدث علي ابن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل ... على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها فبينا انا في جمعة من تلك الجمع ودعبل وابن أبي الشيص وابن أبي فنن والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم بعضاً أبصرت شاباً في أخريات الناس جالساً في زى الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع انشاده التفت الشاب الينا وقال قد سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادى فقلنا هات فأنشد * فحواك عين على نجواك يامذل * ثم مر فيها منشداً حتى أتي الى قوله

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد أبو الشيص عند هذا البيت خنصره ثم مر فيها الشاب الى أن أتى على آخرها ثم أنشد قصيدة أخرى فقلنا له أيها الشاب لمن هذا الشعر فقال لمن أنشدكموه قلنا له ناشدناك الله من تكون فضحك وقال أنا أبو تمام الطائي فرفعنا مجلسه حينئذ وعظمناه تعظيما كبيراً واشتد اعجابنا به لدماثة أخلاقه وفصاحة منطقه وجودة شعره ثم انني ماعرفت عقد خنصر أبي الشيص هل كان اعجابا به عما سمع في البيت من البديع المرقص أو أخذا عليه في اسكان الياء في قوله حتى ظننت قوافيه أعني من لفظة قوافيه وهي ضرورة جائزة عند الشعراء ثم ترقت حال أبي تمام وتحول بالمال الجزيل حسبي

عاد الى بلده فضرب خياما وأظهر نعمة وأثاثا فخرجت امرأة من بعض أحياء العرب ومعها أختها يستقيان فتأملته زماناً ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل قالت لا والله قالت بلى والله أنا أعرفه قالت ومن هو قالت انه والله أقيرع جاسم فلما سمع ماقالت النسوة رحل من وقته وساعته وعاد الى الموصل فما زال بها الى أن مات رحمة الله تعالى عليه *

وحكى البحتري قال دخلت على سعيد بن أسلم الطائي فأنشدته قصيدتي في مدحه التي أولها * أأفاق صب من هوى فافيقا * والى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل علي ذلك الشخص وقال أما تستحي أن تنتحل شعري وتنشده بحضوري ثم مر في القصيدة فانشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت الي وقال يا ابن أخي قد كان في الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل انه أبو تمام الطائي فلما بعدت لحقني الحاجب وأمرني بالعود واذا أبو تمام يضحك فاستدناني وقال يا سيدي الشعر لك وانما هذه عادتي في حفظ القصيدة من مرة واحدة ولقد نعيت الي نفسي فانه مانبغ من قبيلة مجيد أو شريف الا مات من كان قبله مثله أو ماسمعت قول الشاعر

اذا مقدم منا ذرا حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقدم

فقلت بل يجعلني الله فداك ثم لزمته وكان محسناً الي الى أن مات *

وحكى أبو حيان قال كان لابي تمام صديق يسكر من قدحين فكتب اليه يستدعيه الى الشرب ان رأيت أن تنام عندنا الليلة فافعل * ومن محاسن شعره قوله

الى قطب الدنيا الذي لو بفضله * مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله

تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناها لقبض لم تطعه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وقوله أيضاً

ومرحب بالزائرين وبشره * يغنيك عن أهل لديه ومرحب
يعطي عطاء المنعم المفضل الندى * عفواً ويعتذر اعتذار المذنب

وقوله أيضاً

قوم اذا أوعدوا أو واعدوا غمروا * صدقاً ذوائب ما قالوا بما فعلوا
يستعذبون مناياهم كأنهم * لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله أيضاً

لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري خبب الركاب ينصها * محيي القريض الى مميت المال

وقوله أيضاً

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله ايضاً

ليس الحجاب بمقص منك لي املا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله أيضاً

توفيت الآمال بعد محمد * واصبح في شغل عن السفر السفر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر ان فاته النصر
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة * غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
كأن بني نبهان عند وفاته * نجوم سماء خاب من بينها البدر
لئن أبعد الدهر الخؤون بفقده * لمهدى به ممن يحب له الدهر

وقوله ايضاً

اذا فقد المفقود من آل مالك * تقطع قلبي رحمة للمكارم
ألم تر بالايام كيف فجعننا * به ثم قد شاركننا في المآتم

روا كدقيصي الكف من متناول * وفيها عـلال ترتقى بالسـلالم
بني مالك قد نبهت خامل الثرى * قبور لـكم مستشرفات المعالم
وقوله ايضاً
ورأت شحوبا رابها في جسمه * ماذا يريبك من جواد مضمر
عفت به الايام حتى انهـا * لتكاد تفجؤه بمـا لم يقدر
وأكثر شعر أبي تمام مختار وهو فى الشهرة كابى الطيب فيكفى من شعره هذا القدر وما أذكر في هذا الشرح من بعض هذه التراجم التي هى من باب لزوم مالا يلزم الا لما يتضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه وأما القصيدة التي منها البيت المذكور أبو تمام بسببه فهي هذه
خذي عبرات عينك عن سماعي * وصونى ماأزلت من القناع
أآلفـة الحبيب كم افتراق * أجد فكان داعيـة اجتماع
وليست فرحـة الاوبات الا * لموقوف على شرح الوداع
ترجع أن رأت جسمي ضئيلا * كأن المجد يدرك بالصراع
فتي النكبات من يأوى اذا ما * أطفن به الي خلق وساع
أبنّ مع السباع الماء حتى * لخالته السباع من السباع
فلب الحزم ان حاولت يوما * بان تسطيع غير المستطاع
قال المرزوقي فى شرح هذا البيت يقول ان أردت أن تقدم على مالا يقدر عليه فاجب حزمك وعزمك واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك يؤديك الى النجح وهـذا على رأى من روى فلب الحزم من التلبية ولسب بعضهم هذا البيت الي المحال فقال الحزم في ترك طلاب مالا يطاق فكيف يعزم على ادراكه حتى يجيبه بالتلبية وقال المرزوقيّ وهذا من قائله بعيد اذ معني البيت أجب الحزم وعليك به فيما تطلب من المهمات فانّ الحزم يعين على كل شيء حتى على مالا يتأتى ولا يتسهل وهذا كما

يقال كل مالا يقدر عليه خلق فاستعن فيه بكذا وكذا يريد انه مبارك السعي ويراد بذلك المبالغة في تأتيه وقال آخر أراد ان حاولت يوما مالا يدخل تحت قدرتك فاجب الحزم فانه يدعوك الي ترك طلبه وروي أيضاً قلبت الحزم ومن القصيدة أيضاً في المدح

أطال يدي على الايام حتى * وقيت صروفها صاعا بصاع
جملت الجود لآلاء المساعي * وهل شمس تكون بلا شعاع
ورأيك مثل رأى السيف تحت * مشورة حده عند المصاع
ولو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

﴿ والمراد بقول أبي الطيب

ذكر الانام لنا فكان قصيدة * كنت البديع الفرد من أبياتها ﴾

هذا البيت لابي الطيب المتنبي وقد تقدم ذكره وانما أذكر ههنا محاسن القصيدة التى منها هذا البيت وهي قصيدة يمدح بها محمد بن أحمد بن عمران التي يقول في أولها سرب محاسنه حرمت ذواتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كانني لم آتها
ومقانب غادرتها بمقانب * أقوات وحش كن من أقواتها

يعني كم جيش لقيته بجيش حتى اقتتلوا وصاروا قوتاً للوحش بعد ما كان الوحش قوتاً لهم في الصيد وفي هذا المعني خلل لان الوحش الذي يقتات القتلى لا تقتاته الفرسان في الصيد

أقبلتها غرر الجياد كانما * أيدى بني عمران في جبهاتها

يعني وجهت الخيل قبل وجوه هذه المقانب وهي غر فكأن بياض أيدى بني عمران الممدوحين في جبهاتها وان كان أراد ببياض أيديهم اللون فليس فيه كبير معنى وان كان أراد بالايدي النعم فهو مدح وان

كان من باب تشبيه العرض بالجوهر

العارفين بها كما عرفتهم * والراكبين جدودهم أماتها

كان ينبغي أن يقول والراكب جدودهم أمّاتها وانما حملته الضرورة على وجه ضعيف في قولهم أكلوني البراغيث قال الواحدى والذى ذكره الناس في معنى هـذا البيت أن هذه الخيل تعرفهم ويعرفونها لانها من نتائجهم تناسلت عندهم لجدود الممدوحين كانت تركب أمهات هذه الخيل وسياق الابيات قبله يدل على انه يصف خيل نفسه لاخيل الممدوحين وهو قوله أقبلتها غرر الجياد واذا كان كذلك لم يستقم المعنى الا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل الممدوحين وانهم يعطون الخيل للشعراء والذي يزيل الاشكال أن يقال الجياد اسم جنس ففي قوله غرر الجياد أراد خيـل نفسه وفيما بعد أراد خيل الممدوحين والجياد يعم الخيلين جميعاً ثم قال

فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويدا واتها

عجباً له حفظ العنان بأنمل * ماحفظها الأشياء من عاداتها

لو مر يركض في سطور كتابة * أحصى بحافر مهره ميماتها

يعني انه لفروسيته وحسن تصرفه في الخيل في الكر والفر لو ركض بفرسه في طرس مكتوب وأراد أن يحصي بحافر مهره الميمات لفعل وخص الميمات لانها أشبه بالحوافر وأدق من العينات التي هي أيضاً تشبه الحوافر وأكثر وجوداً في الحروف وخص المهر لانه أشغب من غيره

لاخلق أسمح منك الا عارف * بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

راء مقلوب رأى ومثله ناء ونأى

أعيا زوالك عن محل نلته * لاتخرج الاقمار عن هالاتها
ذكر الانام لنا فكان قصيدة * كنت البديع الفرد من أبياتها

﴿ فكدمت في غير مكدم واستسمنت ذا ورم

ونفخت في غير ضرم ﴾

(الكدم) العض (والمكدم) موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيئاً لايتمكن منه وفي بعض النسخ كرمت بالراء وهو خطأ (والورم) الانتفاخ يقال ورم يرم (والسمن) ضد الهزال مأخوذ من قول المتنبي

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكذلك قوله نفخت في غير ضرم هو مأخوذ من قول عمرو بن معدي كرب حيث قال

ولو نار نفخت بها أضاءت * ولكن أنت تنفخ في رماد

وسيأتي ذكر عمرو فيما بعد والمعنى ان هذه المرأة احتالت ولم تتم على شيء من حيلها

﴿ ولم تجد لرمح مهزا ولا لشفرة محزا ﴾

(الهز) التحريك الشديد كأنه قال لم تجد لرمح كلامها يعني المرأة المرسلة مايهز ويستمال وكذلك لشفرة احتيالها ماتحز وماتقطع

ترجمة امرئ القيس

﴿ بل رضيت من الغنيمة بالاياب ﴾

هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه في مطلبه وهو من بيت لامرئ القيس بن حجر بن الحرث من بني آكل المرار وامه فاطمة بنت ربيعة اخت مهلهل وكليب ابني وائل وكان ابوه حجر ملكا من

ملوك العرب بتهامة والحيرة وله أتاوة على بني اسد وغطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر أنفة منه ثم قتل ونهض امرؤ القيس يطلب ثاره في خبر طويل وقال ضيعني صغيراً وحملني عناءه كبيراً ثم قتل جماعة من بني اسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر فاستنجده ومات مسموماً في طريقه في قصة معروفة وسمي الملك الضليل لانه اضل ملك ابيه وذا القروح لان قيصر أرسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات فاما شعره فهو الذي لا ينازع في تقدمه وهو امام المتقدمين حقيقة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا * وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا
أشيم مصاب المزن أين مصابه * ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا
من القاصرات الطرف لو دب محول * من الذر فوق الاتب منها لأثرا

يعني لو دب الصغير من الذر على ثوبها لأثر في جسدها ولم يرد بالمحول مابلغ الحول وانما أراد ماهو لصغره بمنزلة الحولي في الابل

فدعها وسل الهم عنك بجسرة * ذمول اذا صام النهار وهجرا
كان الحصى من خلفها وأمامها * اذا نجلته رجلها حذف أعسرا

خص الاعسر لاختلاف رمياته

على لاحب لايهتدى بمناره * اذا سافه العود النباطي جرجرا

يصف قفرا لاأعلام فيه وقوله لايهتدي بمناره يعني ليس فيه منار يهتدى به لاأن فيه منارا الا انه لايهدى والعود الجمل البالغ تمام سنه وسافه اذا شمه وجرجر اذا حن وعادة الابل أن تشم الارض التي لاتعرفها فتحن لاهلها ببعد المسافة ومنها قوله

ألا رب يوم صالح قد شهدته * بتادف ذات التل من فوق طرطرا
ولا مثل يوم في قداران ظلته * كأني وأصحابي على قرن أعفرا

احتلف المفسرون في هذا البيت فقال بعضهم وصف اليوم بالشدة ونفسه بالقلق والاضطراب فيه حتى كأنه وأصحابه من عدم الاستقرار مقيمون على قرن ظبي وقال بعضهم بل وصف أماكن كان فيها مسرورا منعما لانه قال قبل البيت ألا رب يوم صالح والمعنى انه كان على مكان مشرف عال فشبهه لارتفاعه بقرن الظبي وانما خص قرن الظبي لانه أعلى مافي جسده وقصيدته اللامية التي أولها

* ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وأما القصيدة التي منها نصف البيت المذكور من أجله فانه يقول فيها هذه الابيات

فبعض اللوم عاذلتي فاني * سيكفيني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي

يعني أن مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسيموت كما مات آباؤه وأجداده الى آدم ثم قال

أرانا موضعين لحتم غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب
أبعد الحرث الملك ابن عمرو * وبعد الخير حجر ذي القباب
وبعد ملوك كندة قد تولوا * بأكرم شيمة وأقل عاب
أرجي من طوال الدهر لينا * ولم يغفل عن الصم الصلاب
ألم أنض المطي بكل خرق * أمق الطول لماع السراب
وقد طوفت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب
فارجعها فقد تعبت وكلت * لفرط الاين ركضا للضراب
وأعلم أنني عما قليل * سأنشب في شبا ظفر وناب

﴿ وتمنيت الرجوع بخفي حنين ﴾

احتلف في حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بني أسد

ابن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال
ياأبا عمرو أنا ابن أسـد بن هاشم فقال عبـد المطلب لاوثياب هاشم
ماأعرف فيك شمائله فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة
وقال قوم كان حنين اسكافا من أهـل الحيرة ساومه أعرابي بخفين ولم
يشتر منه شيأ فغاظه ذلك فخرج وعلق أحد الخفين على شجرة في طريقه
وتقدم قليلا وطرح الآخر وكمن فجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق
الشجرة فقال ماأشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه
ثم تقدم قليلا فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه
ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من المكمن واخـذ بعيره وذهب
ورجع الاعرابي الى حيه بخفي حنين وقيل كان حنين يهوديا نخس بامرأة
مسلمة حماراً فقمص فصرعها فتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب
ليس على هـذا صالحناهم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا
فلما نصب على خشبته أتت امرأته وعليه خفان فقالت الآن تموت فما
تصنع بالخفين فأخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفي حنين

﴿ لأني قلت * لقد هان من بالت عليه الثعالب ﴾

هذا نصف بيت لرجل من العرب يسمي غاوى بن ظالم الساعي
وكان سبب قوله انه كان لبني سليم صنم يعبدونه في الجاهلية وكان غاوى
سادنه فبينما هو ذات يوم جالس اذ أقبـل ثعلبان يشتدان فشغر كل
واحد منهما رجله وبال على الصنم فقال يابني سليم والله مايضر ولاينفع
ولا يعطي ولا يمنع ثم أنشد

أرب يبول الثعلبان برأسـه * لقد هان من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم وفر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسـلم فقال له

كيف اسمك فقال غاوي بن ظالم فقال بل أنت راشد بن عبد ربه وروى في هذا البيت الثعلبان بكسر النون على التثنية وروي أيضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد وضرب به المثل فيمن يدعي العز ويراد به الذل

وانشدت على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

هذا البيت لابي تمام المقدم ذكره في ابيات يرثي بها غالب بن الشعرى وهي هذه

هو الدهر لا يسوى وهن المصائب * واكثر آمال الرجال كواذب

فيا غالبا لا غالبا لرزية * بل الموت لاشك الذي هو غالبه

وقلت اخي قالوا اخ ذو قرابة * فقلت لهم ان الشكول اقارب

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وكنت امرأ أبكي دما وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

﴿ ونخرت وبسرت وعبست فكفرت ﴾

(النخير) صوت من الانف اكثر مايكون عند الغضب ويسمى خرق الانف الذي يخرج منه النخير منخرا وفي المثل ما في الدار نخير ومنه نخرت الشجرة اي بليت فهب صوت الريح منها (والبسر) الاستعجال بالشيء قبل أوانه ويقال للجبين قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفي قوله تعالى عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه (والتعبيس) قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس (والكفر) في اللغة ستر الشيء ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل في جاحد النعمة لستره اياها ولما كان يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود مطلقا فيقال الكافر لمن جحد الوحدانية

وما اشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل مايذم عليه فيسمى كفراً وقد يعبر ايضا بالكفر عن التبرؤ من الشيء كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى في قول ابن زيدون انني غضبت الى ان فعلت مافعلت وانني تبرأت منك

﴿ وابدأت واعدت * وابرقت وارعدت ﴾

يعني كررت مايسيئك ذكره واصل البرق لمعان السحاب والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال ارعد فلان وابرق اذا هدد وكان الاصمعي ينكر قولهم في ضرب المثل يعني ابرق وارعد قال مهلهل

ابرقوا ساعة الهياج وارعد * نا كما ترعد الفحول الفحولا

﴿ وهممت ولم أفعل وكدت وليتني ﴾

يعني هممت بقتل هذه المرأة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً تقديره لكان هذا القرآن وهو كثير في كلام العرب وقد استعملوه حتى في الحروف وقالوا درس المنا يريدون به يعني المنازل وقالوا اورق الحام يعني الحمام وهذا لفظ شعر لضابئ بن الحرث بن أرطاة البرجمي كان رجلا بذيا كثير الشرور وكان صاحب صيد أوطأ دابته صبياً فقتله فرفع الى عثمان رضي الله تعالى عنه أيام خلافته فاعتذر بضعف بصره فحبسه ثم خلص وكان قد استعار كلباً للصيد من بني نهشل فلم يرده فطلبوه منه وألحوا عليه فقال يهجوهم ويرمي أمهم بالكلب

فأمكم لا تتركوها وكلبكم * فان عقوق الامهات كبير

إذا اكتنفت من آخر الليل شخصه * يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فقال ويلك ماسمعت أحداً يرمي امرأة بكلب غيرك والله اني أراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزل الله فيك قرآنا ثم حبسه وعرض يوما أهل السجن فوجده قد أعد حديدة ليقتل بها عثمان فأخذت منه وضرب وترك مهملا في السجن فقال

لا يطلبن بعدي امرؤ ضيم حظه * فراراً يقيه الموت والموت نائله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وقائلة لا يبعد الله ضابئا * اذ القرن لم يوجد له من ينازله

قوله لا يطلبن الخ فيه الخرم كما لا يخفى اه

ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير على ضلع من أضلاعه فكسرها فقتله الحجاج بالكوفة

﴿ ولولا أن للجوار ذمة وللضيافة حرمة

لكان الجواب في قذال الدمستق ﴾

يعني لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت المتنبي في المعنى وذلك أن ملك الروم أرسل جيشاً الى بلاد سيف الدولة وقدم عليه بطريقاً يقال له الدمستق و قيل الدمستق لقب عندهم لكل مقدم على جيش فهزمه سيف الدولة وخرج مولياً وعاد الى ملك الروم مهزوماً مرعوباً ثم ان ملك الروم أرسل رسلا وكتاباً الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق فيقول

وكنت اذا كاتبته قبل هذه * كتبت اليه في قذال الدمستق

وهذه قصيدة تطوى على أبيات حسنة ويتعلق بها خبر ظريف
قيل دخل السري الرفا الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يامولانا كم
تفضل علينا هذا الكندي يعني المتنبي ولو أمرتني أن أنظم على وزن
أي قصيدة شئت من قصائده لنظمت ماهو أجود منها فقال سيف الدولة
انظم على وزن قصيدته التي أولها* بعينيك مالاقى الفؤاد وماتقي * فخرج
السرى من عنده على ذلك وفكر في القصيدة فلم يجدها من طنانات المتنبي
فعلم أن سيف الدولة أراد أمرا له بتخصيصه هذه القصيدة في الاقتراح
فنظر في أبياتها فاذا هو يقول فيها مادحا لسيف الدولة ومفتخرا بنفسه

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غباري ثم قال له الحق

فعلم أن سيف الدولة أراده بهذا المعنى فكف عن النظم وفي هذه
القصيدة يقول المتنبي

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق
سقى الله أيام الصبا مايسرها * ويفعل فعل البابلي المعتق
اذا مالبست الدهر مستمتعاً به * تخرقت والملبوس لم يتخرق

هذا المعنى جيد ولكن استعمال التخريق للاجساد بشع ومن جملة
هذه القصيدة أيضاً

نودعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق
هواد لاملاك الجيوش كأنها * تخير أرواح الكماة وتنتقي
يقد بها بين اللقان وواسط * ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كأن صحيحها * يبكي دما من رحمة المتدقق
فلا تبلغاه ما أقول فانه * شجاع متى يذكر له الحرب يشتق

قوله فلا تبلغاه هذه من السماجات المعدودة لانه ينشده القصيدة
هو سماها عفا الله تعالى عنه

كسائله من يسأل الغيث قطرة * وعاذله من قال للفلك ارفق
لقد جدت حتى جدت في كل ملة * وحتى أتاك الحمد في كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى * فقام مقام المجتدي المتملق
وكنت اذا كاتبته قبل هذه * كتبت اليه في قذال الدمستق
وما كمد الحساد شيئاً قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق

﴿ والنمل حاضرة ان عادت العقرب
والعقوبة ممكنة أن أصر المذنب ﴾

السجعة الاولى حل بيت للفضل اللهبي من جملة أبيات وهو مثل يهديه من عوقب وهذا الفضل هو ابن العباس بن عتبة بن ابي لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وكان طويلا آدم اللون حكي ان الفرزدق مر به يوما وهو ينشد مفتخراً

ترجمة الفضل اللهبي

وأنا الاخضر من يعرفني * اخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

يعني بالخضرة آدم اللون والعرب تفتخر بأنها سمر وسود وقيل عنى بالاخضر البحر وانه في نفسه وكرمه كالبحر وعنى بالمساجلة المفاخرة واصل المساجلة ان يملأ الشخصان بدلوين من بئر فأيهما ملأ أكثر كان الغالب واستعمل في المفاخرة واصل المساجلة كما ذكر فلما سمع الفرزدق قوله تشمر وقال أنا أساجلك فقال

برسول الله وابن عمه * وبعباس بن عبد المطلب

فرجع الفرزدق وقال مايساجلك الا من عض بيظر أمه * وحكى ابو عبيدة ان عمر بن ابي ربيعة قال بينا انا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهبي فواقفني

وأنا أنشد

وأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

فقال يا اخا بني مخزوم ان بلدة تبحبح بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة ان لا تقشعر لهشام وان أشعر من هذا البيت قول الآخر

انما عبد مناف جوهر * زين الجوهر عبد المطلب

وأقبل علي وقال يا اخا بني مخزوم أن اشعر من صاحبك الذي يقول هذين البيتين

هاشم بحر اذا سما وطما * اخمد حر الحريق واصطلما

فاعلم وخير المقال اصدقه * بأن من رام هاشما هشما

فاسودت الدنيا في عيني ولم أحر جوابا وقد اطال ابو عبيدة الحكاية الى ان ظهر عليها التوليد * ومن جيد شعر الفضل بن العباس قوله

يابى ان تفتدي قوماً وزنتهم * وتخلسهم فان الدهر خلاس

عمرو وعبد مناف والذي عهدت * بطاح مكة آبى الضيم عباس

ليث هزبر مدل عند خيسته * بالرقمتين له اجر واعراس

يستشهد النحاة بقوله أجر على جمع جرو والاصل أجرو فحذفت الواو لوقوعها طرفا مضموما ما قبلها * وحكى عنه الجاحظ حكاية ظريفة قال شرب ليلة مع بعض ولد جعفر على سطح فلما سكر الجعفري رمى بنفسه الى اسفل وقال انا ابن الطيار في الجنة فتكسر وتهشم فتشبث الفضل بالحائط وقال انا ابن المقصوص في النار * واما البيت الذي ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان أمطل الناس فعامله الفضل وكان أشد الناس تقاضياً فلما حل المال قعد الفضل

على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته في المطل فلما اعياه ذلك قال يهجوه

قد تجرت عقرب في سوقنا * لا مرحباً بالعقرب التاجره
كل عدو كيده في استه * فغير مخشى ولا ضائره
ان عادت العقرب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضره

فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون أن اصر المذنب الاصرار العقد في الذنب واصله من صر الشئ

﴿ وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملوءها حبيبها حسن فيها من تود ﴾

يعني هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما وصفتك به من الفضائل أليس منظرك كما ترى من القبح والسماجة كما سيأتي ذكره وفي هذا اللفظ حل ثلاثة أبيات لثلاثة من الشعراء ولكل منهم أخبار وأشعار تشتمل على محاسن * فالاوّل قول الهاشمي ترجمة الهاشمي

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكنّ عين السخط تبدي المساويا

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان من فتيان بني هاشم واجوادهم وفصحائهم على انه كان يتهم بالزندقة في دينه لصحبة قوم عرفوا بذلك وأشهرهم رجل يقال له البقلي وانما سمي بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة واشتهر ذكره في آخر أيام بني أمية حكى المدائني ان عبد الله ابن معاوية قدم زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستمنحاً له فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن شيث بن ربعي فلما وقمت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقيل انما خرج في أيام يزيد بن الوليد ودعا

الناس الى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انما دعا الى نفسه ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه ولم يجتمع عليه جميع أهل المصر وقالوا له ما بقي فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحي الشرق ففعل ذلك وجمع جموعا من النواحي فخرج فغلب على مياه البصرة والكوفة وهمذان والريّ وقم وأصفهان وأقام بأصفهان وكان الذي أخذ له البيعة محارب بن موسى اليشكري فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون عليه فأخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما أحببتم وكرهتم وكتب الى الامصار يدعو الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرهما وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى بن علي ووجوه قريش من أمية وغيرهم فمن أراد عملا ولاه ومن أراد صلة وصله وأحسن اليه وكان سمح الكف كريم الاخلاق حكى ابن هرمة قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على بعض ببابه فرآني بعض خدمه فعرّفني ان عامتهم غرماء له أو باب ديون فقلت هذا شر لي ثم دخلت عليه فقلت لم أعلم والله بهذه الغرماء فقال لا عليك أنشدني فاستحييت فأبى الا أن أنشده فأنشدته أبياتاً حسنة منها

ترى الخير يجري في أسرّة وجهه * كما لألأت في السيف بهجة رونق

فأمر لي بما كان عنده من المال لبعض الغرماء والله لا يملك غيره ثم لم يزل عبد الله مقيما بنواحي فارس التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الجعدي فوجه اليه عامر بن ضباعة في جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب عبد الله أصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها وطمع في نصرته فأخذه ابو مسلم فحبسه عنده وجعل عليه

عيناً فرفع عنه انه يقول ليس في الارض أحق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم لهذا الرجل قبـل أن تراجعوه في شيء وتسألوه عنه والله ما رضيت الملائكة بهذا عن الله عز وجل حتى راجعته في أمر آدم عليـه السلام فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء حتى قال تعالى اني أعلم ما لا تعلمون فشدد عليه ابو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالته التي يقول فيها الى أبي مسلم من الاسير في يديه بغير خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ومولى صنائع وان الودائع مرعية والصنائع عارية فاطلب الخلاص والا اذكر القصاص فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت وفقك الله لما ينجيك وألهمك شكر ما خولك فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس في أيدينا فلو خرج وملك أمرنا لاهلكنا ثم أمضى تدبيره في قتله فدس اليه سماً فمات ووجه برأسه الى ابن مباره فحمله الى مروان * ومن شعره و يتعلق به حكاية حكاها ابراهيم الموصلي قال بينما أنا عند الرشيد وعنده ابن جامع وعمرو الغزال وغيرنا من الندماء والمغنين اذ قال صاحب الستارة لابن جامع تغن من شعر عبد الله بن معاوية ولم يكن ابن جامع يغني في شيء من شعره ولا يعرفه وكنت قد تقدمت فيه فارتج علي ابن جامع فلما رأيت ما حل به أندفعت فغنيت لعبد الله

يهيم بجمل وما ان يرى * لهُ من سبيل الى حمله
كأن لم يكن عاشق قبله * وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب أودى به * ومنهم من أشفى على قتله

فاذا يد رفعت الستارة ونظر اليّ وقال أحسنت والله أعدهُ فاعدته فجاء فراش ببدرة فوضعها تحت فخذي ثم قال أجملها لك ثم انقضى المجلس فلما كان المجلس الثاني قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغنَّ

من شعر ابن جعفر يعني عبد الله بن معاوية فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس فغنيت من شعر عبد الله

سلا ربة الخدر ما شأنها * ومن ايما شأننا يعجب

فلست باول من فاته * على اربه بعض ما يطلب

واصبح صدع الذي بيننا * كصدع الزجاجة لا يشعب

فأومى صاحب الستارة أن أمسك واشار بيده الى انه يبكي فأمسكت ثم قال تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحسد فقال لو كان في ابن جعفر خير لطار مع أبيه ولم يقبل على قول الشعر فسمعنا ضحك الرشيد ثم ارسل الي بدرة والى ابن جامع مثلها * واما الشعر الذي ذكر بسببه فانه كان صديقاً للحسين بن عبد الله بن العباس ثم وقع بينهما امر فتهاجرا فقال عبد الله

في اول بيت الحرم كالايخفى

ان حسينا كان شيئاً ملففا * فمحصه التكشيف حتى بدا ليا

وأنت اخي ما لم تكن لي حاجة * فان عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

واما البيت الثاني فهو قول المجنون

ترجمة مجنون ليلى

أهابك اجلالا وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها

وهو قيس بن الملوح بن مزاحم من بني عامر بن صعصعة شاعر غزل سكن البادية عمره وتوفي في آخر دولة بني امية وهو المعروف بمجنون ليلى ويقال انه لم يكن مجنوناً وانما الرواة وضعت ذلك عليه وحكى ابن داب قال قلت لرجل من بني عامر أتروى من شعر المجنون شيئاً فقال أو فرغنا من العقلاء حتى نروى للمجانين انهم لكثير فقلت انما اعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق فقال هيهات بنو عامر أغلظ أكباداً من ذلك انما يكون هذا في اليمانية الضعاف

حلومها النخلة رؤسها فأما نزار فلا وقال الاصمعيّ الصحيح أن الاشعار والوجد لقيس ولكنه لم يكن مجنوناً انما كانت فيه لوثة أحدثها العشق وكان قد عشق جارية من قومه تسمى ليلى بنت سعد وعلق كل منهما بصاحبه وهما حينئذ صبيان يرعيان مواشي اهلهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا و حجبت عنه وفي ذلك يقول

تعشقت ليلى وهي ذات ذؤابة * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا * الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

حكى ابن عمارة المرّي قال حضرت الى ارض بني عامر لالقى المجنون فدللت على مجلسه فلقيت اباهُ شيخاً كبيراً وحوله اخوة المجنون فسالته فقال انه كان والله عندي أبر من هؤلاء جميعاً وانه عشق امرأة من قومه ما كان يطمع مثلها في مثله فلما فشا امرهما كره ابوها ان يزوجه اياها بعد ما ظهر من امرهما فزوجها من غيره واول ما ظهر من حبه لها انه طرقنا اضياف ذات ليلة ولم يكن عندنا أدم فبعثته الى ابي ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما تشاء فقال طرقنا اضياف ولا أدم لنا فارسلني ابي اليك فقال يا ليلى اخرجي ذلك النحي فاملئي له اناءه من السمن فاخرجته ومعه قعب فجعلت تصبّ السمن فى الاناء وهما يتحدثان فألهاهما الحديث وهي تصبّ السمن وقد امتلأ القعب وقد سال واستنقعت ارجلهما من السمن ولا يشعران به فرآهما ابوها على تلك الحال فامره بالانصراف وحجبها عنه فلما زوجها زاد هيامه وكانا في بعض الاوقات يتحدثان ففطن بها زوجها فتدله وجنّ جنونه وهام مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد المياه ولا يجده من يطلبه الاّ قليلا فعجبت من أمره ويئست من لقائه وانصرفت * وحكى بعض بني عامر قال مررت بالمجنون وهو على تله

رمل قد خط باصابعه خطوطاً فدنوت منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضاً عنه فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط باصابعه فقلت احسن والله القائل

وانى لمفن دمع عيني بالبكا * حذار الذي قدكان او هو كائن

فلما سمعني بكى حتى ابتل الرمل الذي بين يديه ثم قال أنا والله أشعر منه حيث اقول

وأدنيتني حتى اذا ما ملكتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث لا لي حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم سنحت له ظباء فقام يعدو معها وعدت أطلبهُ أياماً الى أن وجدتهُ في واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فاتيت أهلهُ فأعلمتهم فاحتملوهُ ودفنوهُ ولم يبق فتاة من بنات الحيّ من بني جعدة وبني الحريش الا خرجت حاسرة ولم يرَ باكياً احد بمثل ذلك اليوم *

ومن محاسن ما روى من شعره

أبى القلب الاَّ حبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وينبت من اطرافها الورق الخضر

(وقوله)

فوالله ما أدرى علام صرمتني * ولا اي أمري فيك ءالليل أركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونهُ * أم اشرب ريقاً منكم ليس يشرب
ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا * ومن فوق رمسينا صفيح منصب
لظلّ صدى رمسي وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(وقوله)

أقول لاصحابي هي الشمس ضوءها * قريب ولكن في تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتي * ولا مثل جدّي في الشقاء لكم جد

وما فيَّ الاَّ العظم والجلد عارياً * ولا عظم لي ان دام هذا ولا جلد

(وقوله)

أردّد عنك النفس والنفس صبة * بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة ان تسعى الوشاة بظنة * وأكرمكم ان يستريب مريب
ولو أنّ ما بي بالحصا فلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهنّ هبوب
ولو انّي استغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب عليّ ذنوب

(وقوله)

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا * سوى ان يقولوا انّي لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة * اليّ وان لم تصف منك الخلائق
كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء سحاب آخر الليل غابق
وما ذقته الاَّ بعيني تفرساً * كما شيم في اعلى السحابة بارق

وأما الابيات التي ذكر من اجلها فهي قوله عفا الله تعالى عنه وسامحه

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة يوماً ان تمحى ذنوبها
وناديت يارباه أوّل سؤالي * لنفسي ليلى ثم انت حسيبها
فان أعص ليلى في حياتي لم يتب * الى الله عبد توبة لا أتوبها
أهابك اجلالاً وما بك قدرة * عليّ ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل انها * قليل ولكن قلّ منك نصيبها

ترجمة ابن أبي ربيعة

واما البيت الثالث فهو قول ابن ابي ربيعة

فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود

وهو عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي القرشيّ ويكنى ابا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره في الغزل ولا يمتدح أحداً ولذلك قال له سليمان بن عبد الملك لمَ لا تمدحنا فقال انما امدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها

الاّ في الشعر حتى كان ابن ابي ربيعة فاقرت لها في الشعر ايضاً ولم تنازعها شيئاً * ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقال أي حق رفع وأي باطل وضع يعنون كثرة معاشرته للنساء وتغزله بهنّ ومات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انهُ فتك اربعين ونسك اربعين ودخل عليه اخوهُ عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر أحسبك تجزع لما تظنهُ بي والله ما اعلم اني ارتكبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الاّ من ذلك * وحكى الجرميّ ان عمر بن أبي ربيعة كان مشهّراً بحبّ الثريا بنت عبد الله بن أمية الاصغر وكانت حريّة بذلك جمالاً وتماماً وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغد وكل غداة من مكة يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قبلهم فلقي يوماً بعضهم فسألهُ عن اخبارهم فقال ما استطرفنا خبر الا أني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحا عالياً على امرأة من قريش اسمها نجم في السماء فذهب عني اسمهُ فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبل ذلك انها عليلة فوجه فرسهُ الى نحو الطائف يركضهُ ملء فروجه ويسلك طريق كل أوعى واخشن الطرق واقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعتهُ وهي تتشوف له وتتشوق فوجدها سليمة ومعها أختها فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لاخبر ما عندك فلذلك يقول قصيدته

يشكي الكميت الجري اذ أجهدته * ويبين لو يسطيع أن يتكلما

وحكى انهـا واعدته يوماً فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحرث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول اعزبي فلست بالفاسق أخزاكما الله فلما علمت بالقضية انصرفت ورجع عمر فأخبره الحرث فاغتم لما فاته وقال له أما والله لا تمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال الحرث عليك وعليها لعنة

الله * وقال عمر ما أخجلني الا ليلى بنت عمر ولقيتها وهي تسير على بغلة لها وكنت أشبب بها فقلت لهـا جعلت فداك قفي واسمعي بعض ما قلت فيك فقالت أو فعلت فقلت نعم فوقفت فأنشدتها

ألا يا ليل ان شفاء نفسي * نوالك لو علمت فنوّلينا

وقد أزف الرحيل وحان منا * فراقك فانظري ما تأمرينا

فقالت آمرك بتقوى الله وايثار طاعته وترك ما أنت عليه ثم انصرفت* وحكي انه كان يوماً يساير عروة بن الزبير فقال عمر وأين زين المواكب يعني محمد بن عروة وكان يسمى بذلك لجماله فقـال عروة هو أمامك فركض يطلبه فقـال له عروة يا أبا الخطاب أو لسنا أكفاء لمحادثتك ومؤانستك فقـال بلى ولكني مغرى بهـذا الجمال أتبعه حيث كان ثم انشد يقول

اني امرؤ مغرم بالحسن اتبعه * لا حظ لي فيه الا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه وجعل عروة يضحك منه * وروى انه شبب بزينب بنت موسى الجمحي وكان ابن أبي عتيق ذكرها له فأطنب في وصفها فصنع فيها قصيدته التي يقول فيها

يا خليليّ من ملام دعاني * وألما الغداة بالاظعان

وبلغ ذلك ابن ابي عتيق فلامه في ذكرها فقال

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي * ان عندي عتيق ما قد كفاني

لا تلمني فأنت زينتها لي * فبـدره ابن ابي عتيق فقـال أنت مثل الشيطان للانسان فقال عمر هكذا والله قلته فقال ابن ابي عتيق أما علمت أن شيطانك ربمـا ألمّ بي فيجد عندي من عصيانه كما يجد عندك من طاعته * ومثل هذا ما حكي انه أنشد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قصيدته الدالية فلما قال تشط غداً دار جيراننا فبدره

ابن عباس فقال * وللدار بعد غد أبعد * قال هكذا والله قلت فقال ابن عباس انه لا يكون الا هكذا * وروى ان عبد الملك بن مروان جمع بينه وبين جميل وكثير عزة وقال لينشد كل واحد منكم بيتاً في الغزل فأيكم كان أغزل فله هذه الناقة وما عليها وكان قد أحضر ناقة موقورة دراهم فابتدر جميل في الاول وقال

ولو ان راقي الموت يرقى جنازتي * بمنطقها في الناطقين حييت

وقال كثير

وسعى اليَّ بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن أبي ربيعة

فليت الثريا في المنام ضجيعتي * لدى الجنة الخضراء او في جهنم

فقال عبد الملك خذها يا صاحب جهنم * ومن محاسن شعر عمر قوله في قصيدته الرائية

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر
أشارت بمدراها وقالت لتربها * أهذا المغيري الذي كان يذكر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلاً أما اذا الشمس عارضت * فيضحى واما بالعشي فيخصر
أخا سفر جوّاب أرض تقاذفت * به فلوات فهو أشعث أغبر
وليلة ذي دوران جشمني السرى * وقد يجشم الهول المحب المغرر
وبت رقيباً للرفاق على شفا * ولي مجلس لولا اللبانة أوعر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور
ونفضت عني النوم اقبلت مشية الـ * ـحباب وركني خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمخفوض التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني * وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

أريتك ان هنا عليك ألم تخف * رقيباً وحولي من عدوك حضر
فلما تقضى الليل الا أقله * وكادت توالي نجمه تتغور
أشارت لاختيها أعينا على فتى * أتى زائراً والامر للامر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر
يقوم فيمشي دوننا متنكراً * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت اتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
هنيئاً لبعل العامرية نشرها الـ * ـلذيذ ورياها الذي اتذكر

أطلت في ذكر هذه القصيدة لما رأيت فيها من اللفظ المطبوع والانسجام الذي لا يتهيأ لغيره من الشعراء ومن محاسن شعره قوله

أألحق ان دار الرباب تباعدت * أو انبت حبل الوصل قلبك طائر
أفق قد أفاق الواجدون وفارقوا * هوى واستمرت بالرجال المرائر
أمت حبها واجعل رجاء وصالها * وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وهبها كشيء لم يكن او كنازح * به الدار أو من غيبته المقابر

هذا البيت من احسن ما ذكره ارباب البديع وفيه نوع من انواع التقسيم وقوله ايضاً

بينما ينعتني أبصرنني * مثل قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغري وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

يقال انه رتب كلامهن على قدر عقولهن فالكبرى تجاهلت عن معرفته والوسطى أظهرت معرفته والصغرى اظهرت معرفته ووصفه وقوله معارضاً لقصيدة جميل

جرى ناصح بالود بيني وبينها * فقربني يوم الخضاب الى قتلي
فلما توافقنا عرفت الذي بها * كما عرفت بي حذوك النعل بالنعل

وسلمت فاستأنست خيفة ان يرى * عدوي مكاني او يرى كاشح فعلي
فقالت وأرخت جانب الستر انما * معي فتحدث غير ذي رقبة اهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقب * ولكنّ سري ليس يحمله مثلي

يقال ان هذا البيت احسن ما قيل في وصف السرّ وقوله ايضاً

ايها الرائح المجدّ ابتكارا * قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليماً * ففؤادي بالخيف اضحى معارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا * كل يومين حجة واعتمارا

روى ان سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططاً عظيماً وان الله لارحم بهم من ان يبلغه امنيته واما الشعر الذي ذكر من اجله فقوله في هند بنت الحرث بن عوف المرية

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد * وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لاتراب لها * ذات يوم وتعرّت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني * عمركنّ الله ام لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من اجلها * وقديماً كان في الناس الحسد

﴿ وكانت انما حلتك بحلاك ووسمتك بسياك ﴾

﴿ ولم تعرك شهادة ولا تكلفت لك زيادة ﴾

قوله (وكانت) عطف على وهبها (والحلى) الاوصاف التي يوصف بها الشخص كأنها مأخوذة من الحلى وهو الزينة (والسيا) العلامة ومنه قوله تعالى من الملائكة مسومين (والشهادة) العلم بالشيء والاقرار به

﴿ بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك ﴾

هذا مثل يضرب في الصدق وأصله أن رجلا ساوم رجلا في بعير فقال ماسنه فأخبره بأنه بكر ففر عنه أي رأي سنه واحد الاسنان فقال صدقني سن بكره روى سن بكره بفتح النون على انه مفعول وسن بضمها على انه فاعل وكلاهما صحيح المعنى

﴿ ووضعت الهناء مواضع النقب بما نسبته اليك ﴾

﴿ ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك ﴾

هذا مثل يضرب لمن يضع الامور في محلها وأصله أن الهانئ وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتتبع النقب التي في جسد البعير وهي مبادى الجرب وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدريد يقوله في الخنساء وهو دريد بن الصمة بن الحرث الجشمي من هوازن فارس معروف من فرسان الجاهلية وشعرائها مشهور بالرأي والظفر وأمه ريحانة بنت معد يكرب أخت عمرو وقتل في غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أسن وعجز عن الحرب وانما حمل مع القوم لرأيه وتدبيره وهي الواقعة التي أشار فيها برأى ولم يسمع منه فقال ياليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع وهزمت هوازن وقتل أكثرهم وقتله ربيعة بن رفيع السلمي في خبر يطول وقال لما ضربته بسيفه وقع متكشفاً فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل *حكي الاصمعي ان امه ريحانة قالت له بعد مقتل اخيه عبد الله بن الصمة يا بني ان كنت عجزت عن ثار اخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد فأرق لذلك وحلف لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثاره ثم وجد غرة من غطفان فغزاهم وقتل منهم قوماً ثم اسر ذواب بن اسماء

ترجمة دريد ابن الصمة

واتى به الى فناء امه فقتله فأخذت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها الى ان انقطع منه شيء وهي لا تعلم من الفرح ثم قال في ذلك

جزينا بني عبس جزاء موفرا * بمقتل عبد الله يوم الذنائب
قتلنا بعبد الله خير لداته * دواب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال الأصمعي كان عبد الملك بن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه ارباب البديع الاطراد لتوالى الاسماء منظومة * وحكى ابو عبيدة قال هجا دريد بن الصمه عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ وحياه وقال هل تعرفني يا دريد قال لا قال فلم هجوتني قال ومن أنت ولم يكن رآه قال أنا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرأ كريماً فأحببت أن أضع شعري موضعه فقال له عبد الله لئن كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان أعملتها * مسومة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقي امرأ * جواد الرضا وحليم الغضب
سبرت الانام فما ان أرى * شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن شعر دريد يرثي أخاه

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردي
فان يك عبد الله خلى مكانه * فما كان وقافا ولا طامن اليد
صبور على وقع النوائب حافظ * من اليوم أعقاب الاحاديث في غد
أعاذلتي كل امرئ وابن أمه * متاع كزاد الراكب المتزود

(وقوله)

أبا دافقة من الخيل ان طردت * واطرها الطعن في وعب وأجاف
يا فارسا ما أبوا أوفى اذا اشتغلت * كلتا اليدين كرورا غير وقاف

قوله اشتغلت كلتا اليدين يعني يمسك العنان بيد ويضربه

بالاخرى ثم قال

عبر الفوارس معروف بشكته * كاف اذا لم يكن من كربة كاف

يعني ان الفوارس ترى منه ما يبكي أعينهم ويستعبرها * وقوله في يزيد بن المدان حين سأله رد مال جاره

أمرتكمو تردوا مال جاري * وأسرى في كبولهم الثقال

فأنتم اهل عائدة وفضل * وأيد في مواهبكم طوال

متى ما تمنعوا شيئاً فليست * حبائل اخذه غير السؤال

وقوله ايضاً

ابى القتل الا آل صمة انهم * ابوا غيره والقدر يجري الى القدر

يغار علينا واترين فيشتفى * بنا ان اصبنا او نغير على وتر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا * فما ينقضي الا ونحن على شطر

وأما الشعر الذي ذكر بسببه فانه مرّ بالخنساء بنت عمرو بن الشريد وسيأتي ذكرها وهي تهنأ بعيراً لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ودريد يراها وهي لا تشعر به فأعجبته وانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي

ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم هانئ أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء موضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها فردته لكبر سنه فهجاها فقيل لها ألا تجيبنه فقالت ما كنت لاجمع عليه أن أرده وأهجوه

﴿ فالمعيدي تسمع به خير من ان تراه ﴾

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيراً من منظره واول من قاله

النعمان لشقة بن ضمرة في خبر طويل معناه أنه كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى أن أمنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى منظره فقال لأن تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال أبيت اللعن انّ الرجال ليسوا بجزر وانما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه * ومعيد اسم قبيلة وفيها يقول الشاعر

ترجمة النعمان ابن المنذر

ستعلم ماالتقى معيد ومعرض * والنعمان هذا هوابن المنذرين النعمان ابن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله أخبار وأقوال ومن أغرب ماذكر منها كلامه عند كسرى فى فضل العرب وذلك انه وفد على كسرى وعنده وفود الروم والهندوغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وأفاض النعمان فى ذكر العرب وفضلهم على الامم لايستثني فارس ولا غيرها فتمعر وجه كسرى وذكر كلاما ينتقص به العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان أصلح الله الملك أماأمتك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذى هى به من عقلهاوحلمها وبسط حكمها وما أكرمها الله تعالى به من ولاية آبائك وولايتك وأماالامم التي ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب فقال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسهاوسخائها وحسن وجوهها وحكم ألسنتها ووفائهاوأحسابها وأنسابها * فأما عزتها ومنعتها فانها لم تزل مجاورةللملوك الذين دوخوا البلاد وقادوا الجنود لم يطمع فيهم طامع حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرهم من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار * وأما سخاؤها فان أدنى رجل منهم يكون عنده البكرة أو الناب عليها بلاغه من حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفلذة ويجتزى بالشربة فيعقرها لهويرضي أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر *

وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المتحرقة والروم المقشرة والترك المشوّهة * وأما ألسنتها فان الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الامثال ومعرفتهم بالاشارة وابلاغهم في الصفات ما ليس في ألسنة الاجناس * وأما وفاؤها فان احدهم ليبلغه أن أحد الرجال استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو يصاب قبله لما أخفر من جواره وان أحدهم ليرفع عوداً من الارض فيكون رهناً لا يغلق ولا تخفر ذمته وكذلك تمسكها بشريعتها وهو ان لهم أشهراً حرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون منه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثاره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه* وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت أصولها وكثيراً من اولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمي آباءه أباً فأباً حاطوا بذلك أحسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا يدعى لغير أبيه* وأما قول الملك انهم يئدون أبناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج * واما قوله ان أفضل طعامهم لحوم الابل فما تركوا ما دونها الا احتقاراً فعمدوا الى أجلها قدراً واغلاها ثمناً فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم لحوماً وشحوماً * وأما تحاربهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا آنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها وانه انما يكون في بيت الملك واحد يعرفون فضله فيلقون امورهم اليه فأما العرب فان ذلك كثير منهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر وما أشبه ذلك فعجب كسرى من منطقه

وكساه من كسوته ورده الى الحيرة * ومن ظريف اخبار النعمان انه كان قد حمى ظهر الكوفة وشقائقها ومن هناك يقال شقائق النعمان فانفرد يوماً عن عسكره فاذا هو بشيخ يخصف نعلا فقال ما أنزلك ههنا قال طرد النعمان الرعاء فاخذوا يميناً وشمالا فانتهيت الى هذه الوهدة فنتجت الابل وولدت الغنم والنعمان معتم لا يعرف فقال أو ما تخاف من النعمان قال وما أخاف منه ولربما سرت يدي هذه بين عانة أمه وسرتها فلما سمع النعمان قوله سفر عن وجهه فاذا خرزات الملك تلمع فلما رآه الشيخ قال أبيت اللعن لا ترى انك ظفرت بشيء فقد علمت العرب انه ليس بينها شيخ أكذب مني فضحك النعمان وخلع عنه مع تجبره وعظمته * ومات النعمان بساباط المدائن طرحه كسرى تحت أرجل الفيلة تخبطته حتى مات وذلك بتحيل عدي بن زيد كاتبه وذلك أن كسرى أرسل يخطب ابنة النعمان لنفسه فقال النعمان للرسول أما كان في عين السواد ما يكفي الملك فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه فسأل عنه عديا فقال انه أنف من مصاهرة الملك وقال يكفيه بقر العراق فغضب واستدعى النعمان وقتله

﴿ هجين القذال أرعن السبال
طويل العنق والعلاوة مفرط الحمق والغباوة ﴾

الهجين من الناس من في نسبه هجنة أي قبح وكذلك المقرف وهو أن يكون أحد أبويه قد دخل في العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام وتقول العرب فلان هجين القذال أي يتبين لؤم نسبه في قذاله والقذال جماع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذي يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلا فكأن اللؤم يتبين من

قذاله وقيل لكثرة انهزامه في الحروب (والارعن) والراعن الأحمق مأخوذ اما من الرعن وهو الاسترخاء واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل المائل فكأن الاحمق مائل عن الصواب وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة ويوهمون أنهم يقولون راعنا من المراعاة أي احفظنا (والسبال) جمع سبلة وهي شعر الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المرأة تسمعنا عنك الاوصاف الجميلة فاذا نظرت واختبرت فأنت على هذه الأوصاف الذميمة (والعلاوة) الرأس ما دام على العنق يقال ضربت علاوته ويقال في الفراسة ان طول العنق والرأس من دلائل الحمق

﴿جافي الطبع سيء الجابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب﴾

(الجفا) النبوّ والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا (والطبع) السجية وهو نقش النفس بصورة ما وذلك اما من جهة الخلقة أو من حيث العادة مأخوذ من طبع الدرهم أي تصوّره بصورة ما (وسيء الجابة) يعني يسمع الشيء على غير حقيقته ويجيب كذلك اما من البله أو الطرش وهو مثل للعرب يقولون ساء سمعا أو أساء سمعا فأساء جابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد تزوج صفية بنت ابي

قوله جابة هو بمعنى الاجابة الموجودة في بعض النسخ وهي رواية أخرى في المثل كما في مجمع الامثال اه مصححه

جهل فولدت له أنس بن سهيل فخرج ذات يوم وهو معه فوجده الاخنس بن شريق فقال من هذا فقال ابني فقال الاخنس حياك الله يا فتى فقال لا والله ما أمي في البيت فقال أبوه أساء سمعا فأساء جابة ولسهيل هذا حكاية في الكرم عجيبة وذلك انه كان أسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى أن حضر اليرموك واستشهد فقيل انه لما صرع مر به رجل وهو بآخر رمق فقال اسقني فأتاه بشربة من ماء فنظر الى الحرث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب اليه بالشربة فلما تناولها رأى عكرمة في حاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها الى الحرث فوجده ميتاً فرجع بها الى سهيل فوجده ميتاً ومات الثلاثة قبل أن يذوقوها (والهيئة) الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة كانت أو معقولة وهي في المحسوسة أكثر (والسخف) رقة العقل وقد سخف سخافة فهو سخيف (والوسواس) الخطرات الرديئة من حديث النفس مأخوذ من وسواس الحلي وهو صوته الخفي ودخل الحسن بن سهل على المأمون وابراهيم ابن المهدي عنده فاقترح الحسن على ابراهيم أن يغنيه فغنى

تسمع للحلي وسواساً اذا انصرفت يعرض بوسواس كان في الحسن

(والمثالب) النقائص مأخوذ من ثلب الرمح اذا تثلم

﴿ كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة ﴾

(التمتمة والغمغمة) من معايب النطق المدودة قال الجاحظ التمتمة التردد في التاء والفأفأة التردد في الفاء والعقلة التواء اللسان عند

ارادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف في حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه بشيء اتصل وقيل المعجمة فيه واللثغة ان يعدل من حرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منهـا واللكنة أن يعترض الكلام حرف أعجمى والطمطمة أن يكون الكلام شبيهاً بالعجمى (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف قال أبو عبيدة كان رجـل من المشركين يحد حربته عند فتح مكة فقالت له امرأته ما تصنع قال أحد الحربة لقتل محمد وأصحابه فلما هزمت المشركون قال منشداً هذه الابيات

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فرّ صفوان وفر عكرمه
واذ علتنا بالسيوف المسلمه * ضرباً فما نسمع الا غمغمه

وقال معاوية يوماً من أفصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتنافروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من أولئك قال قومي قال من أنت قال أنا رجل من جرم قوله كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيناً قال بعضهم هل لك أن تنفعيني وانفعش وتدخلين اللذمعى في اللذمعش يعني وانفعك واللذمعك وكسكسة بكر أنهم يثبتون حركة كاف المؤنث ويزيدون عليها سيناً يقولون نفعكس واعطيتكس (والغمغمة) لقضاعة وقد ذكرت (والفهفهة) عي في المنطق (والقهقهة) صفة الضحك الشديد كأن الضاحك يقول قه قه وهي خصلة مذمومة في الانسان دالة على قلة العقل

(ومشيك هروله وغناك مسئله ودينك زندقه

وعلمك مخرقه)

(المرولة) ضرب من العدو وهو بين المشي والعدو وعدها هنا من المعايب لاقترانها بذكر المسئلة يعني انه سائل نهم سريع المشي للطلب والكدية * والزنادقة في الاصل الثنوية وذلك أن رزدشت المجوسي لما ظهر ببلاد المشرق ودعا الى عبادة النيران لما رأى في تلك الاماكن من البرد والثلج ورغبة أهلها في النار اتبعوه وكان صاحب حيل وسحر ويقال انه كان صحب شعيباً عليه السلام وكان يخبره بوقائع تقع ثم كفر ووضع كتاباً زعم انه أنزل عليه مكتوباً بماء الذهب فصعبت عليهم قراءته فوضع له شرحا سماه الزند ثم لما ظهر مزدك زاد في شرحه وفي اسم الكتاب فقال زندين فلما جاءت العرب قالت زنديق ويسمى من مال الى هذا المذهب أو ما قاربه من الخروج عن الشريعة زنديقاً واكثرهم في الاسلام نوع من الجهمية أصل اعتقادهم انه ليس ينبغي لاحد ان يثبت لنفسه رباً لانه لا يمكنه الاثبات الا بالعين او الادراك بالحواس وقالوا ما لا يدرك ليس باله لانه مجهول وما لا يدرك فلا ينبغي أن يثبت وسلكوا على هذه الطريقة وأباحوا اتيان المحرمات وترك العبادات لانكارهم البعث وجحودهم الشريعة وسبيلهم مذهب مزدك في اباحة النساء وأن الناس كلهم سواء فيهن ولذلك قيل للمنهمك في لذاته واللعب والبطالة يا زنديق أو قيل له أظرف من زنديق وسئل بعضهم عن الافضى فقال وباء يقع في البقورة والاغنام وقتل منهم المهدي خلقا كثيراً وذلك انه رأى في المنام كأن الكعبة قد مالت فدعمها هو وشخص حتى قامت فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذي رآه في المنام فأتى بزنديق يقال له حمدون على الصفة فاستتابه فتاب فأمره

يتتبع الزنادقة فانه كان يعرف علامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسة فيهم حتى انه مرّ بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول فى أذانه أشهد أن محمدًا رسول الله بفتح اللام فوقع في ظنه أنه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض عليه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ويبرز لأكثرهم خرقة مصورا فيها صورة ماني وهي صورة سمجة غليظة المشافر فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ويختار القتل دون ذلك فيقتل وكان أكثرهم ثنوية (والمخرقة) نوع من التوصل الى حيل باظهار الخرق الذي هو ضد الرفق والتدبر ومنه يقال المخراق وهو شيء يلعب به كانه يخرق لاظهار الشيء بخلافه

(مساو لو قسمن على الغواني * لما أمهرن الاّ بالطلاق)

هذا البيت لابي تمام الطائي من ابيات يهجو بها الاعمش وهي هذه

دع ابن الاعمش المسكين يبكي * لداء ظلّ منه في وثاق
لبئس الداء والداء استكفا * عليه من السماجة والحلاق
كحلت بقبح صورته فأضحى * لها انسان عيني في السياق
مساو لو قسمن على الغواني * لما أمهرن الاّ بالطلاق

يعني ان صفاته لو تقسمت على الغواني وهن النساء اللواتي غنين بأزواجهن لم يعطهن الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوي والقبائح

﴿ حتى أن باقلاً موصوف بالبلاغة اذا قرن بك ﴾

يعني باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادي الذي يضرب به المثل في العي فيقال ترجمة باقل أعيي من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبياً باحد عشر بن عمرو

درهما فلقيه شخص وهو معه فقال بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى احد عشر فهرب الظبي من كفه وضربوا به المثل في العي قال حميد الارقط يهجو ضيفاً له

أتانا وما داناه سحبان وائل * بياناً وعلما بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العي لما أن تكلم باقل

سحبان رجل من بني وائل يضرب به المثل في البلاغة واللقم بالفتح ثم السكون سدّ الفم باللقم وقال أبو العلاء المعري في لاميته

اذا وصف الطائي بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصا والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة * ويانفس جدّى ان دهرك هازل

الطائي هو حاتم المشهور بالكرم ومادر اسم رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل في البخل لانه سقى ابله من حوض فبقي في أسفله قليل ماء فسلح فيه ومدر به اي لطخه في جوانب الحوض بخلا أن يسقى غيره فصار مثلا يضرب قال الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر * بني عامر طرا بسلحة مادر

وقس بن ساعدة الايادي أسقف نجران وكان أحد حكماء العرب وخطبائهم يضرب به المثل في الفصاحة والفهاهة العي يقال رجل فه وامرأة فهة قال بعضهم

ولم تلفني فها ولم تلف حجتي * ملجلجة أبغي لها من يقيمها

والسها كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به ابصارهم وفي المثل أريها السها وتريني القمر وقد ضمن هذا المثل الشيخ شمس

الدين النواجي صاحب حلبة الكميت حيث قال

مرضت فعادت وأبدت سنى * محيا يروق لعيني النظر
وبت ولي جسـد ناحل * أريها السها وتريني القمر

وضمنت أنا عجز بيت المعري فقلت

وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

(والبلاغة) بلوغ الدرجة العـالية في النطق والمعنى في قوله ان باقلا بالنسبة اليك يكون بليغا

﴿ وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك ﴾

ترجمة هبنقة

يعني يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة الملقب هبنقة والمكنى بأبي الودعات لانه نظم ودعا لنفسه في سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع قيل ان اخاه راقبه الى أن نام فأخذ القـلد من عنقه وجعله في عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورأى اخاه قال له أنت أنا فانا ترى من هو أنا ولهذا يضرب به المثل في الحمق وهو جاهلي * ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل يختار المراعي للسمان وينحي المهازيل وقال لا أصلح ما أفسد الله * ومنها انه اختصم اليه بنو راسب وبنو طفاوة في شخص يدّعونه فقال هبنقة ارموه في البحر فان رسب فهو من بني راسب وان طفا فهو من بني طفاوة * ومنها انه رأى مع الناس جرادا قد اقبل فقال لا يهولنكم ما ترون فان اكثرها موتى * واشترى اخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فأعجبه عدوها فالتفت الى اخيه وقال زدهم عنزا أخرى فضرب به المثل للمعطي بعد امضاء البيع ثم سار بها فرأى أرنبا تحت شجرة ففزع منها وركض البقرة وقال

الله نجـاني ونجى البقـرة * من جاحظ العينين تحت الشجرة

وروى ان مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس مازحا وهو يفتخر بالربيعية على المضرية لاحمق بكر بن وائل أشهر من سيد بني تميم يعنى بالاحمق هبنقة القيسي فقال الاحنف لتيس بني تميم أشهر من سيد بكر بن وائل يعنى تيس بني حمان الذي يقال فيه أغلم من تيس بني حمان يزعمون انه نزا على عنز بعد ان فريت اوداجه

ترجمة طويس

﴿ وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك ﴾

هو عيسى بن عبد الله مولى بني مخزوم وكنيته أبو عبد النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ويضرب به المثل في الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات ابو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وكانت امه تمشي بالنميمة بين نساء الانصار * وله اخبار تدل على مكره وفطنته قال كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له في عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جودي أسال كل شيء فقال عبد الله هل لكم في العقيق وهو متنزه اهل المدينة في الربيع والمطر فركبوا ثم اتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة ان تبل ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه ويحدثنا ويضحكنا قال وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه ولم يروه فقال عبد الرحمن بن حسان جعلت فداك وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله لا تقل ذاك فانه خفيف لنا فيه أنس فلما استوفى طويس الكلام تعجل الى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءك سيد الناس عبد الله بن جعفر فما

عندك قالت نذبح هذه العناق وكانت قد ربتها باللبن وأختبز رقاقا فبادر يذبحها وعجنت هي وخرج وتلقاه مقبلا اليه فقال له طويس بأبي أنت وأمي هذا المطر هل لك في المنزل فتسكن به الى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض يا سيدي على بركة الله وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا الى أن أدرك الطعام فاستأذنه عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل القوم وأعجبه طعامه ثم قال بأبي أنت وأمي أما أغنيك قال بلى فأخذ الدف وغنى

يا خليلي نابني سهدي * لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل * أنس تلتذه كبدي

فطرب القوم وقالوا والله أحسنت فقال ياسيدي أتدرى لمن هذا الشعر قال لا قال هذا لفارعة بنت حسان وهى تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومى وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو شقت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن * ولطويس شعر ركيك لافائدة في ذكره (واليمن) البركة وأيامن الطير ما كانت العرب تتفاءل به للمسافر اذا أولاه الطير يمينه وهو خلاف الاشائم وفي الحديث اللهم لاطير الا طيرك

﴿ فوجودك عدم والاغتباط بك ندم
والخيبة منك ظفر والجنة معك سقر ﴾

قوله (وجودك عدم) هو مأخوذ من قول المتنبي

يامن يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم

(والغبطة) حسن الحال وفي الحديث اللهم غبطا لاهبطا أي نسألك

الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا (والاغتباط) تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها (والخيبة) فوت المطلوب (والظفر) الفوز به مأخوذ من ظفر أي لشب ظفره فيه (والجنة) كل بستان ستر الارض بشجره مأخوذ من جنّ الشيء اذا ستره قال الراغب وسميت الجنة جنة امّا تشبيها بما يرى في الارض وان كان بينهما بون وامّا لستر النعم المشار اليها بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (وسقر) اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضي التلويح قال الله تعالى وما أدراك ما سقر أي ان ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سقر الشمس المعلوم بينكم

﴿ كيف رأيت اؤمك لكرمي كفاء وضعتك لشرفي وفاء ﴾

(اللؤم) الدناءة في الاصل والاخلاق (والكرم) ضدّه (والاكفاء) الانظار ويستعمل في المناكحة والمحاربة (والضعة) مقابلة الرفعة مأخوذ من وضعت الشيء اذا حططته (والشرف) علوّ المقدار وهو مأخوذ من شرف المكان وهو أعلاه والمعنى كيف تكون كفؤا لي على شرفي وضعتك

﴿ وأنى جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى أشكالها
والطير انما تقع على آلافها ﴾

يعني كيف جهلت أني انما أميل الي شكلي والفي ولست من أشكالي وآلافي والكلمة الاولى منظومة في قول المتنبي والكلمة الثانية منظومة في قول بعض العرب (وعلى آلافها الطير تقع) قال الاصمعي كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غربانا تقع البقع منها مع البقع والسود مع

السود الى أن رأيت غرابا أعرج قد سقط فجاءه آخر مهيض الجناح فسقط عنده فعلمت أن المثل ما ضاع

﴿ وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان

وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان

وقلت الخبيث والطيب لا يستويان ﴾

(شعرت) أي علمت علماً دقيقاً مأخوذ من دقة الشعر ويلمح من السجعة الاولى قول علي كرم الله وجهه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما ازددت من احداهما قرباً ازددت من الاخرى بعداً ومن السجعة الثانية قول النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أطيب من عمله والكافر أخبث من عمله ويدل على ذلك لفظ القرآن العظيم في السجعة الثالثة فتأمله

﴿ وتمثلت ايها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان ﴾

هذا البيت لعمر بن ابي ربيعة المخزومي يقوله في الثريا بنت عبد الله وقد تقدم ذكرها وسبب قوله أن سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر

قوله بنت عبد الله في بعض النسخ بنت علي فليراجع اهمن هامش الاصل

ايها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعني سألت الله عمرك اي يعمرك والعمر والعمر واحد وانما خص العمر بالقسم واصل العمر من العمارة وهو عمارة البدن بالحياة

﴿ وذكرت اني علق لا يباع ممن زاد وطائر لا يصيده من أراد
وغرض لا يصيبه الاّ من أجاد ﴾

(ذكرت) عطف على قوله وهلا علمت (والعلق) الشيء النفيس الذي يتعلق به صاحبه فلا يبرح عنه واللفظ مأخوذ من شعر حريث بن قحطان التميمي كانت له فرس يسميها سكاب فاراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق * نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا * تجاع لها العيال ولا تجاع
سليلة سابقين تناخلاها * اذا انتسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها * فدون منالها أمد شناع

(والغرض) الهدف المقصود بالرمي ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الانسان ادراكها

﴿ ما أحسبك الا كنت قد تهيأت للتهنية وترشحت للترفية ﴾

يعني طمعت بحصول القصد فانتظرت الهناء به (والترشيح) الاستعداد للشيء مأخوذ من ترشح الفصيل اذا قوي على المشي (والترفية) والرفاهية التنعم والتوسع في العيش

﴿ لولا أن جرح العجماء جبار للقيت من
الكواعب ما لاقى يسار ﴾

(جرح العجماء جبار) لفظ الحديث والعجماء البهيمة سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم المهدر والمعنى عدم القصاص في جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (والكواعب) جمع كاعب وهي الجارية التي تكعب ثدياها تشبيهاً بالكعب (ويسار) اسم عبد

وهذا مثل معروف وسببه ان يساراً هذا كان عبداً أسود دميا يقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فكان يظن انهن يضحكن من عجبهن به حتي نظرت اليه امرأة مولاه فضحكت فظن انها خضعت له فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الابل قد والله عشقتني مولاتي فلأزورنها الليلة ولم يكن يفارق الابل فقال له صاحبه يايسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فقال له ياصاحب أنا يسار الكواعب والله مارأتني حرة الاعشقتني فلما أمسى قال لصاحبه احفظ عليّ الابل حتي أنصرف وأعود اليك فنهاه فلم ينته حتي دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها فقالت له مكانك فان للحرائر طيباً أشمك اياه فقال هاتيه فأتته بطيب وموسى حذمة أى قاطعة فأشمته الطيب ثم ألحت بالموسى على أنفه فقطعته وقيل وضعت تحته بخوراً وقطعت مذا كيره فصاح فقالت صبراً على مجامر الكرام ثم خرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل وأيضاً مما قيل ان اسم المرأة منشم وانها التي ضرب بها المثل بقولهم عطر منشم وهذا على أحد الاقوال في ذلك مما رويناه

﴿فما الابعض مابه هممت ولا تعرض الا لا يسر ماله تعرضت﴾

يعني ما طلب يسار من مولاته وتعرض له الادون ما تعرضت اليه مني لاني أشرف من تلك وأنت أقل من ذاك (وهممت) بالشيء اذا جعلت طلبه هم نفسك (وتعرضت) للشيء اذا وقفت عرضاً في طريقه

﴿أين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار﴾

أما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وتنكح في أكفائها الحبطات

(ثاب اليك)أي رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق بقوله لرجل من بني الحرث بن عمرو خطب الى بنى دارم(ودارم)هومالك ابن حنظلة التميمى وهو أبو مجاشع وبيته أكبر بيوت بنى تميم (وآل مسمع) بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهو من بنى قيس بن ثعلبة (والحبطات) بنو الحرث بن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بنى دارم (وانما نقص قدر الحبطات عنهم لقول الشاعر فيهم

وجدنا النيب من شر المطايا * كما الحبطات شر بني تميم

فلزمهم هذا القول وقيل انما سمى الحرث حبطا لانه كان في سفر فأكل أكلا فانتفخ بطنه فمات فسمي حبطا وعيروا بذلك والحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتي تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها مافيها وذلك معني قول النبي صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع مايقتل حبطاً أو يلم ومعني قول الفرزدق أن بنى دارم لاينبغي أن يخطب اليهم الا بنو مسمع لانهم أكفاؤهم في الشرف فأما الحبطات فلا وذكر المبرد أن الرجل الخاطب أجاب الفرزدق فقال

أما كان عباد كفيئاً لدارم * بلى ولا بيات بها الحجرات

عباد أحد آباء بني الحرث وقوله ابيات بها الحجرات يعنى بني هاشم لقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات * والفرزدق هذا هو همام بن غالب بن صعصعة التميميّ الدارمى الشاعر المشهور صاحب جرير ولقب الفرزدق لجهامة وجهه لان الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وكنيته أبو فراس وذكره الشريف المرتضى فقال كان الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا شريف الآباء كريم

ترجمة الفرزدق

البيت وكان شيعيا مائلا لبني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في خلال ذلك مسامحاً حدث ابن عمران قال جاء الفرزدق فذاكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان أوثقنا بالله تعالى فقال له رجل ألك هذا الرجاء وهذا المذهب وأنت تفعل ماتفعل فقال أتروني لو أذنبت الى والدىّ أكانا تقذفاني في تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك فقال أنا والله برحمة الله أوثق مني برحمتهما وقيل انه كان يخرج من منزله فيرى بنى تميم وفي حجورهم المصاحف فيفرح بذلك ويقول ايه فداكم أبى وأمى هكذا والله كان آباؤكم *واستدل الشريف على تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك ان هشاما حج في خلافة أبيه فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن لازدحام الناس فجلس ينتظر خلوة فاقبل على ابن الحسين رضي الله تعالى عنهما وعليه ازار ورداء وهو من أحسن الناس وجهاً وبين عينيه سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضر الكنى أنا اعرفه فقيل له من هو فانشد يقول

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي التقي الطاهر العلم

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان وفي ذلك يقول

أيحبسني بين المدينة والتي * اليها رقاب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد * وعيناً له حولاء بادعيوبها

وبعض الرواة يروى الابيات الميمية لابي الطمحان القيني والذي يرويها للفرزدق يستدل لها بحبسه وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق بالبادية سنة ١١٠ ومن أخباره المستظرفة دخل يوماً على بلال بن ابى بردة وهو أمير على البصرة وعنده أصحابه فنقصوا بنى تميم ورفعوا اليمن فقال الفرزدق لو لم يكن لليمن الا أبو موسى وما تولاه من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما أردت منها فقال حجامته اياه فقال صدقت قد فعل ذلك وما فعله باحد قبله ولا بعده فقال الفرزدق الشيخ كان أتقى لله من أن يقدم على نبيه بغير حذق فيجرب عليه فامسك بلال وعجب الناس من حذقه في هذا التعريض*ونظر يوما الى ابن هبيرة وعليه ثياب تتقعقع فقال ان ثيابه لتسبح أراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثيابا لزينة * تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجا الازد فلما قدم يزيد بن المهلب البصرة قال لابى الجمد وكان صديقاً للفرزدق ابعث الى الفرزدق فقال له يوماً ماذا يعوقك عن يزيد أعظم الناس عفوا وأسخاهم كفا فقال صدقت ولكنى أخشى ان آتيه فاجد العمانية ببابه فيقوم الي رجل منهم فيقول هذا الذي هجانا فيضرب عنقي فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى اهل بيتي بديتي فاذا يزيد قد صار أو فى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك لا والله لا أفعل فقال يزيد أما اذ فطن لها فدعه الى لعنة الله وقيل ان هذا كان مراده وسمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا

أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الفرزدق فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم لا ينبغي ان يكون هكذا قيل انما قال والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم اخذ نفسه بحفظ القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت

وجلا السيول على الطلول كأنها * زبر يجد متونها أقلامها

فسجد فقيل له ماهذا فقال موضع سجدة في الشعر أعرفه كما تعرفون مواضع السجود في القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته البائية فلما قال

بها برص بأسفل اسكتيها * وضع يده على عنفقته وأنشد

كعنفقة الفرزدق حين شابا * فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطاننا في الشعر واحد ومر يوما بقوم فدعوه للنزول فقال لماذا قالوا لنبيذ وجدي حنيذ وغناء لذيذ فقال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة يعني جريرا ثم نزل * واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فأمر غلامه أن يجعل في القعب خمرا ويحلب عليه لبنا ويسقيه فلما كرع جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب وقال بأبي أنت انك ممن تخفي الصدقات وتؤتيها الفقراء * وقال ما أخجلني أحد الانبطي من أهل تيرى قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم قال ان هجوتني تموت زوجتي عيشونة قلت لا قال فتموت حمارتي قلت لا قال فمن رجلي الي عنقي في رحم أمك قلت ويلك فلم تركت رأسك قال حتى أنظر ما تصنع وكان الفرزدق يقول لقد استراح النبطي من حيث تعب الكرام ومن محاسن شعره قوله

تصرم مني ود بكر بن وائل * وما خلت دهري ودها يتصرم

قوارص تأتيني ويحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(وقوله)

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول
بيت زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أين الذين بهم تسامى دارم * أمن الى سافى طهية تجعل
أحلامنا تزن الجبال رزانة * وتخالنا جنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان أردت بناءنا * ثهلان ذا الهضبات لا يتحلحل
اني ارتفعت عليك كل ثنية * وسموت فوق بني كليب من عل

(وقوله)

ومستنبح طاوى المصير كأنما * يساوره من شدة الجوع أولق
دعوت بحمراء الفروع كأنها * ذرى راية في جانب الجو تخفق
واني سفيه النار للمبتغي القرى * واني حليم الكلب للضيف يطرق
اذا مت فابكيني بما أنا اهله * فكل جميل قلت فيّ يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى * وقائلة مات الندى والفرزدق

كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب
وقوله يرثي ابنيه

بذكرني ابنيّ السما كان موهنا * اذا ارتفعا فوق النجوم التوائم
وقد رزئ الاقوام قبلي بنيهم * واخوتهم فاقنى حياء الكرائم
ومات ابي والمنذران كلاهما * وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم
وما ابناك الامن بنى الناس فاعلم * فلم يرجع الموتى حنين المآتم

وقوله في القافية التي اولها

عرفت باعشاش وما كدت تعرف * وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
اذا اغبر آفاق السماء وكشفت * بيوتا وراء الحي نكباء حرجف

وأصبح مبيض الصقيع كأنه * على سروات النيب قطن مندّف

هذا البيت يروى بالنيب والبيت والنبت وأفصح ذلك كله النيب

ترى جارنا فينا بخير وان جنى * فلا هو مما ينطف الجار ينطف

وكنا اذا نامت كليب عن القرى * الى الضيف نمشي بالعبيط وللحف

ومنها ايضاً وهو أحسن ما قيل في الفخر ويقال انه غصبه من جميل

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أو مأنا الى الناس وقفوا

وانك اذ تسمى لتدرك شأونا * لأنت المعنى يا جرير المكلف

(وقوله)

لا خير في الحب لا ترجى نوافله * فاستمطروا من قريش كل منخدع

تخال فيه اذا خادعته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقوله يرثى جارية له حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم ابعث عليه البواكيا

وفي بطنه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

أرباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح الكناية عن الولد ويقولون انها ان كانت سوداء فانه أبدع في التشبيه وقوله

وتقول كيف تميل ميلك في الصبا * وعليك من سمة الحليم وقار

والشيب ينهض في الشباب كأنه * صبح يصيح بجانبيه نهار

قوله يصيح يعني يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كأنه ينادي على نفسه بالظهور

﴿ وهلا عشيت ولم تغتروما أشك انك تكون وافد البراجم ﴾

في النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ ولا يصح به المعنى يقال

عسيت أن أفعل فلا يصح أن يقول قاربت ان تغترّ والكلام يقتضي أنه قد اغتر وانما هي عشيت أي رفقت وعشيت الابل وعشيتها اذا أطعمتها عشياً وفي المثل عش ولا تغترّ * وأما وافد البراجم فهو رجل من تميم والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم وذلك أن الملك عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بني تميم لثار له عندهم وقد كان آلى أن يحرق منهم مائة فبينا هو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عماراً قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك اتخذ طعاماً فعدل اليه فقيل له ممن أنت قال من البراجم فألقي في النار وقيل ان الشقي وافد البراجم ومن هنالك عيرت بنو تميم بحب الطعام وستأتي قصة عمرو ابن هند في أصل تسميته محرقا وما السبب في ذلك

قصة وافد البراجم

﴿ أو ترجع بصحيفة المتلمس ﴾

(صحيفة المتلمس) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع * والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بني صعصعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة فنزلا منه في خاصته حتى نادماه فبينما طرفة يوماً يشرب معه وفي يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو فرآها طرفة وقيل انما رآها في الاناء فقال ألا بأبي الظبي الذي تبرق شفاه ولولا الملك القاعد ألثمني فاه فسمعها عمرو فأضغنها عليه وأمسكها في نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجاه فرمى عمرو حماراً وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل اليه فعالجه فأعياه فقال عمرو قد عرفك طرفة حيث يقول فيك

ترجمة المتلمس

ولا خير فيه غير أن له غنى * وان له كشحاً اذا قام أهضما

فقال له عبد عمرو وما هجاك به أشد قال وما هو قل قوله

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور

فهمّ بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وأن يجتمع عليه بكر ابن وائل متى قتلهما ظاهراً فقال لهما يوماً أظنكما قد اشتقتما الى الاهل قالا نعم فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين وقال اني كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين فخرجا من عنده والكتابان في أيديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفاً يقضي حاجته وهو مع ذلك يأكل ويتفلى فقال أحدهما لصاحبه هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقاله فقال ما ترى من عجبي أخرج خبيثاً وأدخل طيباً وأقتل عدوًّا وان أعجب مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال له نعم ففض كتابه فقرأه فاذا فيه اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حياً فأقبل على طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترئ على قومي بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون أعز منه فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وقال

رميت بها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

أطرفة بن العبد انك حائن * أبساحة الملك الهمام تمرس

ألق الصحيفة لا أبالك انه * يخشى عليك من الحباء النقرس

ثم مضى طرفة بكتابه الى صاحب البحرين فقتله فلما سمع المتلمس

ما جرى عليه قال

عصاني فما لاقى رشاداً وانما * تبين من أمر الغوي عواقبه
فاصبح محمولا على آلة الردى * تجج تجيع الجوف منه ترائبه
فان لا تجللها يعالوك فوقها * وكيف التوقي ظهر ما أنت راكبه

ثم لحق بالشام وهجا عمراً وبلغه ان عمراً يقول حرام عليه حب العراق أن يطعمهم منه حبة ولئن وجدته لاقتلنه فقال

آليت حب العراق الدهر أطعمه
والحب يأكله في القرية السوس
أغنيت شاتي فأغنوا اليوم تيسكم
واستحمقوا في مراس الحرب أو كيسوا

قال أبو حاتم قرأت هذه الابيات على الاصمعي فتصحفت علىّ فقلت أغنيت شاتي فاغنوا اليوم شاتكم فقال الاصمعي قل فأغنوا اليوم تيسكم * ومن جيد شعر المتلمس قوله من قصيدة

ألم تر أن المرء رهن منية * صريع لعافي الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة * وموتا بها حراً وجلدك أملس

وقوله يصف البخل ويمدحه

لحفظ المال خير من بغاه * وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقوله

الى كل قوم سلم يرتقى به * وليس الينا في السلاليم مطلع
ويهرب منا كل وخش ويتّمي * الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع

وقوله وهو أحسن ماورد في المستنبحات

ومستنبح تستكشف الريح ثوبه * ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه * لينبح كلب أو ليوقظ نوم
فجاؤا به مستقسم الصوت للندى * له عند اتيان المهيبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

﴿ أو أفعل بك ما فعله عقيل بن علفة بالجهني اذ جاءه خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل ﴾

ترجمة عقيل بن علفة

هو عقيل بن علفة بن الحرث اليربوعي يكنى أبا العملس وأمه عمرة بنت الحرث بن عوف المري وأمها بنت بدر بن حصن بن حذيفة شاعر من شعراء الدولة الاموية وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف في قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى أن له كفؤا وكانت قريش ترغب في مصاهرته وتزوج اليه من خلفائها وأشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فأطرق ساعة ثم قال ان كان ولابد فجنبني هجناءك فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه على ضائقته وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد ابن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو أمير المدينة فقال له عثمان زوجني بعض بناتك فقال أبكرة من ابلي تعني فقال له عثمان أمجنون أنت قال أي شيء قلت لي قال قلت لك زوجني ابنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلي فنعم فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

لحى الله دهراً دعدع المال كله * وسود أبناء الاماء الفوارك

وكان له جار جهني فخطب اليه ابنته فغضب عقيل وأخذ الجهني فكتفه ودهن استه بشحم أو بزيت وأدناه من قرية النمل فأكل

خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال أيخطب الىّ عبدالملك بن مروان وأرده وتجترئ أنت عليّ أن تخطب اليّ * ومما حكي عنه انه خرج هو وابناه جثامة وعملس واختهما المسماة بالجوزاء حتى أتوا ابنة له ناكحاً في بني مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وطالما * على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال أجزيا جثامة فقال

وأصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال أجزيا عملس فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة * تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال ياجوزاء أجيزي فقالت

كأن الكري أسقاهم صرخدية * تدب دبيباً في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ثم شد عليها بالسيف ليقتلها فقال أخوها ماذنبها اتما أجازت شعرا فشد عليه فخدشه أحدهم بسهم فوقع يتمك في دمه ويقول

ان بني ضرجوني بالدم * من يلق أبطال الرجال يكلم

شنشنة أعرفها من أخزم

الشنشنة السجية وأخزم فحل منجب لرجل من العرب وقيل أخزم جد حاتم الطائيّ ثم توجه ولده الى الطريق فلما مروا ببني القين قالوا الهم هل لكم في جزور انكسر قالوا نعم قالوا الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى عقيل فاحتملوه وعالجوه الى أن برئ ولحق بهم وقد روى الحكاية على غير هذا الوجه وان المخدوش بعض ولده والذى عليه أكثر الرواة هذه * وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

عاتب رجلا من قريش أمه أخت عقيل بن علفة فقال له قبحك الله لقد أشبهت خالك في الجفاء فبلغت عقيلا فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له أما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به الا خؤلتي قبح الله شركما خالا فقال عمر انك لاعرابي جاف أما لو كنت تقدمت اليك لادبتك والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً قال بلى اني لاقرأ ثم قرأ انا بعثنا نوحا فقال له عمر ألم أقل انك لم تقرأ فقال ألم أقرأ فقال ان الله تعالى قال انا أرسلنا نوحا فقال عقيل

خذوا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون منه * وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل يضرب برجليه فضحكوا منه فقال ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل عنده وكان أميراً على المدينة انهم يضحكون من خفيك وضربك برجليك وجفائك فقال لا ولكنهم يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفي * وحكى أن يحيى بن الحكم حين خطب ابنة عقيل بعث اليها جارية من عنده لتنظر اليها فغمزت الجارية عضدها فرفعت يدها فدقت انف الجارية فرجعت الى يحيى وقالت بعثني الى أعرابية مجنونة فصنعت بي ما ترى فلما اتصلت بيحيى قال لها مالك مع الخادم فقالت أردت أن يكون نظرك الي قبل كل ناظر فان كان حسناً كنت أول من رآه وان كان قبيحاً كنت أولى من واراه وبهاتين السجعتين يستشهد في التجنيس لقولها أول وأولى ورآه وواراه ومن جيد شعر عقيل يرثي ولده علفة بقول

لعمري لقد جاءت قوافل أخبرت * بأمر من الدنيا علي ثقيل

لتسع المنايا حيث شاءت فانها * محالة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالي بعده بمسيل
كأن المنايا تنتقي من خيارنا * لهاترة أو تهتدي بدليل

قوله اما الخ فيه الخرم كما لا يخفى

وقوله أيضاً يحرّض قومه وذلك بسبب جار لهم

اما هلكت فلم آتكم * فأبلغ أماثل سهم رسولا
أذل الحياة وذل الممات * وكلا أراه وخيماً وبيلا
فان لم يكن غير احداهما * فسيروا الى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة * كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز في نسبه فامتنع

لعمري لئن زوجت من أجل ماله * هجيناً لقد حبت الي الدراهم
أبى لي أن أرضى الدنية انني * أمد عناناً لم تخنه الشكائم

الكلام على ابنة الخس

﴿ومتى كثر تلاقينا واتصل توافينا فيدعوني اليك ما دعا ابنة الخس الى عبدها من طول السواد وقرب الوساد﴾

(ابنة الخس) هذه هي هند بنت الخس والخص والخسف الايادي حكى ذلك الشريف الرضي قديمة في الجاهلية أدركت القلمس أحد حكام العرب الذي يقال انه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة وتحاكمت هي وأختها جمعة اليه في كلام لهما ومدحته بأبيات حسنة منها

إذا الله جازى محسناً بوفائه * فجازاك عني يا قلمس بالكرم

وبعض الرواة يزعم انها أقامت في زمن النعمان عند هند ابنته

قوله والخص والخسف هكذا في النسخ وكلاهما لم اقف عليه اسما لهنيد المذكورة لا في القاموس ولا في الصحاح وانما فيهما الخس فقط كما في اللآلئ فليحرر اهـ مصححه

ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق

وفيت بعهد كان منك تكرماً * كما لابنة الخس الايادي وفت هند

وليس الامر كذلك وانما مراد الفرزدق ان هنداً هي التي وفت لاختها جمعة ابنة الخس لا انها هند ابنة النعمان وكانت ابنة الخس قد زنت بعبد لها فليمت وقيل لها ما حملك على الزنا فقالت قرب الوساد وطول السواد والسواد السرار يقال ساودته اذا ساررته وفي الحديث السواد من السحر وألحق بعض الرواة في قولها وحب السفاد لان أباها كان قد منعها من الزواج * ولها اسجاع كثيرة وشعر قليل وكانت تحاجي الرجال الى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة فقال لها كاد فقالت كاد العروس يكون أميرا فقال كاد فقالت كاد المتنعل يكون راكباً فقال كاد فقالت كاد البخيل يكون كلباً وانصرف فقالت له أحاجيك فقال قولي فقالت عجبت فقال عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وتركت المحاجاة * ومن أسجاعها قيل لها أي الخيل أحب اليك قالت ذو الميعة الصنيع السليط التليع الآيد الضليع الملهب السريع فقيل لها أى الغيوث أحب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الاضخم المؤتلق الصخب المنبثق فقيل لها أى الايور أحب اليك فقالت الذى اذا حفر حقر واذا أخطأ قشر واذا خرج عقر وقيل لها مامائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن قالت قرية لاحمى لها قيل فمامائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت

طفى من كانت له ولا يوجد قيل فما مائة من الحمر قالت عارية النيل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان ترك ولى وقيل لها من أعظم الناس في عينك قالت من كانت لي إليه حاجة * ومن شعرها

أشمّ كنصل السيف جعد مرجل * شغفت به لو كان شيء مدانياً
وأقسم لو خيرت بين لقائه * وبين أبي لاخترت أن لا أباليا

﴿ وهل فقدت الاراقم فأنكح في جنب ﴾

(الاراقم) حي من تغلب (وجنب) حي من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر لمهلهل التغلبي وقد تقدم ذكره كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من أجل حرب البسوس فنزل في طريقه على حي من اليمن فخطبوا اليه ابنته فأبى فساقوا المهر وهو جلود من أدم وغصبوه على الزواج فقال

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بني الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم من * جنب وكان الحباء من أدم
لو يابانين جاء خاطبها * ومل ماأنف خاطب بدم

﴿ أو عضلني همام بن مرة فأقول زوج من عود خير من قعود ﴾

(عضل) الولي المرأة اذا منعها من النكاح والعضل المنع الشديد مأخوذ من عضل اللحم (وزوج من عود خير من قعود) قول احدى بنات همام بن مرة بن ثعلبة كان له أربع بنات وكن يخطبن اليه فيعرض ذلك عليهن فيستحيين فلا يزوجهن وكانت أمهن تقول له زوجهن فلايفعل فخرج ليلة الي متحدث لهن فاستمع عليهن وهن

لا يعلمن فقلن تمانين تمنى ولصدق فقالت الكبرى

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى * حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كأنه * خليفة جان لا يبيت على وتر

فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك ثم قالت الثانية وهي الوسطى

ألا هل أراها مرة وضجيعها * أشم كنصل السيف غير مهند
لصوق بأكباد النساء ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقالت الثالثة

ألا ليته يملي الجفان بديهة * له جفنة يسقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة * تشين فلا الفاني ولا الضرع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفاً قال وقلن للرابعة وهي الصغرى تمني فقالت زوج من عود خير من قعود فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم اجتمعن عنده فقالت الكبرى يا أبت سل عنا قال يا بنية ما مالكم قالت الابل قال كيف تجدونها قالت خير مال تأكل لحمانها مزعاً وتشرب ألبانها جرعاً وتحملنا وضيفنا معاً قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم خليله ويعطي الوسيلة قال مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية ما مالكم قالت البقر قال كيف تجدونها قالت خير مال تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال حظيت ورضيت ثم قال للثالثة ما مالكم قالت المعز قال فكيف تجدونها قالت لا بأس بها تولدها فطماً ونسلخها أدما لم نبغ بها نعماً فقال جدوى مغنية قال فكيف تجدين زوجك قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر ثم قال للرابعة يا بنية ما مالكم قالت الضأن قال فكيف تجدونها قالت

شر مال جوف لايشبعن وهم لاينقضي وصم لايسمعن وأمر مغويهن يتبعن قال فكيف تجدين زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرؤ بعض بزه وبعض الرواة يعزي هذه الحكاية الى ذي الاصبع العدواني وبناته

﴿ ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحطة ولا رضيت بهذه الخطة ﴾

الحط انزال الشيء من العلو (والحطة) الحدرة من الارض وهو المكان المنخفض (والخطة) الامر والمقصد قال تأبط شراً

هما خطتا اما اسار ومنة * واما دم والقتل بالحر اجدر

أراد خطتان فحذف النون استخفافاً والمعنى انه لو عضلني همام وفقدت الاراقم وكنت كابنة الخس لما رضيت لنفسي بك ولرفعت قدري عنك ولست آعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك

﴿ فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها ﴾

هذه امثال تضرب لمن يختار التلف على قبح الاحدوثة وجاء قولهم النار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب أي أختار النار والمنية وبالرفع أي النار والمنية احب الي وقال العسكري في قولهم الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها يعنون لا تكون الحرة ظئر القوم على جعل تأخذه منهم فيلحقها عيب وكان أهل بيت زرارة حضان الملوك وفي ذلك يقول حاجب ... ابن ماء المزن وابنى محرق فعابه الناس بذلك وقالوا ما رأينا من يفتخر بالمعايب غيره وذلك أن الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع و... الحرث بن سليل الازدي اتي علقمة الطائي يخطب ابنته ربا فقال لابنها

أبيني عمن في نفسها فقالت لها يابنية أي الرجال أحب اليك الكهل المياخ أم الفتى الطمـاح قالت بل الفتى الوضاح قالت ان الشيخ يميرك والفتى يغيرك قالت يا أماه أخشى من الشيخ أن يبلى شبابي ويشمت اترابي فلم تزل أمها بها حتى زوجتها من الحرث فرحل بهـا الى قومه فبينا هو جالس بفنائه وهي الى جانبه اذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون فتنفست صعداء فقال لها مالك فقالت ما لي وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها الحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك قال العسكري وليس هذا الحديث موافقاً للمثل وقال أبو عبيد أصله ولا تأكل ثدييها أي من الحسرة وليس هذا بموافق أيضاً ولكنه حكى على ما قيل والله تعالى أعلم

﴿ فكيف وفي أبناء قومي منكح

وفتيان هزان الطوال الغرانقه ﴾

يعني كيف أرضى بهذا وفي قومي كثير من اكفائي (وهزان) اسم قبيلة (والغرانقة) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو أعشى بني قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين وكان يقال أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء يقول الاعشى أشعر الاربعة فقيل له فأين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك أنه ما من حامل لواء الا على رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى

ترجمة الاعشى الاكبر

الامير وكان الاسمعي يقول ما مدح الاعشى أحداً الا رفعه ولا هجاه الا وضعه فمن ذلك انه مر باليمامة على المحلق بن جشم الكلبي وكان خامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنده فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمراً فلما أصبح قال له الاعشى ألك حاجة قال تشيد ذكري فاملي أشهر فتخطب بناتي فنهض الاعشى الى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التي يمدح بها المحلق و يقول فيها

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار باليفاع تحرّق
تشب لمقرورين يصليانها * وبات على النار الندى والمحلق

فما أتت على المحلق سنة حتى زوّج البنات على مئين الوف ومن ذلك انه امتدح الاسود العنسي فأعطاه ذهباً وحللا فلما مر ببلاد عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن قال نعم قال ومن الموت قال لا فأتى عامر بن الطفيل فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن والموت قال نعم قال كيف تجيرني من الموت قال ان مت في جواري بعثت الى أهلك بالدية قال الآن علمت انك أجرتني ثم مدح عامراً وهجا علقمة فكان علقمة يبكي اذا ذكر قوله

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ويدعو عليه أن كان كاذبا و يقول أنحن نفعل بجاراتنا هذا وما زال منكسر البال من هذا البيت وحكى ابن خلاد قال كان الاعشى كثير التطواف فأصبح ليلة بأبيات علقمة بن علاثة فلما نظر قائده الى قباب الادم قال يا سوء صباحاه هذه والله أبيات علقمة فلما مثل بين يديه قال له أتدرى لم أظفرني الله بك بغير دية ولا عقل قال لا قال

قوله ابن خلاد في بعض النسخ ابن دارب اه

لتقولنَّ عليَّ الباطل من غير جرم قال الاعشى لا ولكن ليبلو الله قدر حلمك فيَّ فأطرق علقمة فاندفع الاعشى يقول

أعلقم قد صيرتني الامور * اليك وما كان لي منكص
فهب لي نفسي فدتك النفوس * ولا زلت تنمى ولا تنقص

فقال قد فعلت والله لو قلت فيَّ ما قلت في ابن عمي عامر لاغنيتك ولو قلت في عامر ما قلت فيَّ ما أذاقك برد الحياة (وحكى الاصمعي) قال وفد الاعشى على كسرى فأنشده من شعره فسأله عن معنى قوله

أرقت وما هذا السهاد المؤرق * وما بي من سقم وما بي تعشق

فقيل انه سهر وما به عشق ولا مرض فقال كسرى هذا لص فاخرجوه (ورحل) الاعشى آخر عمره الى النبي صلى الله عليه وسلم طالباً للاسلام وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها

فآليت لا أرثي لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم * تراحي وتلقي من فواضله ندى
نبي يرى ما لا ترون وذكره * أغار لعمري في البلاد وأنجدا

فبلغ قريشاً خبره فقالوا هذا صناجه العرب ما مدح أحداً الا ارتفع فرصدوه على طريقه فقالوا له يا أبا نصير أين أردت قال صاحبكم لاسلم قالوا انه ينهى عن خلال كلها لك موافق قال وما هي قالوا الزنا قال لقد تركني الزنا وما تركته قالوا والقمار قال لعلي أصيب منه عوضاً قالوا والخمر قال أوّه أرجع الى صبابة لي في المهراس فأشربها ثم أرجع فعاد الى رحله فلبث أياماً ثم رمى به بعيره فقتله وزعم بعض الرواة أن الذي أمره بالرجوع أبو جهل وهو غلط فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة بعد أن مضت بدر والصحيح أن القائل عامر بن الطفيل وأما قوله *

أغار لعمري في البلاد وأنجدا * فقال المعرّي حكى الفرّاء وحده أغار في معنى غار اذا أتى الغور واذا صح هذا البيت عن الاعشى فلم يرد بالاغارة الا ضد الانجاد وروى الاصمعي روايتين احداها أن أغار في معنى عدا عدواً شديداً والاخرى انه كان يقدم ويؤخر فيقول لعمري أغار في البلاد وأنجدا فيأتي به على زحاف القبض وكان ابن مسعدة يقول غار لعمري فيأتي به على استعمال الخرم في النصف الثاني ويروى ان الاعشى كان يؤمن بالبعث والحساب ولذلك كان يقول

فما مثل بي على هيكل * بناه وصلب فيه وخارا
بأعظم منك يقى في الحساب * اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدلياً وأنشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وأنشد للاعشى

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للامر الذي كان أرصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولو ان عز الناس في رأس صخرة * ململمة تعيي الارح المخدما
لاعطاه رب الناس مفتاح بابها * ولو لم يكن باب لاعطاه سلما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

رب خرق من دونها يخرق السفـ * ـر وميل يفضي الى أميال

وقليب أجن كأنّ من الريـ * ـش بارجائه سقوط نصال
لا تشكي اليّ وانتجعي الاسـ * ـود أهل الندى وأهل الفعال
أريحي صلت يظلّ له القو * م ركوداً قيامهم للهلال
فرع نبع يهتز في غصن المجـ * ـد غزير الندى عظيم الجمال
عندك الحزم والتقى واسا الصد * ع وحمل لمغرم الاثقال
وهوان النفس العزيزة للذكـ * ـر اذا ما التقت صدور العوالي
ماذا من عصاك أصبح محرو * ماً وكعب الذي يطيعك عال

وقوله يمدح المحلق

اذا حاجة ولتك لا تستطيعها * فخذ طرفاً من غيرها حين تسبق
فذلك أدنى أن تنال جسيمها * وللقصد أبقى في الامور وأرفق
أبا مالك سار الذى قد صنعتم * وانجد أقوام لذاك وأعرقوا
وان عتاق العيس سوف تزوركم * ثناء على اعجازهن معلق

يعني ان الحداة تحدو الابل بثناء الممدوحين فكأنه معلق على اعجازها ومنها أيضاً

وكم دون ليلى من عدو وبلدة * وسهب به مستوضح الآل يبرق
وان امرأ أسرى اليك ودونه * سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته * وأن تعلمي أن المعان موفق

يعني أن الموفق معان وهذا الغالب المستعمل في كلام العرب مثل قول الآخر أو بلغت سوآتهم هجر وعلى ذلك قد فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل أي خلق العجل من الانسان ومنها
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ثدي أم تحالفا * بأسحم داج عوض لا نتفرق

يعني ان المحلق والندى حليفان لا يتفرقان كأنهما تحالفا على ذلك عند النار وكذا كانت العرب من عادتها تحلف عند النار وفي قوله أسحم داج سبعة أقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون أيديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الثدي وقيل دماء الذبائح للاصنام وقيل الرحم وقوله رضيعي لبان ثدي أم واحدة مبالغة في الوصف بالكرم وعوض اسم صنم لبكر بن وائل وقيل من أسماء الدهر وأصله أن يكون ظرفا تقول لا أفعله عوض العائضين ودهر الداهرين ثم كبروه حتى أحلوه محل ما يقسم به ومن جعل عوض اسم صنم كأنه قال عوض قسمنا الذي نقسم به ومنها

ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه * كما زان ضوء المندواني رونق

نفى الذم عن آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تدهق

يروى جابية الشيخ العراقي يعني ان العراقي الذي يتعود الحضر ويسلك البادية يكون حريصا على مائه لانه لا يعرف مواقع المياه فتكون جابيته التي هي من أواني الماء ملآنة أبدا ويروى السيح بالسين والحاء المهملتين يعني الماء السائح من العراق ومنها

كذلك فافعل ما حييت اذا شتوا * وأقدم اذا ما أعين الناس تفرق

وأما الشعر الذي ذكر بسببه فيحكى انه تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها فطلقها وقال بديهة

أيا جارتي بيني فانك طالقة * كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وبيني حصان الفرج غير ذميمة * وموموقة فينا كذاك ووامقه

وبيني فان البين خير من العصا * والا تري فوق رأسك بارقه

وذوقي فتى قوم فاني ذائق * فتاة اناس مثل ما أنت ذائقه
وكيف وفي ابناء قومك منكح * وفتيان هزان الطوال الغرانقه

وبهذه الابيات استدل قوم على ان الطلاق في الجاهلية كان ثلاثا لانه كرر قول بيني في ثلاثة أبيات وتمثل ابن زيدون في هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك فجعلها قومي

﴿ ما كنت لاتخطي المسك الى الرماد ولا امتطي الثور بعد الجواد ﴾

يعني ما كنت لأدع الفتيان من قومي لأرغب اليك وأنت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله أشار بذلك الى رسالة لابي عثمان الجاحظ في ذكر الرماد والمسك وأما قوله أمتطي الثور بعد الجواد فهو قول المتنبي في قصيدة من قصائده يقول فيها

وما لاقني بلد بعدكم * وما اعتضت من رب انعامى ربّ
ومن ركب الثور بعد الجوا * د أنكر أظلافه والغبب

﴿ فانما يتيمم من لم يجد ماء ويرعي الهشيم من عدم الجميم ويركب الصعب من لاذلول له ﴾

الهشيم من النبات اليابس المتكسر والجميم النبت المقتبل الذى طال ولم يبلغ النهاية والصعب مالايطيع والذلول ضده ومثلت بهذا القول عدم حاجتها اليه واستغناءها عنه بمن هو خير منه

﴿ ولعلك انما غرّك من علمت صبوتي اليه وشهدت مساعفتي له من أقمار العصر وريحان المصر الذين هم الكواكب علوّ همم

﴿ والرياض طيب شيم ﴾

العصر الدهر والمصر كل بلد ممصور أى محدود والمراد بالاقمار هنا والريحان وصف قوم بحسن الوجوه والاخلاق ومرادها بهذه الصفات التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله ممن تصحبهم ونكاية المكتوب اليه بمدحهم ومدحه بهذه الالفاظ والتهكم عليه

﴿ من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري ﴾

يعني هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب يسمي العرندس ويقال انه أحد بني بكر بن كلاب يمدح بها بني بدر الغنويين وكان أبو عيدة اذا أنشدوها يقول هذا والله محال كلابي يمدح غنويا يعني عداوة الحيين وهي هذه

ذكر العرندس

هينون لينون أيسار ذوو كرم * سوّاس مكرمة أبناء ايسار
ان يسألوا الخير اعطوه وان صبروا * في الجهد أدرك منهم طيب أخبار
وان تودّدتهم لانوا وان شهموا * كشفت أذمار شر أى أذمار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا * ولا يعد نثا خزى ولا عار
لاينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكبار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري

﴿ نحنّ قدح ليس منها ما أنت وهم وانى تقع منهم ﴾

قوله نحن قدح مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال حن قدحا على التمييز وقدح على انه الفاعل والقدح أحد قداح الميسر وهي السهام التي توضع في خريطة ويقترع بها فاذا

كان أحد القداح من غير جوهر اخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر رضي الله عنه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبي عمرو بن أمية يوم بدر فقال ابو عمر واقتل من بين قريش صبرا فقال عمر رضي الله عنه حن قدح ليس منها يعني انك لست من قريش ويروى ان أبا عمرو كان عبدا وكان أمية قد عمي وكان يقوده فتبناه قال كذا روى .

﴿ وهل أنت الا واو عمرو وفيهم وكالوشيظة في العظم بينهم ﴾

يعني انك مستلحق بهم ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه وليست منه واول من أفاد هذا المعنى أبو نواس في أشجع السلمي

أيها المدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليمي كواو * ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

ورأى انسان في النوم كأنه يكتب على ظفره واوفقص رؤياه على معبر فقال رائي هذا المنام دعي في نسبه وأنشد هذا الشعر من قول أبي نواس وكالوشيظة وهي قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة في قومه أي هو حشو فيهم وتمثل به الحسن بن علي صلوات الله عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه أليس من وهن الدين واماتة السنة أن يكون معاوية رئيسا وهو الطليق بن الطليق ويكون ومثلك لي خصما وأنت شانيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وغلت في قريش وانما أنت منها كالوشيظة في العظم

﴿ وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض

قوتك وعطرت اردانك وجررت هميانك واختلت فى مشيتك وحذفت فضول لحيتك ﴾

يعني لازمت منزلك وأظهرت الغني والقرى بما تستفضله من قوتك وعطرت أكمام ثيابك وجررت هميانك أوسر والك وما أشبه ذلك قال الشاعر

يشد هميانه على عدم * وذاك من حمقه ومن تيهه

والهميان غير عربي واختلت أى أظهرت الخيلاء والكبر وقصصت ما استطال من لحيتك معتمداً على الوضاءة والنظافة

﴿ وأصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك واستأنفت عقد ازارك رجاء الاكتنان فيهم وطمعا فى الاعتداد منهم فظننت عجزا ﴾

المط المدّ كانه اذا تخايل مدهما والازار الطيلسان وما أشبهه والمعنى انك ان كنت تصنع هذه الاشياء لتعد من هؤلاء القوم وتكتن بهم والاكتنان ستر الشيء بثوب أو غيره فقد خبت وظننت ظناً عاجزاً وهذا اللفظ منظوم من قول الخنساء حيث تقول

ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

ذكر الخنساء

واسم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي كانت من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم حكى الاصمعي قال كان النابغه الجعدى يجلس في الموسم بعكاظ وتتحاكم اليه الشعراء فدخلت الخنساء فأنشدته من قولها في اخيها

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فقال أنت أشعر من كل ذات ثديين فقالت ومن كل ذي خصيتين وقال بشار لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وأكثر شعرها في مراثي أخويها معاوية وصخر وأدركت الخنساء الاسلام وأسلمت حكي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نظر اليها وفي وجهها ندوب فقال ما هذا يا خنساء فقالت من طول البكاء على أخوي قال لها أخواك في النار قالت ذاك أطول لحزني اني كنت أبكي لهما من الثار وأنا اليوم أبكي لهما من النار ورأت عائشة رضي الله عنها على جسد الخنساء صداراً من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قالت لم أعلم بنهيه وله سبب فقالت وما هو قالت زوجني أبي رجلا متلافا لماله فأسرع فيه حتى نفد فقال لي الى أين تذهبين يا خنساء فقلت الى أخي صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته أما كفاك أن تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا امنحها شرارها * وهي حصان قد كفتني عارها

ولو أموت مزقت خمارها * وجعلت من شعر صدارها

فجعلت هذا الصدار تصديقاً لظنه فلا أنزعه حتى أموت * وحدث علقمة بن جرير قال استأذن الجماعة على معاوية وكنت فيهم فلما دخلنا عليه أجلسنا وأكلنا ثم قال يا علقمة هل عندك ظريفة تحدثنا بها قلت نعم أقبلت قبل مخرجي اليك أسوق شارفا لي أريد نحرها عند الحي فادركني الليل بين أبيات بني الشريد فاذا عمرة ابنة مرداس عروساً وأمها الخنساء بنت عمرو فقلت لهم انحروا هذه الجزور واستعينوا بها

وجلست معهم فلما هيئت أذن لنا فدخلنا فاذا هي جارية وضيئة يفي عمرة واذا أمها الخنساء جالسة ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت واذا هي تلحظ الجارية لحظاً شديداً فقال القوم بالله يا عمرة الا تحرشت بها فانها الآن تعرف بعض ما أنت فيه فقامت الجارية تريد شيئاً فوطئت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت وهي مغيظة حس اليك يا حمقاء والله لكأنما تطئين أمة ورهاء أنا والله كنت أكرم منك عرساً وأطيب ورساً وذلك زمان اذ كنت فتاة أعجب الفتيان لا أذيب الشحم ولا أرعى البهم كالمهرة الصنيع لا ضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من ابنتها فضحك معاوية حتى استلقى وماتت الخنساء في زمنه بالبادية ومن محاسن شعرها قولها في رثاء أخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل * دراك ضيم وطلاب باوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب * مركبا في نصاب غير خوار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة * وما أضاءت نجوم الليل للساري
شدوا المآزر حتى يستقاد لكم * وشمروا انها أيام تشمار
وابكوا فتى الحي لاقته منيته * وكل حي الى وقت ومقدار

وقولها من قصيدة

فأقسمت آسى على هالك * وأسأل نائحة ما لها
أبعد ابن عمرو بن آل الشريد * حلت به الارض أثقالها

قولها حلت به الارض أثقالها يحتمل وجهين أحدهما أن السيد الشجاع ثقيل على الارض لسودده وسطوته فاذا مات حل بموته ثقل عنها والثاني أن الارض حلت بأمواتها من الحلية وسميت الموتى ثقلا للارض تشبيها للحمل والحمل يسمى ثقلا وفي قوله تعالى وأخرجت الارض

أنقالها قال بعض المفسرين أى موتاها وقال بعضهم كنوزها وقولها

لعمر أبيك لنعم الفتى * تحك به الجرب أجذالها
وخيل تكدس مشى الوعو * ل نازلت بالسيف أبطالها
لدى مارق بينها ضيق * تجر المنية أذيالها
نهين النفوس وهون النفو * س يوم الكريهة أبقى لها
ومحصنة من بنات الملو * ك تعتمت بالليل خلخالها
وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فأوضحتها * ولم تنطق الناس أمثالها
فان تك مرة اودت به * فقد كان يكثر تقيالها

وقولها أيضا

وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
مثل الرديني لم تدنس شبيبته * كأنه تحت طي البرد أسوار

وقولها أيضا

فما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذي نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل
أخو الجود معروف له الفضل والندا * حليفان مادامت تمار ويذبل

وقولها تمدح آخاها وأباها

جاري أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
حتى اذا بدت القلوب وقد * لزت هناك القدر بالقدر
برقت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر

يعني انه انما افرج له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه وقيل لابي عبيدان هذه الابيات ليست في مجموع شعر الخنساء فقال العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا ومن الشعر الذي ذكرت بسببه قولها هذه الابيات

تعرقني الدهر نهسا وحزا * وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا * فأصبح قلبي بهم مستفزا
كان لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس في ذاك من عزبزا
وخيل تكدس بالدارعين * وتحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصى فرسانها * وكانوا يظنون أن لاتجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بأن لايصاب فقد ظن عجزا

﴿ وأخطأت استك الحفرة ﴾

هذا مثل يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ولا يناله حكي أن المختار ابن ابي عبيد قال وهو بالكوفة والله لأدخلن البصرة ولا أرمي دونها بكتاب ثم لأملكن الهند والسند والبند أراد بالبند العلم أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء والمسجد الذى ينبع منه الماء فلما بلغ هذا الحجاج ابن يوسف قال أخطأت است بن أبي عبيد الحفرة أنا والله صاحب ذلك كان الحجاج تمثل بذلك

﴿ والله لو كساك محرق البردين ﴾

ذكر محرق (محرق) هو عمرو بن المنذرين ماء السماء وهو عمرو بن هند

وكان يعرف بأمه هند بنت الحرث بن حجر آكل المرار الكندي وكان يقال لعمرو مضرط الحجارة لشدة باسه وسمي محرقا لقصة استوفى أبو الفرج شرحها في كتاب الاغاني فقال كان قد عاقد حياطىء على أن لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ثم انه غزا اليمامة ورجع مقتبطا ومر بطي فقال له زرارة بن عدس التميمي وكان من خواصه أبيت اللعن أصب من هذا الحى شيئاً فقال ويلك ان لهم عقداً قال وان كان لهم فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوادا فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائى

أراك ابن هند لم تعقك أمانة * وما المرء الا عهده ومواثقه
فأقسمت جهدى بالاباطح من منى * وما خب في بطحائهن درادقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلته * لانتحين للعظم ذو أنت عارقه

سمي عارقا بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند فقال له زرارة بن عدس أبيت اللعن أيتوعدك فقال عمرو لرميلة بن شعار الطائي أيهجوني ابن عمك ويتوعدني قال لا والله ما هجاك ولكنه قال

والله لو كان ابن جفنة جاركم * ما ان كساكم ضيمة وهوانا

وأراد رميلة أن يسل سخيمته فقال والله لاقتلنه فبلغ ذلك عارقا فقال منشداً

أبو عدنى والرمل بيني وبينه * تبين رويدا ما أمامة من هند
غدرت بعهد كنت أنت أخذتنا * عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد
وقد يترك الغدر الفتى وطعامه * اذا هو أمسى جله من دم الفصد

فبلغ عمرو بن هند قوله فغز اطياً فاسرأ سرى من بني عدى بن أخزم رهط حاتم فوفد حاتم عليه وسأله في الاسرى فأطلقهم له وكان

المنذرين ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناله صغيرا يقال له مالك عند زرارة بن عدس وان مالكا خرج يوما يتصيد فاخفق ولم يجد شيئاً فرجع فمر بابل لرجل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد وكان عند سويد ابنة زرارة فولدت له سبعة غلمة فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد على مالك بعصا فضربه فأمته فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وكانت طي تطالب عمرة بن زرارة و بني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك فقال ثعلبة ابن عمرو الطائي

من مبلغ عمرواً بان المرء لم يخلق صباره
وحوادث الايام لا * تبقى لها الا الحجاره
ان ابن عمرو أمته * بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشحيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا أرى * في القوم أوفى من زراره

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفاضت عيناه و بلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهي حبلى فقال أذكر في بطنك أم أنثى قالت لا علم لي بذلك فبقر بطنها فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخا الملك فأته فأصدقه الخبر فأتاه فتنصل اليه فقال عليّ بسويد فقال انه لحق بمكة قال فعليّ بنيه فأتاه بنيه السبعة وأمهم بنت زرارة غلمة بعضهم فوق بعض فأمر بقتلهم فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يا بعضي أرسل بعضي فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو بن هند ألية ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل فخرج بريدهم و بعث على مقدمته

عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد أنذروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضرب رقبته وأمر لهم بأخدود ثم أضرم فيه ناراً فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاحترقوا فاقبل راكب من البراجم وهم بطون من بني حنظلة لا يدري بشيء مما كان يصنع بغيره فأخذ وألقي في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً فقيل له لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها من أنت قالت الحمراء بنت ضمرة فقال اني لاظنك أعجمية فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم .

اني لبنت ضمرة بن جابر * سادا معدا كابرا عن كابر

فقال عمرو أما والله لولا مخافتي أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما والذي اسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ما تقتل الا نساء أعاليها ثدي وأسفلها علي قال اقذفوها في النار فالتفتت وقالت الا فتى يكون مكان عجوز فلما انطوى عليها قالت هيهات صار الفتيان حمماً وسمي من ذلك اليوم محرقاً * من ملوك جفنة ايضاً المحرق لكنه غير صاحب البردين * فاما امر البردين فحكي ان الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يبلو الوفود وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فائتزر بالواحد وارتدى بالاخرى فقال له أنت اعز العرب قبيلة قال العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة فمن أنكر هذا فلينافرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك قال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من

أزالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه أحد وخرج بالبردين فضربت العرب بهزه المثل و ببرديه

﴿ وخذلك مارية بالقرطين ﴾

ذكر قرطي مارية

القرط نوع مما تحلي به المرأة أذنها ومارية هي ابنة ظالم بن وهب الكندي زوجة الحرث الاكبر الغساني أحد ملوك العرب بالشام وهي أم الحرث الاصغر وأمها هند الهنود امرأة آكل المرار وكان في قرطيها لؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوّجها لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما ولي عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولي يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول خذي القرطين والحلي من بيت مال المسلمين فقالت لا والله ما أوافقه في حال حياته وأخالفه بعد وفاته وروى الميداني أن مارية أهدت قرطيها الى الكعبة وهما درتان كبيضتي الحمام لم ير في عصرها ولا قبله مثلهما هكذا روى الميداني والله أعلم بحقيقتهما

﴿ وقلدك عمرو الصمصامة ﴾

ذكر عمرو بن معديكرب

هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي وكنيته أبو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة في الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة قال عمرو قدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك فأردت أن أدنو اليه فمنعني من حوله فقال دعوه فدنوت منه فقلت أنعم صباحاً أبيت اللعن فقال يا عمرو أسلم تسلم و يؤمنك الله من الفزع الاكبر فأسلمت وعاش عمرو الى أيام عثمان وأبلى في وقائع

الاسلام بلاء حسناً مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك خرج له علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له أسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو بن معدي كرب * وحدث ابن أبي حاتم قال مررنا يوم القادسية بعمرو بن معدي كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول أيها الناس كونوا أشد مناشاً ان هذا الرجل من الاعاجم اذا لقى مزرافاً فانما هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سية قوس كان متكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا كسر عنقه ثم أمرّ الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنطقته وألقاه وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع * وحكى أبو عبيدة قال لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبي وقاص الخمس ثم قسم البقية فأصاب الفارس ستة آلاف وبقي مال دثر فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه ان رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه كذلك فكتب اليه أن أعط ما بقي حملة القرآن فأتاه عمرو بن معدي كرب فقال ما معك من حفظ القرآن قال اني أسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن وقيل أتاه بشر بن ربيعة فقال له ما معك من حفظ القرآن قال معي بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم فقال سعد ما لك في هذا المال من شيء ولا من نصيب فقال عمرو متشدقاً

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبياتاً فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه أعطهما على بلائهما فأعطاهما أربعة آلاف درهم *وحكى المدائني قال كان عمرو ابن معدي كرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل فمر عمرو على فرس له فقال سلمان هذا هجين فقال عمرو عتيق قال فأمر به فعطش ثم دعا بترس فقلت فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين فقال له ألا ترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغني ما قلت لاميرك وبلغني أن لك سيفاً تسميه الصمصامة وعندي سيف مصمصم بالله لئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به شر اسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد * ويروى أن عمر رضي الله عنه سأله يوماً فقال ما تقول في الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن ضعف تلف قال فما تقول في الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال عبدك ثكلتك أمك قال عمر بل أمك فقال الحمى أصرعتني فأغلظ له عمر في الكلام فقال

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك * يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص مني قال بل أعفو يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك قال وما هي قال سمعتك تقرأ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا والله لو علمت أني اذا دخلتها مت لفعلت * وحكى أن عيينة بن

حصن لما قدم الكوفة اقام أياماً ثم قال والله ما لي بأبي ثور عهد ثم ركب فرساً وسأل عن محلة بني زبيد فأرشد اليها وسأل عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا أبا ثور أخرج الينا فخرج مؤتزراً كأنما كسر وجبر فقال له أنعم صباحا أبا مالك فقال أو ليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندي كبشاً سميناً فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطبخه وجلس يتحدث الى أن أدرك فثرد في جفنة عظيمة وأتى القدر عليها وقعدا فأكلا منها ثم قال أي الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية فقال أو ليس حرمها الله تعالى في الاسلام فقال أنت أقدم اسلاماً أم أنا قال أنت قال فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً الا انه قال فهل أنتم منتهون فقلت لا ثم جاء بنبيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو ان انصرف أبو مالك بغير حباء انها لوصمة فامر له بناقة أرحبية وحمله عليها ثم أتى بمزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه فقال أما المال فوالله لا آخذه ولا ألمسه فانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة * فنعم الفتى أنت المزور المضيف

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة الا الكذب حكى أبو عمرو ابن العلاء قال وقف عمرو يوما بالمربد يتحدث على عادتهم فقال غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مسترفعين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه وكان خالد بن الصقعب حاضراً فقال بعض الجماعة مهلا أبا ثور قتيلك يسمع كلامك وأشار اليه فقال اسكت انما أنت محدث فاسمع أوقم ثم التفت الى خالد وقال انما نرهب هذه المعدية بهذه الاخبار ومضى في حديثه فلم يقطعه فقال له رجل انك

اشجاع في الحرب والكذب فقال اني كذلك * وحكى أبو عمرو بن العلاء قال جاء رجل الى عمرو وهو واقف بالمربد على فرس له وقد أسن فقال لانظارن ما بقي من قوة أبي ثور فأدخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن عمرو لذلك فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه صاح به فقال يا ابن أخي مالك قال يدي تحت ساقك فخلى عنه وقال ان في عمك بقية بعد * ومن كلامه حكي انه أتى مجاشع بن مسعود فقال أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين الف درهم فمر ببني حنظلة فقالوا يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك فقال لله بنو مجاشع ما أشد في الحروب لقاءها وأجزل في اللزبات عطاءها وأحسن في المكرمات بناءها والله لقد قاتلتها فما أجبنتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها * جداول ماء أرسلت فاسبطرّت
وجاشت اليّ النفس أول فكرة * فردت على مكروهها فاستقرّت
ظللت كأني للرماح دريئة * أقاتل عن أحساب جرم وفرّت
ولو أن قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرّت

قوله أقاتل عن احساب جرم من الهجاء المحض وذلك انه ذكر ان قوماً فروا وليس هو منهم غير انه يقاتل غضباً لهم وعصبية وقوله ولو ان قومي أنطقتني يعني لو قاتلوا وأطاعنوا نطقت بمدحهم ولكنهم فروا فاسكتوني عن المدح والاصل في الاجرار ان الفصيل اذا أرادوا فطامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضاع وقوله في القصيدة التي أولها

أمن ريحانة الداعي السميع

وقد عجبت أمامة ان رأتني * تفرع لمتي شيب فظيع

أشاب الرأس أيام طوال * وهم ما تبلغه الضلوع
وزحف كتيبة للقاء أخرى * كأن زهاءها رأس صليع
وإسناد الاسنة نحو نحري * وهز الشرفية والوقوع
فان تنب النوائب آل عصم * تجد حكماءهم فيها وقوع
اذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالنزوع فكل شيء * سما لك أو سموت له نزوع

وقوله أيضاً

يا أيها المتاينا * جهلا بنا وولدت عبدا
ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا * بغة وعداء علندى
وحسام ذا شطب يقد البيض والابدان قدا
كل امرئ يجري الى * يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا * يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التي * تخفى وعاد الامر جدا
نازلت كبشهم ولم * أر من نزال الكبش بدا
كم ينذرون دمي وانـ * ـذر ان لقيت بأن أشدا
كم من أخ لي صالح * بوأته بيدي لحدا
ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

قال لو لم يكن له الا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير وأما الصمصامة فهي سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمير أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهي ذو الفقار وذو النون ومجذوب ورسوب والصمصامة فأما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى

ذكر الصمصامة

الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومجذوب ورسوب للحرث بن جبلة الغساني وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدي كرب وحكي ان عمر بن الخطاب قال لعمرو ابعث لي الصمصامة فبعث به اليه فلم يره كما بلغه فقال له في ذلك فقال اني بعثت اليك الصمصامة ولم أبعث لك باليد التي تضرب به *وحكي أبو عبيدة ان الصمصامة انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا بني زبيد وكان خالد بن سعيد من جملة امرائه اوقع بهم وأسر ريحانة أخت عمرو بن معدي كرب ففداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ثم فقد يوم الدار في مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى أن صعد المهدي البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بني العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه في السبيل محبساً فقال خمسون سيفاً قاطعاً في السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفاً واخذه فلما صار الى الهادي أحضره وأمر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من أبيات

حاز صمصامة الزبيدي عمرو * من جميع الانام موسى الامين
ما يبالي من انتضاه لضرب * اشمال سطت به أم يمين

ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى غلامه باغزا التركي فقتله به ومن عند باغزا انقطع خبره

قوله باغزا في نسخة باغز بدون الف في آخره وحرر

﴿ وحملك الحرث على النعامة ﴾

النعامة فرس الحرث بن عباد التغلبي أكبر سادات بني وائل وهو الذي اعتزل حرب البسوس وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فلما قتل ولده نهض حينئذ وقال

قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال

يعني هذا الفرس و يكرّر قوله قرّبا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة في هذه القصيدة وقد تقدم شيء من ذكره و يقال ان هذه الفرس كانت لخرّز بن لوذان وهي التي يقول فيها يخاطب زوجته

ان الرجال لهم اليك وسيلة * ان يأخذوك تكحلي وتخضبي

وأنا امرؤ ان يأخذوني عنوة * أقرن الى سنن لركاب وأجنب

و يكون مركبك القعود وحدجه * وابن النعامة يوم ذلك مركبي

يعني انك ان أسرت كانت لك وسيلة عند الرجال من كحالك وخضابك وأنا ان أسرت جنبت الى جانب فرسي فأكون راكب ظلها قال أبو عبادة النعامة عرق في باطن القدم ولذلك يقال للميت شالت نعامته أي ارتفعت رجلاه وقولهم ان فرس الحرث بن عباد هي فرس خرّز فيه نظر فقد قيل أن خرّز بعد الحرث بزمان

﴿ ما شككت فيك ولا سترت أباك ولا كنت الا ذاك ﴾

يعني لو تجملت بهذه الذخائر لما تدلس عليّ أمرك ولا خفي عني نسبك الذي أعرفه قبل الآن

﴿ وهبك سامبتهم في ذروة المجد والحسب

وجاريتهم في غاية الظرف والادب ﴾

المساماة المماثلة في السمو والذروة أعلى الشيء ومنه ذروة السنام والمجد التوسع في الكرم والجلالة وأصل المجد من قولهم مجدت الابل اذا حصلت في مرعى كبير واسع وأمجدها الراعي والحسب ما يعده الانسان من مفاخره و يحسبه من مفاخر آبائه قال ابن الاعرابي الحسب والكرم يكونان في المرء وان لم يكن له آباء لهم شرف والظرف الكيس

والادب جمع أنواع من المحاسن مأخوذ من المأدبة وهي الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمي الاديب الجامع لفنون كثيرة كالنظم والنثر والعلم والادب والتفنن في كل مقولة

﴿ ألست تأوي الى بيت قعيدته لكاع
اذ كلهم عزب خالى الذراع ﴾

القعيدة امرأة الرجل كأنها مقاعدته ولكاع اللئيمة النفس مبني على الكسر والعزب البعيد عن الزوجة مأخوذ من العازب في طلب الكلأ وهو المتباعد وخالي الذراع مثل خالي اليد كناية عن الفراغ والمعنى لوانك جامع للمحاسن ألست متزوجا وكل من شئت من هؤلاء القوم الذين يختارون صحبتي عزب فكيف أفضلك عليهم وقوله الى بيت قعيدته لكاع هو نصف بيت من شعر الحطيئة وهو قوله

أطوّف ما أطوّف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

ذكر الحطيئة

واسم الحطيئة جرول بن أويس بن مالك العبسي والحطيئة لقب وقع عليه قيل لقصره من الارض وقيل لانه ضرط يوماً فقيل له ماهذا فقال انما حطأت حطيئة وكان من أكبر شعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام والغالب على شعره الهجاء وكان دنيء النفس والهمة قدم المدينة فشى أشرافها بعضهم الى بعض وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق فيأتي الرجل منكم فان أعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً من بينهم فجمعوا له أربعمائة دينار وأتوه وقالوا هذه صلة آل فلان و آل فلان و آل فلان فأخذها وظنوا أنهم كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم * وحكى أبو عبيدة

قال مضى الحطيئة الى عبيد بن العاص فسأله فقال ما أنا على عرض فأعطيك ولا في مالي فضلة عن قومي فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء قال ردوه فردوه اليه فقال كتمتنا نفسك كأنك تريد العلل علينا اجلس ولك عندنا ما يسرك فجلس فقال له من أشعر الناس فقال الذي يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال عبيد هذا والله من مقدمات أفاعيك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فلا يطلب شيئاً الا اشتريته فجعل يعرض عليه الخز والرقيق من الثياب فلا يريدها فيعرض الاكسية الغلاظ والكرابيس فيشتريها ثم مضى فلما جلس عبيد في نادي قومه أقبل الحطيئة وقال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ثم ركض فرسه وولى * وحكي ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات قومه فورد في سنة مجدبة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليؤدي ما اجتمع من الصدقة فلقي الحطيئة ومعه زوجته وبناته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة أين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وما تصنع قال وددت أن أصادف بها رجلا يكفيني مؤنة عيالي وأصفيه مدحي ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك فيمن يوسعك لبناً وسمناً ويجاورك أحسن جوار فقال الحطيئة هكذا وأبيك العيش فقال قد أصبته قال عند من قال عندي قال من أنت قال الزبرقان بن بدر قال فأين محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسأل عن القمر يريد الزبرقان فانه من أسماء القمر

وسمي به لحسنه وسر الى أم هند بنت صعصعة يعني زوجته فقصل وأكرمته المرأة فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس وكانوا يناسبون الزبرقان فأرادوه على جوارهم فأبى فدسوا الى امرأة الزبرقان انه يريد أن يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت في حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى بني شماس فضربوا له قبة وضربوا له أثانا وربطوا له بكل طنب حلة وأراحوا عليه ابلهم وكسوه ثم ورد الزبرقان فقال ردوا علي جاري فأبوا وكاد يكون بينهم حرب فقال اهل الرأي منهم خيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضاً فصار يمدحهم وهم يطلبون منه هجاء الزبرقان فيمتنع الى أن أرسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضاً فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان و يناضل عن بغيض

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً * في آل لاي بن شماس بأكياس
لما بدا لي منكم غش أنفسكم * ولم يكن لجراحي منكم آسي
ازمعت يأساً مبيناً من نوالكم * ولن ترى طارداً للحر كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لن يذهب العرف عند الله والناس

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر للزبرقان ما أرى هجواً ولكن معاتبة فقال الزبرقان أما تبلغ مروءتي الا أن آكل وألبس فقال عمر رضي الله عنه علي بحسان فجيء به فسأله أهجاه قال لا بل سلح عليه بعد ان أكل الشبرم فأمر عمر بقطع لسان الحطيئة ليرهبه فقال يا أمير المؤمنين والله لقد هجوت أبي وأمي وزوجتي ونفسي فضحك عمر وقال ما قلت قال قلت في أبي وأمي

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني * وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت في زوجتي

أطوّف ما أطوّف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

وقلت في نفسي

أرى لي وجهاً قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

فامر به عمر فحبس في بئر وغطاه فقال

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فاخرجه ثم قال اياك وهجاء الناس قال اذا تموت عيالي جوعاً فقال اياك والمقذع قال وما هو قال أن تخاير بين الناس قال انت والله أهجى مني فسلمه الى الزبرقان فشد في عنقه حبلا فعارضته غطفان وسألته أن يهبه لهم ففعل ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى أن توفي في خلافة عمر رضي الله عنه ولما حضرته الوفاة قالوا له يا أبا مليكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فقلوا له أوص يرحمك الله قال أبلغوا أهل امرئ القيس أن صاحبهم أشعر الناس بقوله فيالك من ليل فقالوا له أوص فقال

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا رقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه

قالوا ألك حاجة قال لا ولكن أجزع على المدح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا توصى للفقراء بشئ فقال بالالحاح في المسئلة فانها تجارة لن تبور واست المسؤول أضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيراً والجزاء بكفه * على خير ما يجزي الرجال بغيضاً
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم * وصادف منا في البلاد عريضاً

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستحق أن يكثر

مادحيه وانه لو منع او أساء اساءة واحدة لكانت له في الايادي حسنات كثيرة تكفيه ولا يصدق هاجيه ومن محاسن شعره قوله

فتى غير مفراح اذا الخير مسه * ومن نكبات الدهر غير جزوع
كثير الندى ان تأته بصنيعة * الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في أبي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع * أرض العدوّ ببؤس بعد انعام
من كل أجرد كالسرحان أيرزه * مسح الأكف وسقي بعد اطعام
مستحقبات رواياها جحافلها * يسمو بها اشعرى طرفه سامي

الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع جحافلها على اعجاز الابل مكان الحقائب لطولها فكانها مستحقبة لها وكان الحطيئة قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش فقال نعت العدة فمدحه بهذه القصيدة فكتبه فبلغ عمر فلامه على ذلك فقال اشتريت عرضي منه فقال أحسنت وقوله

وفتيان صدق من عديّ عليهم * صفائح أخرى علقت بالعواتق
اذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم * ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وقوله

سيرى أمام فان المال يجمعه * سيب الاله واقبالي وادباري
تسرى الى ضوء أحساب أضاء لها * كما أضاءت نجوم الليل للساري

وقوله

أتت آل شماس بن لأي وانما * أتاهم بها الاحلام والحسب العدّ
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم * من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدو
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وان قال مولاهم على جهل حادث * من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
شياطين في الهيجا كاشيف للدجى * بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلني أبناء سعد عليهم * وما قلت الا بالذي علمت سعد

﴿ وأين من أنفرد به ممن لا غلب الا على الاقل الاخس منه ﴾

هذا تفسير لما تقدم من الكلام بأن الذي تنفرد به العزب والذي يغلب على الاقل منه المتزوج والغلب الاستيلاء على الشيء كأنها لا تستولى الا على فضل ما يبقى من زوجته

﴿ وكم بين من يتمدنى بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة الي واللذة الموقوفة على ﴾

كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المحبب للنساء حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال لما فتحنا بلد كذا من الروم سبيت امرأة منهم فواقعتها في ليلة سبع مرات فقالت أكل العرب تفعل هذا قلت نعم قالت صدقت بهذا العمل نصروا علينا

﴿ وبين آخر قد نضب غديره ونزحت بيره ﴾

﴿ وذهب نشاطه ولم يبق الا ضراطه ﴾

الكلام معطوف على ما قبله وهذه الالفاظ كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من قول بعض العرب وقد أسن وسئل عن حاله فقال والله لقد ذهب مني الأطيبان وهما الجماع والنوم وبقي في الارطبان وهما السعال والضراط

﴿ وهل يجتمع لي فيك الا الحشف وسوء الكيلة ﴾

يعني لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا

مثل للعرب يضرب في الخلتين السيئتين يجتمعان ويقال انه لعمرو بن معدي كرب والحشف أردى التمر والكيلة فعلة من الكيل وهي تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة فليعلم ذلك

﴿ ويفترق على بلك الا الغدة والموت في بيت سلولية ﴾

هذا مثل آخر في معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ماتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفني عامراً بما شئت فظهر في رقبته غدة مات منها في بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وقد تقدم خبره

﴿ تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال ﴾

ذكر ابن العتاهية — هذا البيت لابى العتاهية واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد مولى عنزة ومنشؤه الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لايقدر على جمع شعرهم لكثرته بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف تقول الشعر قال ماأردته قط الا تمثل لى فآخذ منه ماأريد وأترك مالا أريد وكان أبو نواس يقول مارأيته قط الا تمثل لى انه سماوي وانني أرضي وأكثر شعر أبي العتاهية في الزهد وكان قدتنسك وتزهد الى أن مات قال أحمد بن الحرث كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعالى خلق جوهرين متضادين لامن شيء ثم ان الله تعالى بنى العالم هذه البنية منهما وان العالم حديث العين والصفة لا محدث له الا الله وكان يزعم ان الله سيعيد كل شيء الى الجوهرين المتصلين قبل أن تفنى الاعيان جميعا وكان يقول بالوعيد وتحريم المكاسب وكان يتشيع على مذهب الزيدية ولا ينتقص أحدا ولا يرى الخروج على السلطان

وكان مجبرا حدث الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة بن أشرس بين يدي المأمون وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الاخبار أسألك عن مسئلة فقال له المأمون عليك بشعرك فقال ان رأي أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسئلتي ويأمره باجابتي فقال أجبه اذا سأل قال أنا أقول ما يفعله العباد من خير وشر فهو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك فمن حرّك يدي هذه وجعل أبو العتاهية يحرّكها فقال له ثمامة حركها من أمه زانية فقال شتمني والله يا أمير المؤمنين فقال ثمامة ناقض الماص بظر أمه فضحك المأمون وقال ألم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة فلقيني فقال لي يا أبا معن أما أغناك الجواب عن السفه فقلت ان أتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ وانتصر من الجاهل وحدّث أبو شعيب صاحب ابن أبي دواد قال قلت لابي العتاهية القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق قال سألتني عن الله أو عن غير الله قلت عن غير الله فامسك فأعدت عليه فأجابني هذا الجواب حتى فعل ذلك مراراً فقلت مالك لا تجيبني قال قد أجبت ولكنك حمار * وحدّث ثمامة ابن أشرس قال كان أبو العتاهية شديد البخل فأنشدني ذات يوم أبياتاً له في ذم البخل يقول فيها

ألا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه

فقلت له من اين أخذت هذا القول قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت فقلت له أتؤمن بهذا القول انه الحق قال نعم قلت فلم تحبس عندك أكثر من عشرين بدرة لا تأكل منها ولا تنفقها ولا تقدمها ذخراً ليوم فاقتك فقال يا أبا معن والله ان ما تقول هو الحق ولكني أخشى الفقر والحاجة الى الناس قلت وبم تزيد حال من افتقر

على حالك وأنت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك لا تشتري اللحم الا من عيد الى عيد فترك جواب كلامي كله ثم قال والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بأربعة دراهم فلما قال هذا القول أضحكني وأذهلني وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد هو وابراهيم الموصلي وأبو عمرو الشيباني في يوم واحد وقيل له عند موته أي شيء تشتهي قال أن يأتي مخارق ويضع فمه على أذني ويغنيني قولي

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي * ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر مدتي * فان غناء الباكيات قليل

ومن محاسن شعره قوله

جزى البخيل عليّ صالحة * عني لخفته على فكري
ما فاتني خير امرئ حملت * مني يداه مؤنة الشكر

(وقوله)

عذيري من الانسان لا ان جفوته * صفا لي ولا ان كنت طوع يديه
واني لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

كان المأمون رحمه الله تعالى يقول خذوا مني الخلافة واعطوني هذا الصاحب وقوله

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفة * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

(وقوله)

كأنك عند الكرّ في الحرب انما * تفر من الصف الذي من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك في الوغى * وما آفة الاموال غير حبائكا

(وقوله)

بكيتك يا علي بدمع عيني * فلم يغن البكاء عليك شيا
وكانت في حياتك لي عظات * وانت اليوم أوعظ منك حيا

(وقوله)

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس * وان تسترت بالاقفال والحرس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها * ان السفينة لا تجري على اليبس

(وقوله)

ألا اننا كلنا بائد * وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وقوله

ما ان يطيب لذي الرعاية لل * أيام لا لعب ولا لهو
ان كان يطرق في مسرته * فيموت من اجزائه جزو

كان ابن مخلد يقول ان هذين البيتين لروحانيان يطيران بين السماء والارض وقوله أيضا

الناس في غفلاتهم * ورحى المنيه تطحن

(وقوله)

اذا المرء لم يعتق من المال رقه * تملكه المال الذي هو مالكه
ألا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي * يحق والا استهلكته هوالكه

(وقوله)

أكل يوم طول الزمان اذا * جئتك في حاجة تقول غدا
لا جعل الله لي اليك ولا * عندك ما عشت حاجة ابدا

وقوله في الشعر الذي ذكر بسببه يخاطب سلما الخاسر حيث يقول فيه

تعالى الله ياسلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذلك الى الزوال

﴿ ما كان أخلقك بان تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك ﴾

ما أخلقك أى ما أولاك يقال فلان خليق بكذا أى كانه مخلوق فيه مجبول عليه وتقدر بذرعك أى تقيس الامر بجهدك قبل أن تفعله والذرع الجهد ومنه ضاق فلان ذرعا وأصل الذرع بسط اليد كانه جهد في بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه مالا يقدر عليه والظلع في البعير الغمز في مشيه ويستعار لغيره وربع اذا أقام فالمعني أقم على ضعفك وارفق بنفسك وقال آخر قولهم اربع على ظلعك أى على قدر قدرتك ويقولون أيضا ارق على ظلعك لان الراقي في جبل أو سلم اذا كان ظالعا يرفق بنفسه وقال آخر قولهم اربع على ظلعك أي احمل الحجر على قدر جهدك فان الحجر يسمى ربيعة وهو قول متعمق

﴿ ولا تكن براقش الدالة على أهلها ﴾

هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلفت الاقوال فيه فقال قوم وهم الاكثر براقش اسم كلبة نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم تخفى عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب أشأم من براقش وعلى أهلها تجني براقش وقال أبو عمرو ابن العلاء براقش امرأة كانت لبعض الملوك فسافر الملك واستخلفها وكان لهم موضع اذا فزعوا دخنوا فيه فاذا أبصره الجند اجتمعوا وان جواريها عبثن ليلة فدخن فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لها نصاحها ان رددتيهم ولم تستعمليهم في شئ ودخنت مرة أخرى لم يحضروا فامرتهم فبنوا ابناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فحدثوه بالقصة

حديث براقش

فقال على قومها تجني براقش وحكي الشرفي عن لقمان حكاية أخرى في هذا المعنى وهى تقارب هذه والاولى أقرب الى المعنى

﴿ وعنز السوء المستثيرة لحتفها ﴾

هذا أيضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه وأصله أن رجلا وجد عنزا فأراد ذبحها فلم يجد سكينا فبينما هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها بها

﴿ فما أراك الا سقط بك العشاء على سرحان ﴾

مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على حتفه وأصله أن دابة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب فاكلها وقيل رجل أعشى العين وقع على ذئب فأكله وعلى هذه الرواية يكون العشا مقصورا وقيل بل هو سرحان بن قعنب اليربوعي كان فاتكا وحمى واديا فورد عوف الاسدي فقال اشهد لايمنعني سرحان رعى ابلي الليلة فرعى فمر به سرحان ابن قعنب فقتله فقال اخوه يخاطب زوجة الاسدى

أبلغ صبيحة أن راعي أهلها ✻ سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متقمر ✻ لم يثنه خوف من الحدثان

﴿ وبك لا بظبي أعفر ﴾

هو مثل يضرب للشماتة بالرجل يقول نزل بك المكروه ولا نزل بظبي تريد أن عنايتي بالظبي أشد من عنايتي به والا عفر الذى لونه لون التراب وهو العفر وكذلك غزلان السهل وكأنه خص الظبي بالذكر لان الشاو والكسر سريعان اليه وقيل لانه متى أصابه داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من أبيات يتعلق بها حكاية وذلك أن الفرزدق كان قد هجا بني نهشل بأبيات منها

ذكر الفرزدق

لعمري لقد قل التهي في عديدكم * بني نهشل مالؤمكم بقليل

ثم خرج سادات بني تميم وفيهم الحتات بن مجاشع عم الفرزدق الى معاوية فوصلهم وترك حتاتا فعاتبه فقال معاوية اني اشتريت من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشتر مني ديني أيضا فالحقه بهم في الصلة فأقام يتنجزها فطعن فمات فرجع معاوية فيما أعطاه فحينئذ قال الفرزدق وهو اذ ذاك بالبصرة

أبوك وعمي يا معاوي أورثا * تراثا فأولى بالتراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته * وميراث حرب جامد لك ذائبه

وكم من أب لي يامعاوى لم يكن * أبوك الذي من عبدشمس يقاربه

فوجد النهشليون سبيلا فسعوا به الى زياد وقالوا هجا أمير المؤمنين فقال زياد لعريف بني تميم أحضر قومك والفرزدق فيهم ليأخذوا عطاءهم فأحس الفرزدق بالشر فهرب وما زال يطوف حتى أتى المدينة عائذا بسعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة منشدا

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ماالامر في الحدثان غالا

قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

فأمنه سعيد فبلغ زيادا فقال لا والله لا أرضى عنه حتى ينتسب في بني فقيم ثم قال مر وان لم ترض أن نكون قعود انتظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا أبا عبدالملك لعاقن فحقدها عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى المدينة مروان أحضر الفرزدق فقال أنت القائل

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما نقض باز أقتم الريش كاسره

فقلت ارفعوا الاستار لايشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

فقال نعم قال أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عن المدينة فاستجار بعبدالله بن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق

أنّ مسكينا الدارمي رثاه فقال ولم يكن هجا زيادا حتى مات خوفا منه

أمسكين أبكى الله عينك انما * جرى دمعها في باطل فتحدّرا
بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا * ككسرى على علاته أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه * به لا بظبي بالصريمة أعفرا

﴿أعذرت ان أغنيت شيئاً وأسمعت لو ناديت حيا﴾

يعني بلغت العذر في نصيحتك ان قبلت مني وتركت التعرّض الى وأسمعتك ان كنت حيا تسمع وهذا نصف بيت من بيتين لعمرو بن معديكرب ويروى لدريد بن الصمة وقد تقدم ذكرهما وهما

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو نارا نفخت بها أضاءت * ولكن أنت تنفخ في رماد

وبعض المتعصبين على أبي العلاء المعرىّ يزعم انه خرج ليلة الى بعض مراقب موسى عليه السلام ورفع رأسه الى السماء وقال يارب كلمني فانا أفصح من موسى قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد فانشد البيتين وذكر انهما من شعره والحكاية باطلة في حقه من وجوه متعددة

﴿ان العصا قرعت لذى الحلم والشيء تحقره وقد ينمي﴾

قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ما هو أصلح وقوله ان العصا قرعت والشيء تحقره مثلان في التحذير منظومان في قول الحرث بن وعلة اليشكرىّ وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال من أبيات حسنة في معناها

أقتلت سادتنا بلا ترة * الا لتوهن قوة العظم
ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد نابت الهرم
وزعمت انا لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذى الحلم

لا تأمنن قوما ظلمتهم * وبدأتهم بالشتم والرغم
أن يأبروا نخلا لغيرهم * والشيء تحقره وقد ينمي
الآن لما ابيض مسربتي * وعضضت من نابي على جذم
ترجو الاعادي أن أصالحها * جهلا توهم صاحب الكلم
قومي هم قتلوا أميم أخي * فاذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن أصبت لاوهنن عظمي

واختلف فيمن قرعت له العصا وضرب به المثل فقيل هو عامر

ذكر عامر بن الظرب

ابن الظرب بن عباد اليشكري أحد حكام العرب المشهورين وفيه يقول ذو الاصبع

ومنا حاكم يقضي * فلا ينقض ما يقضي

وهو اول من قضي في الخنثى وذلك انه احتصم اليه في رجل له ما للمرأة وما للرجل أيجعل رجلا أم امرأة فقال لهم انصرفوا عني حتى أنظر في امري فما نزل بي مثلها فانصرفوا وبات ليلته ساهرا وكانت له جارية ترعى غنمه يقال لها سخيلة وكان يقول لها اذا سرحت عنه بكرة صبحت ياسخيل واذا راحت يقول مسيت ياسخيل لانها كانت تأخر حتى تسبق فلم يقل لها شيئا ورأت سهره وفكره فقالت له ما عراك فقال دعيني من شأنك فأعادت عليه فقال ويلك انه احتصم الي في خنثى له ما للذكر وما للانثى في ميراثه أأجعله امرأة أم رجلا فقالت لا أبالك أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها * مسي سخيل بعدها أو صبحي * فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذي أشارت قال السهيلي وهو حكم معمول به في الشرع من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل في الشريعة قول الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب ووجه الدلالة على الكذب ان القميص لم يكن فيه خرق ولا أثر ثم ان عامرا

كبر وضعف حتى قال في شعره

أري شعرات على حاجبي ✽ بيضا نبتن جميعا تواما

اظل أهاجي بين الكلا ✽ ب احسبهن صوارا قياما

فقال له الثاني من ولده وقيل ابنته انك ربما اخطأت في حكم فيحمل عنك قال فاجعلوا لى امارة انتبه بها حتى اعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويجعل ابنه في البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنة فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب به المثل وهو اول من فعل ذلك وقيل هو شخص فى زمن النعمان بن المنذر حذر اخاه وذلك ان النعمان ارسل شخصا يرتاد الكلا فابطأ فغضب وعزم على أن يسأله اذا ورد فان قال خصبا قتله وان قال جدبا قتله وعرف بذلك اخوه فقال للنعمان اتأذن لى ان انذره قال لا قال فاشير اليه قال لا قال فاقرع له عصا قال فاقرع فلما ورد اخذ أخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التي كانت معه قرعا مختلفا الى ان فهم اخوه القصة فقال لم احمد خصبا ولم اذم جدبا الأرض مشكلة لا بقلها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان اولي لك بذلك نجوت فنجا وقال اخوه

قرعت العصا حتى تبين صاحبي ✽ ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

وقيل المراد بقرع العصا قصة قصير لما كان مع جذيمة واقبلت عساكر الزباء قال له اني متى انكرت القوم قرعت لك العصا وهى فرس جذيمة التي لا تلحق فاركبها وانج فلما رأى الشر قرعها بالسوط فاتف جذيمة من الهرب فركبها قصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لو كان لجذيمة حلم لركبها لكن القول الاول أشهر وأحسن

✽ وان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة

كنت قد اشتريت العافية لك بالعافيــــة منك

يعني ان ندمت على ما أقدمت عليه وتركته ولمت نفسك أرحت نفسك بانقطاعك عنا وأرحتنا منك

﴿وان قلت جعجعة ولا طحن ورب صلف تحت الراعدة﴾

مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل والجعجعة صوت الرحى والطحن الدقيق فعل بمعنى مفعول كذبح وفرق والصلف قلة البركة والخير ولذلك يقال اصلف من ملح في ماء أى لا يبقى وسحاب صلف اذا كان قليل الماء كثير الرعد والمعنى انك متى قلت أني أتوعد ولا تفعل فسترى ما يكون

﴿وأنشدت لا يؤيسنك من مخدرة * قول تغلظه وان جرحا﴾

هذا البيت لبشار بن برد وقد ذكر ابو الشمقمق قال دخلت عليه يوما وبين يديه مائة دينار فقال خذ منها أتدرى ما قصتها قلت لا قال أنا اليوم جالس واذا بفتى من ذوى النعمة دخل على فقال يا أبا معاذ هذه مائة دينار نذرت أن ادفعها لك فتسلمها فقلت ما سببها فقال كنت قد هويت امرأة وتعرضت لها فتصعبت على فأردت السلو فذكرت قولك

لا يؤيسنك من مخدرة * قول تغلظه وان جرحا

عسر النساء الى مياسرة * والصعب يركب بعدما جمحا

فصبرت فأدركت مقصودي منها وآليت على نفسي أن أحمل اليك هذه المائة دينار

﴿ فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه

بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا﴾

يعني انك ان لم تبال بتوعدي ولم تصدقه وعاودت المراسلة بعثت من يزعجك من مكانك والازعاج عدم الاستقرار ومنه المرأة المزعاج التي لا تستقر في مكان والخضراء ناحية المزدرع من البلد أو اسم ضيعة والوكز مثل الدفع وهو ضرب الظهر مع الدفع وقيل الضرب بمجتمع اليد على الذقن

(فاذا صرت البهاعبث أكاروها بك وتسلط نواطيرها عليك)

الاكارون الزراعون جمع أكار ويجمع على أكرة كانه جمع آكر في التقدير مأخوذ من الاكرة وهي الحفيرة في الارض والعبث أن يخلط بعمله لعبا مأخوذ من العبيثة وهي طعام مخلوط والسلاطة التمكن من القهر ومنه سمي السلطان

(فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك ومن فجلة منتنة يرمى بها تحت خصاك)

أي تضرب في القفا بالقرع المعوج الى أن يستقيم وهو مما لا يستقيم فيكون كناية عن ايصال الضرب والرمي بالفجل تحت الخصى كناية عن استدخاله في استه وفي نتنه مناسبة واستقذار للمفعول به

(ذلك بما قدمت يداك لتذوق وبال أمرك وترى ميزان قدرك)

يعنى بما فعلت أنت والعرب تقول هذا ما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدي على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم بالفم ونقل الى اختبار الشئ ويستعمل في القليل والكثير ولذلك ذكره الله تعالى في العذاب والوبال الامر الثقيل الذي يخاف ضرره ومنه طعام وبيل وكلا وبيل والوبل هو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشيء وأصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها

﴿ فمن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى ﴾

هذا بيت من شعر المتنبي ختمت بذكره الرسالة لمناسبة ما قبله وكذلك مذاهب أكثر البلغاء في مقاطيع رسائلهم اما بآية أومثل أو بيت من الشعر يمثلون به في معنى ما هم فيه فيكون له مزية ظاهرة ويجب أن يكون من أحسن ما سمع وفي القصيدة التي منها هذا البيت أبيات حسنة أذكرها جريا على العادة في الاستطراد بما ينطوي على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدي من مصر الى العراق يصف طريقه

فيالك ليلا على اعكش * أحم البلاد خفى الصوى

وردنا الرهيمة في جوزه * وباقيه اكثر مما مضى

أعكش موضع والاحم الاسود والصوى العلامات في الطرق وهي أحجار يوضع بعضها فوق بعض ليعرف بها الطريق وفى الحديث ان للاسلام صوى ومنار أو الرهيمة موضع والضمير في جوزه عائد على الليل يعني نصفه اعترض قوم هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقي الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه فقيل في الجواب وجهان أحدهما انه انما أراد بالنصف مدة الثلث الاوسط والثاني ان الضمير في جوزه عائد على أعكش والرهيمة ماء في وسطه وردوه وباقي الليل اكثر مما مضى

لتعلم مصر ومن بالعراق * ومن بالعواصم أني الفتى

يعني بمن في مصر من فاتهم ومن بالعراق من هو قادم عليهم ومن بالعواصم سيف الدولة

ومن يك قلب كقلبي له * يشق الى العز قلب النوى

ونام الخويدم عن ليلنا * وقد نام قبل عمى لا كرى

وقد كنت أحسب قبل الخصي أن الرؤس محل النهى

فلما نظرت الى عقله * وجدت النهى كلها في الخصى

وقد ضل قوم باصنامهم * فاما بزق رياح فلا

يعني أن من اطاع كافوراً فقد ضل بطاعة شيء اسود مملوء هواء ولم يضل أحد بمثل ذلك

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى

يعني من جهل قدر نفسه عرفه غيره بارتكاب القبائح التي لا يتنبه لها ومن نوادر المتقين على سرقات المتنبي قول أحدهم انه سرق هذا البيت من حكاية وهو ان قصاراً كان يعمل على شاطىء نهر وكان كل يوم يرى كركياً يجيء فيلتقط من الحمأة دوداً ويقتصر في القوت عليه فرأى الكركي صقراً قد ارتفع في الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها فقال الكركي ما لي لا أصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسماً فارتفع في الجو وانقض على حمامة فاخطأ وسقط في الحمأة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ولم يمكنه ان يطير فأخذه الصياد ورجع الى منزله فاستقبله رجل فقال ما هذا فقال كركي يتصقر فسمع المتنبي هذه الحكاية فأخذ منها معني هذا البيت وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود

تمت الرسالة وشرحها * والدلالة ولمحها * ولا أدعي فيها غير انتخاب الاخبار * واختيار المتمكن من النظام والنثار * فاني أتيت بيوت الاشعار من أبوابها * وميزت أبكار الفقر من أترابها * وعلى الجملة فني عواطف من عرضت عليه هذه النبذة ما يسد خللي * ويشد أملي * ويكثر قللي * ويرعى كل وقت رحلتي الشمالية بقبولي * عطر الله بذكره المشارق والمغارب * وزين سماء المدح في مناقبه بزينة الكواكب *

ولا خلت أبواب نعمه وعلمه على كلا الحالين من

طالب * آمين * والحمد لله رب

العالمين

﴿ فهرست كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ﴾

صحيفه

صحيفة





